

الجنان

مجلة علمية محكمة - فصلية

الجنان

مجلة علمية محكمة - فصلية

تصدر عن مركز البحث العلمي في الجامعة

العدد الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجنان
مجلة علمية محكمة – فصلية
تصدر عن مركز البحث العلمي في الجامعة

المشرف العام : أ. د. منى حداد يكن / رئيسة الجامعة

نائب المشرف العام : أ. د. علي لاغا / نائب الرئيس لشؤون البحث العلمي

المدير : د. هدى حداد

هيئة التحرير

أستاذ مساعد د. رياض عثمان رئيساً

د. كلوديا شحادة اللغة الفرنسية

أ. لينا الجراح مساعداً للغة الفرنسية والإنكليزية

أ. مالك خليل مساعداً للغة العربية

أمين سر التحرير : أ. عايدة كبارة

المستشارون :

أ.د. عاطف عطية: علم الاجتماع

أ.د. عبد الغني عماد: علم اجتماع تربوي

أ.د. مهى خير بك: لغة عربية

أ. د. محمود عبود: فقه وأصوله

أ. د. سعدي ضناوي: لغة عربية

أ.د. انطوان ديري: هندسة

أ. د. جوزيف فاضل : علوم سياسية

أ.د. عمر عبد السلام تدمري: تاريخ

أ.د. أحمد سفر: إقتصاد إسلامي

أ.د. منذر حمزة: مايكروبيولوجي

أ.د. خالد حسين: فيزياء وإعجاز علمي في القرآن الكريم

أ.د. بشار الحسن: هندسة

أ.د. أسامة كبارة: صحافة وإعلام

أ.م.د. حسن الرفاعي: إقتصاد إسلامي

أ.م.د. ماجد الدرويش: علوم الحديث

د. فواز حلاب: طبيب نسائي

أ.م.د. محمد خالد: صحة عامة

د. عمار يكن: هندسة وإدارة أعمال

د. تائر علوان: صيدلة

د. حسام سباط: أصول الفقه وحضارة

د. ربي شعراني: تربية

د. غادة صبيح: لغة فرنسية

د. ريما بركة: لغة فرنسية

قواعد النشر

«الجنان» مجلة علمية محكمة ، تصدر عن مركز البحث العلمي – جامعة الجنان، وغايتها نشر الأبحاث الجدية والمحكمة في مختلف العلوم، وتُنشر باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية تُفضل الأبحاث التي تعالج مشاكل تحتاج إلى حل أو نظريات إفتراضية.

هدف المجلة

إن هدف المجلة في الأساس هو المساهمة في إضافة جديدة على العلوم الإنسانية أو العلمية، فالماضي هو هذا الحاضر، وبما أن العلم تراكمي فإن علينا واجب القيام بهذا الدور، لذلك فإن سياسة المجلة هي على الوجه التالي :

١. تخصيص محور واحد لكل عدد من أعدادها إذا أمكن وإلا ستنوّع أبحاث العدد
٢. يُطرح الموضوع العام والمحاور التي يمكن للباحثين الكتابة فيها، مع حرية التنوع ، فالعناوين المطروحة لإستدرار الأفكار وإثارة الحشيرة العلمية .
٣. لا تُنشر الأبحاث إلا بعد خضوعها للتحكيم ، وإدارة المركز غير ملزمة بإعادة الأبحاث التي لم تقبل دونتعلييل السبب بعدم نجاحها.

شروط أساسية :

١. الجدة في البحث، والتوثيق في الهامش وفق قاعد البحث العلمي (يرفق دليل الباحث)
٢. لا تزيد عدد صفحات البحث على ٣٠ صفحة
٣. التعهد بأن البحث لم ينشر من قبل ولن ينشر إلا بناء على رد من هيئة المجلة
٤. إرسال البحث على عنوان المجلة الإلكتروني وإذا لم يستلم إشعار بالإستلام فلا بد من إرساله مرّة أخرى
٥. تزويد إدارة المجلة بالسيرة الذاتية مع صورة للكاتب

٦. مقدمة تبين :

الحقل الذي يعالجه البحث مع تحديد للمشكلة والأهداف المفترضة.

٧. المنهجية المتبعة في البحث مع ذكر لكل الوسائل المستعملة والمراحل المتبعة، وقائمة المراجع في آخر البحث.

٨. على الباحث مراعاة سلامة اللغة والتدقيق قبل الإرسال

خطوات التحكيم :

يحول البحث المقبول شكلاً إلى أستاذين متخصصين في المادة التي حوتها الدراسة، وتؤخذ النتيجة من حاصل مجموع العلامتين مقسومة على إثنين .

ملاحظات شكلية :

١. يتم التوثيق في الهامش

٢. يذكر إسم المؤلف أولاً ، الكتاب، الناشر، مكانه، الطبعة، السنة، الصفحة (عند ذكر المرجع للمرة الأولى

٢. وعند تكرار إستعمال المرجع يكتب : إسم المؤلف ، الكتاب ، م.س.ص

وفي النهاية :

إن مجلة الجنان جاءت حتى تحاول الإسهام بجديد وتشق الطريق أمام الباحثين الجادين على أمل التوصل إلى بحث علمي يستخدم الطاقات المحلية ويكون تبعاً للثروة الوطنية ويتم النسأي به عن أن يكون في خدمة أبحاث أمم أخرى .. ليس ذلك من موقع الأنانية ، بل من منطلق المنافسة وتقديم الأفضل إن شاء الله تعالى .

الافتتاحية

بين يدي هذا العدد من مجلة جامعة الجنان العلمية المحكمة، فإن هناك جملة من الأفكار أردناها أن تكون عامل لقاء، ولتعبير بالتالي عن آفاق جامعة، وإن تعددت السبل إلا أن نقطة الالتقاء تبقى واحدة.

في الواقع إن موضوع التخطيط عموماً وما يختص منه بالتعليم العالي خصوصاً، يجب أن يكون محل بحث وعناية واهتمام لعظيم أثره وكبير خطره، وكي لا نبقى أمة تستهلك النظريات، آملة أن تجد فيها عوامل البقاء والاستمرار، إن لم نقل رقيها وازدهارها.

إن التخطيط في التعليم العالي هدف رئيس، وغاية سامية، وقد اختارت جامعتنا ضمن رؤيتها ورسالتها الاستثمار في الموارد البشرية، ليس بالمعنى المادي التجاري، وإنما بكل ما تعنيه التنمية المجتمعية والاستفادة من الموارد الطبيعية والنقد الحضاري، مع التركيز على الجانب الأساسي النوعي، لأنه العمود الفقري والشريان الأساس والترجمة العملية للأهداف التي تصب في صلب التنمية المستدامة البناءة والفاعلة.

إن العالم يسير بسرعة كبيرة، ويشهد متغيرات، وأنواعاً كثيرة من هذه المتغيرات لا عهد له بها من قبل، من هنا كان لابد لنجاح هذه السلة من التفاصيل المتداخلة والمميزة في آن معاً، أن تحدد الأهداف وترسم المسارات وتجهز الخطط والمراحل، من أجل الوصول للغاية الأسمى، حيث الارتقاء بالعمل الى مستوى العنوان الكبير الجامع الذي يخدمه مجموعة من الكفاءات العلمية. ولا يهم حينها المكان أو الزمان، بل الإنتاج والكفايات والفعالية، ومن ثم التغيير نحو الأفضل. فالذي يخطط جيداً لمنطلقاته وأهدافه، هو من ينوع خياراته وسياساته الشاملة للنجاح، ومع إيجاده معايير ثابتة ومدخلات لقياس الأداء في النظم التعليمية بعامة وفي التعليم العالي بخاصة.

لقد أظهرت النماذج والنظريات والأنماط المتعاقبة في الإدارة، والإدارة التعليمية خصوصاً، أن لكل أسلوبه وأهدافه وحاجاته وعناصره، لكن يبقى هدف واحد جامع ومحدد، ألا وهو الوصول للغاية الأسمى للرقى وجودة العمل. وعندها يتحد المكان والزمان والانطلاق الصحيح بالإنتاج والكفايات والفعالية والتغيير نحو الأفضل.

وللأسف، فإن خطط التنمية الموضوعية من قبل المؤسسات الرسمية أو الخاصة، على امتداد عالمنا العربي والاسلامي - ولبنان واحد من مكوناته - تضح خططاً لا عد لها ولا حصر، دون الالتفات الى تنفيذها، فتبقى مجرد عصارة للأدمغة، وحبراً على ورق يطويها الزمن ويأكلها النسيان، مغفلة تماماً أن مؤسسات التعليم المختلفة هي من أهم روافد التنمية والاستقرار والنمو الاقتصادي في المجتمع، والمساهم الأساس في الحراك الفكري الإنساني ليؤتي ثمرته تقدماً وحضارة.

من هنا تظهر أهمية التخطيط البعيد المدى بالنسبة للتعليم الجامعي، بخاصة في الدول النامية، وذلك لمواكبة التطورات الحديثة وتقليل الفجوة بين الدول المنتجة للعلوم والتقنية والدول المستهلكة، كما يجب أن يلاحظ في التخطيط تأهيل المؤسسات وتضافر جهودها وتبادل خبراتها فيما بينها مع تنوع مجالاتها، وذلك للحاق بمصاف الدول التي تنتج المعرفة وتسخرها لرفاهية مجتمعاتها؛ بغض النظر عن الأخلاقيات التي تتحكم بمساراتها وتطبيقاتها. كما لا تغفل كم يتطلب هذا النوع من الاستثمار في الموارد البشرية، الذي أشرنا إليه آنفاً، من تأمين الحاجة إلى كوادر مؤهلة وقادرة على الإبداع والابتكار، من أجل التعامل مع المشاكل والعوائق لتطوير الحلول العلمية المناسبة لها، مع كل العناصر المكونة الممهدة للتخطيط الناجح، كتحديد المجال والتخصص والبعد الزمني والنطاق الجغرافي ...

من هذه المنهجية وبهذه الروحية العلمية، شكلت جامعة الجنان صورة واضحة لأهدافها وتطلعاتها، مستعينة بالمحاضرات والندوات وأبحاث الكفاءات الواردة إليها من مناحات علمية مختلفة، يحدوها إلى ذلك تتمرير البحث العلمي وفق المعايير البحثية الدقيقة.

وهنا بدأت جامعة الجنان في صياغة خططها انطلاقاً من الرؤية الواضحة، فبنت عليها أهدافها وصاغت بشكل يتماهى مع الثوابت والقيم في أهداف عامة وأهداف تفصيلية. وبحثت في سبل وآليات التنفيذ مع ما يواكب ذلك من أنشطة وبرامج تعزز هذه المنطلقات، لتتطال أفقياً أكبر شريحة مجتمعية دون أن ينتقص ذلك من عاملي: العالمية والجودة.

لقد كان لزاماً علينا، أن ننحو بالتعليم العالي ومخرجاته المعرفية والبحث العلمي - وهذا العدد الذي بين أيديكم علامة ذلك - منحى إنسانياً راقياً، يكون سبيل خير ونماء، ويؤسس لميراث إنساني جديد بقيادة شبابية، تغير من صورة ما نحن عليه اليوم من تفاوت وطبقية، فالحياة الكريمة حق للجميع.

أ.د. منى حداد

رئيسة جامعة الجنان

مقدمة

إن كل عمل يتعثّر في بداياته ، وبعد طول ممارسة يتحسن باتجاه متصاعد ، طالما أن هناك تعزيزاً ودعمًا متواصلين، وفي إطلالة العدد الثاني من مجلة الجنان ، نأمل أن نكون قد كوّنا عند القارئ الكريم صورة إيجابية ، لما يقوم به مركز البحث العلمي في الجامعة.

إنه بفضل ما يقدمه كُتّاب وباحثون جادون، يمكن تقديم أبحاث تعالج الواقع المعيش في مختلف جوانب الحياة الإنسانية، وكما في العدد الأول، فإن العدد الثاني حوى باقة موفقة من الموضوعات: فني الأحكام الشرعية والدراسات الإسلامية، ضمّ العدد ثلاثة أبحاث: في الفرقة بالخلع، وتوصيف الطبيب وأثره في الحكم الشرعي، لما لهذين الموضوعين من أهمية في معالجة مشاكل تحتاج إلى حل مرتبط بالواقع المعيش. وأما البحث الثالث فقد تناول عملية تقويم لكتب التربية الإسلامية المطورة في المملكة الأردنية الهاشمية حرسها الله تعالى، وهذا أمر يحتاج إلى جهد كبير كي يُصار إلى تشكيل عقل يجسد ما بين النقل والعقل من جهة، وينشئ جيلاً متفاعلاً مع مستجدات الحياة وحداتها.

وفي الحقل الإداري فقد اشتمل العدد على توظيف تكنولوجيا المعلومات في إدارة المخاطر البيئية، دراسة تطبيقية على الشركة العامة لصناعة الزيوت النباتية (مصنع الرشيد) في الجمهورية العراقية، ونظرية الاتفاقيات والمحاسبة - قراءة في حالة الجزائر - حرسها الله تعالى.

وفي محاولة جديدة جاء بحثٌ في استثمار أوقاف الجمعيات الخيرية الإسلامية.

وكانت حصة اللغة العربية مهمة لجهة ما جاء في: لسانيات الخطاب، والإنسجام الصوتي، ودراسة ترشيديّة لإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية.

وختامه مسك، كانت حصة التربية يبحث عن دور الجامعات في التعامل مع ذوي الإحتياجات الخاصة.

هذا جهد المُقل، وإلى مشاركة جديدة على طريق إزالة المعوقات عن طريق البحث والإبداع، علّنا نصل إلى الهدف الأسمى الذي نبغيه: البحث العلمي الجاد.

أ.د. علي لاغا

نائب رئيس جامعة الجنان لشؤون البحث العلمي

د. فوزية احمد الحسن طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك
كلية اصول الدين جامعة ام درمان الاسلامية

طول الأمل والغفلة عن الآخرة في ضوء القرآن الكريم

مستخلص البحث :

اثبت البحث أن طول الأمل يورث حب الدنيا والركون إليها ، وقصر النظر يقود المؤمن لإدراك حقارة الدنيا ويحمله للعمل الصالح لأجل الآخرة.

كما بين البحث انشغال الناس بالدنيا، حتى أصبح طول الأمل ظاهرة تحكم أمورهم وتصرفاتهم، وذكر بضرورة ذكر الله، وذكر الموت لأنه يعين المؤمن على العمل للآخرة، وألا تكون الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه.

ومن أهم النتائج : امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه توجب مرضاة الله، والفوز بالجنة.

وطول الامل يورث الغفلة التي تورث صاحبها المهالك.

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن موضوع الأمل والغفلة عن الآخرة أصبح من السمات المميزة لتعامل البشر مع قضايا الحياة الدنيا، علماً بأن القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة قد اشتملتا على كثير من الأوامر والنواهي، التي تدعو للإقبال على الآخرة، وعدم التمسك بالفانية، وكثيراً ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر بالموت وأحوال القيامة، حتى ينتبه الغافلون، عن أبي بن كعب قال: «كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه»^(١). وفي تنبيه الغافلين للخوف من الله سبحانه وتعالى، والعمل لأجل الآخرة، وقد مدح الخائفون بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾^(٢). أي: هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله، خائفون منه وجلون من مكره بهم. قال تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾^(٣)، ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ﴾^(٤)، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسُونَ﴾^(٥). ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ﴾^(٦).

لكل ما تقدم من هذه الآيات الدالة على حب الدنيا، والغفلة عن الآخرة جاء سبب اختياري لهذا الموضوع:

- (١) لبيان طول الأمل، وارتباطه بالعمل للدنيا لا الآخرة.
- (٢) توضيح أهمية العمل للآخرة والزهادة في الدنيا.
- (٣) بيان الداء في طول الأمل وحب الدنيا، والدواء في ذكر الله والعمل للآخرة.
- (٤) للرد على المتمسكين بالدنيا العاملين لها، ولأن هذا قد أصبح ظاهرة استلزمت بيان حقارة الدنيا، ووجوب قصر النظر الذي يوجب رضاء الله سبحانه وتعالى.

منهجي في البحث:

المنهج الذي اتبعته هو استقرائي، استنباطي، تحليلي، وذلك بعرض نصوص الكتاب والسنة، واستعراض أقوال المفسرين المتعلقة بها، وبيان ما ذهب إليه بعض العلماء في النهي من الركون إلى الدنيا، والعمل لها لا للآخرة.

خطة البحث: قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين:

المقدمة: تتضمن تعريفاً موجزاً لكل من طول الأمل والغفلة عن الآخرة، وبيان أسباب اختيار الموضوع، والمنهج المتبع في البحث، والخاتمة وقائمة أهم المصادر والمراجع.

١- رواه الترمذي في صفة القيامة باب (٢٣)، (٦٣٦/٤) وقال حديث حسن صحيح، ضمن حديث طويل.

٢- المؤمنون: ٥٧

٣- المؤمنون: ٦٢

٤- المؤمنون: ٦٤

٥- المؤمنون: ٧٧

٦- المؤمنون: ٩٩

المبحث الأول: طول الأمل وحب الدنيا والتفكر في حقارة الدنيا ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طول الأمل وحب الدنيا

المطلب الثاني: قصر النظر والتفكر في حقارة الدنيا.

المبحث الثاني: الغفلة عن الآخرة.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات ثم ذيلته بقائمة أهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول

طول الأمل وحب الدنيا والتفكر في حقارة الدنيا

المطلب الأول: طول الأمل وحب الدنيا

كثير من الناس يحرص على الحياة الدنيا، ويعيش لدنياه فحسب؛ وهذا ما يعرف بطول الأمل وهو المذموم في القرآن الكريم لأنه يرتبط بالغفلة عن الآخرة.

جاء في كتاب رحلة إلى الدار الآخرة: جميل أن نحمل في قلوبنا أملاً، لكي نعمّر الكون بكل أنواع الخير، فالإنسان مفطور على حب الحياة، لكن لا بدّ أن نحذر من أن يحول طول الأمل بيننا وبين طاعة الله عزّ وجل .

فإن صاحب الأمل الطويل في الدنيا يركن غالباً إلى الشهوات والملذات، ولذلك نجد قلبه لا يتحرك لآيات الله، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أجل ذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من طول الأمل^(١) ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان: الحرص والأمل»^(٢) وقال بلفظ آخر: «يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان: الحرص على المال، و الحرص على العمر»^(٣)

يقول الله تعالى: ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾^(٤)

قال الطبري: «يُلْهِمُ الْأَمْلُ» عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها وتزودهم لمعادهم منها بما يقربهم من ربهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) غداً إذا وردوا عليه وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم حين يعاينون عذاب الله أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذات والشهوات كانوا في خسار وتباب^(٥).

١- رحلة إلى الدار الآخرة . جمع وترتيب محمود المصري أبو عمار، مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م - ص ٥

٢- أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: كراهة الحرص على الدنيا، بمعناه، ١٠/٤١٠.

٣- أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: كراهة الحرص على الدنيا، حديث رقم (١٠٤٧)، ١/٤٦٠.

٤- الحجر: ٣

٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٢١٠هـ وتحقيق أحمد عبد الرازق البكري وآخرون - بإشراف أ.د/عبد الحميد عبد المنعم مذكور، دار السلام للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٤٢٥-٢٠٠٥م - ٦/٤٨٦٥

ويقول ابن كثير: «ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا» تهديد شديد لهم ووعيد أكيد ولهذا قال «وَيَلْهَمُ الْأَمْلُ» أي عن التوبة والإِنابة «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» أي عاقبة أمرهم. كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ (١) (٢)

وفي هذا دليل على أنّ طول الأمل الذي يجعل المرء يركن إلى الدنيا منهياً عنه بنصوص الكتاب و الحديث النبوي الشريف وهذا ما أكده حديث المفسرين اللذين تقدم ذكر قولهما، كما أيد صاحب فتح القدير ما ذهب إليه ابن كثير بقوله: «ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا» تهديد لهم: أي دعهم عما أنت بصدده من الأمر لهم و النهي، فهم لا يراعون أبداً و لا يخرجون من باطل و لا يدخلون في حق، بل ذرهم بما هم عليه من الاشتغال بالأكل ونحوه من متاع الدنيا و من إلهاء الأمل لهم عن إتباعك فسوف يعلمون عاقبة أمرهم و سوء صنيعهم .

وفي هذا من التهديد و الزجر ما لا يقدر قدره ، يقال: ألهاه كذا أي شغله الأمل عن إتباع الحق، و ما زالوا في الآمال الفارغة ، و التمنيات الباطلة حتى أسفر الصبح لذي عينين و انكشف الأمر و رأوا العذاب يوم القيامة، فعند ذلك يذوقون وبال ما صنعوا^(٣)

جاء عن بعض الحكماء قولهم: «عجبت ممن يحزن على نقصان ماله و لا يحزن على فناء عمره ، و عجبت من الدنيا مولية عنه ، و الآخرة مقبلة عليه يشغل بالمدبرة و يعرض عن المقبلة»^(٤) .

وعلى هذا يجب أن لا يركن المرء إلى الدنيا ، و ينشغل بها و ينسى الآخرة ، و قد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى في قوله: «مالي و للدنيا و ما للدنيا و مالي و الذي نفسي بيده ما مثلي و مثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح و تركها»^(٥) . و لذلك علينا ألا نجعل الدنيا غايتنا بل، نجعلها مطية الآخرة ، فقد جاء في مسند البزار عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربعة من الشقاء جمود العين و قساوة القلب و طول الأمل و الحرص على الدنيا»^(٦)

و قال القرطبي: «طول الأمل داء عضال و مرض مزمن، و متى تمكن من القلب فسد مزاجه و اشتد علاجه ، و لم يفارقه داء و لا نجع فيه دواء ، بل أعيا الأطباء و يئس من برئه الحكماء و العلماء».

١- إبراهيم: ٣٠

٢- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - صحح بإشراف الشيخ خليل

٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدارية من علم التفسير - لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني تويجاً بصنعاء ١٢٥٠ هـ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م ، ١٢١/٣ .

٤- أنظر: رحلة إلى دار الآخرة ، ص ١٦

٥- أخرجه أحمد في مسنده (٢٧٩٦) و صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٦٩) .

٦- رواه البزار و فيه هانئ بن المتوكل و هو ضعيف كما في المجمع ٢٢٦/١٠ .

و حقيقة الأمل : الحرص على الدنيا و الانكباب عليها ، و الحب لها و الإعراض عن الآخرة ، و روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نجا أول هذه الأمة باليقين و الزهد، و يهلك آخرها بالبخل و الأمل»^(١) (٢).

و ما كتبه القرطبي يعتبر من أروع ما كتب في كتب التفاسير عن طول الأمل، و أضاف ؛ و يروى عن أبي الدرداء أنه قام على درج مسجد دمشق فقال: «يا أهل دمشق ألا تسمعون من أخ لكم ناصح، إن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً و يبنون مشيداً و يأملون بعيداً، فأصبح جمعهم بوراً و بنيانهم قبوراً و أملهم غروراً. هذه عادة قد ملأت البلاد أهلاً و مالأً و خيلاً و رجالاً، فمن يشتري مني اليوم تركتهم بدرهمين...» و قال الحسن: «ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل».

و صدق رضي الله عنه! فالأمل يكسل عن العمل، و يورث التراخي و التواني، و يعقب التشاغل و التقاعس، و يخلد إلى الأرض و يميل إلى الهوى. و هذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان و لا يطلب صاحبه ببرهان، كما أن قصر الأمل يبعث على العمل، و يحيل على المبادرة، و يبحث على المسابقة^(٣).

لذا ينبغي على الإنسان أن يغتنم شبابه و فراغه و صحته و عافيته في التقرب إلى الله و العمل لأجل الآخرة، و قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس الصحة و الفراغ»^(٤).

و قد قال صاحب الكشاف: «ذَرَّهُمْ» يعني أقطع طمعك من ارعوائهم و دعهم عن النهي عما هم عليه و الصد عنه بالتذكرة و النصيحة و خلهم «يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا» بدنياهم و تنفيذ شهواتهم و يشغلهم أملهم و توقعهم لطول الأعمار و استقامة الأحوال ، و أن لا يلتقوا في العاقبة إلا خيراً (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) سوء صنيعهم، و الغرض الإيذان بأنهم من أهل الخذلان و أنهم لا يجيئ منهم إلا ما هم فيه ، و أنه لا زاجر لهم و لا واعظ إلا معارضة ما يندرون به حين لا ينفعهم الوعظ و لا سبيل إلى اتعاضهم قبل ذلك ، فأمر رسوله أن يخليهم و شأنهم و لا يشتغل بما لا طائل تحته ، و أن يبالح في تخليهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً في العاقبة ، و فيه إلزام للحجة و مبالغة في الإنذار، و إغذار فيه، و فيه تنبيه على أن إيثار التلذذ و النعم و ما يؤدي إلى طول الأمل . و هذه هجيري أكثر

١- أخرجه أحمد في الزهد.

٢- الجامع لأحكام القرآن الكريم عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - تحقيق د/ عبد الحميد هندawi - المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م ، ٥/ ٢٥٥

٣- المرجع السابق نفسه ٥ / ٢٥٥

٤- أخرجه البخاري - كتاب الرقاق - باب الصحة و الفراغ و لا يعيش إلا يعيش الآخرة ، ٧ / ١٦٩ .

الناس ليس من أخلاق المسلمين. وعن بعضهم: التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين^(١).
وقد اتفق القرطبي^(٢) والشوكاني^(٣) على أن قوله تعالى: ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَنَّوْا﴾ أي آية سورة الحجر هذه منسوخة بآية السيف^(٤). ومع أن هذه الآية نزلت في الكفار والمشركين حين يعاينون العذاب يوم القيامة؛ أي يتمنى الكفار في وقت ما أن لو كانوا مسلمين^(٥) وهذا الوقت هو يوم القيامة عند معاينة العذاب، إلا أنها تشمل عصاة المسلمين اليوم الذين ركنوا إلى الدنيا وبات أكبر همهم. وطول الأمل في اعتقادي أبلغ ما يكون في قصر النظر، وربط الفكر الديني بالمصالح المادية، التي تطمح إليها نفوسهم. ويجب أن لا ينسينا طول الأمل ذكر الله، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»^(٦).

وكما جاء في سبيل السلام؛ الحديث من أدلة فضل الذكر وأنه من أعظم أسباب النجاة من مخاوف عذاب الآخرة وهو أيضاً من المنجيات من عذاب الدنيا ومخاوفها ولذا قرن الله الأمر بالثبات لقتال أعدائه وجهادهم بالأمر بذكره^(٧) وحب الدنيا وطول الأمل يتمثل في الانسياق وراء الأولاد والأموال، والانشغال بذلك عن ذكر الله، وذكر الآخرة يقول تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَنَاتُهُ﴾^(٨)

إلا أن النفس البشرية إذا تركت على هواها، وحجب عنها نور الإيمان، ونظرت إلى ما بين يديها من الأسباب المادية، أخذها الغرور والبطر، وظنت أنها لم تؤت هذا المال وهذه المكانة والوجاهة إلا لمزايا ذاتية فيها، وهذا الصنف من البشر يتكرر في كل زمان ومكان وفي كل حال لم تهذب نفسه بإشراقه الإيمان، ولقد ظن هذا الظن قارون عندما قال: ﴿...إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي...﴾^(٩) فالغرور والبطر عند التكبر على عباد الله وكسر قلوب الفقراء، دائماً مبعثه

١- الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جاد الله محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧-٥٢٨ هـ، دار المعرفة بيروت-لبنان، (د.ط.)، (د.ت) ٢/٣١٠.

٢- الجامع لأحكام القرآن ٥/٢٥٤.

٣- فتح القدير ٣/١٢١

٤- وهي قوله تعالى: ﴿أُذُنٌ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج آية (٢٩).

٥- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، إعداد: جماعة من العلماء بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩ م، ص ٥٦٣.

٦- أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد جيد.

٧- سبيل السلام وبلوغ المرام لمحمد بن إسماعيل الأمير اليمني الفسعاني - تحقيق إبراهيم عصر- دار الحديث (د.ط.)، (د.ت)، ٤/١٦١٩.

٨- الحديد: ٢٠

٩- القصص: ٧٨

طول الأمل وحب الدنيا^(١). فليعلم طويل الأمل إنه لم يخلق عبثاً؛ لقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَطَلَقَ فَسَوَىٰ ﴿٣٨﴾ جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴿١﴾ و عليه فالإنسان لا يترك هملاً ؛ يعني لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث و الظاهر أن الآية تعم أي ليس يترك مهملاً ، لا يؤمر ولا ينهى ولا يترك في قبره سدًى لا يبعث ، بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة و المقصود هنا إثبات المعاد و الرد على ما أنكره من أهل الزيغ و الجهل و العناد ولهذا قال تعالى مستدلاً على الإعادة بالبداة فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ أي أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين . يمى : يراق من الأصلاب في الأرحام^(٢).

ولو تأمل الإنسان هذا الأمر لما طال أمله في الدنيا بعيداً عن طاعة الله ، ولأدرك الضعف الذي يعتريه ولأكثر من الرجوع لله عز وجل . وقال صلى الله عليه وسلم: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(٤) ولا يكون العتق إلا باعتزال الفساد ، و الضرار إلى الله تعالى ، يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٥) . وقد تمثل قصة قارون - في القرآن الكريم - جانب الطغيان بالمال و الغرور بالعلم ، و كيف أن مآلهما إلى الفناء ، إذا تسلطت الأهواء ، و سيطرت الأطماع ، و تحوّل الإنسان من مجرد مخلوق من مخلوقات الله إلى متجبر متكبر ، يعلو بنفسه فوق الناس ، ويزهو و يتعالى عليهم ، و ينظر إليهم بمنظار الاستعلاء و الاستكبار و ليعلم طويل الأمل من الناس ؛ أن كل شيء مآله إلى زوال ، و أن الباقي هو وجه الله ذو الجلال والإكرام^(٦) . و عليه يجب على المرء الحرص على طاعة الله و طاعة رسوله كما يجب الاستعداد ليوم الرحيل ، أي لا يكون المرء همّة الدنيا فحسب ، بل يجعل من الدنيا مطية الآخرة .

لأن الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم: «سجن المؤمن و جنة الكافر»^(٧) و قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصَار حين سمعوا بقدم أبي عبيدة بن الجراح من البحرين - وكان قد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم ليأتي بجزيته «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من

١- انظر: مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم، دار القلم الطبعة السابعة ١٤٣٠/٢٠٠٩م، ص ٢٢٩-٢٣٠ دمشق.

٢- القيامة: ٣٦-٤٠

٣- تهذيب تفسير ابن كثير ص ١١٥٩

٤- أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٥٥٦) ٢٠٢/١

٥- الذاريات: ٥٠

٦- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني - للدكتور أحمد جمال العمري مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية

١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص ٢٩٢

٧- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد و الرقائق حديث رقم (٢٩٥٦) ، ٢/٦٩٤

البحرين ؟ فقالوا: أجل يا رسول الله ! قال: «فابشروا و أملوا ما يسركم فوالله ! ما الفقر أخشى عليكم. و لكنني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها و تهلككم كما أهلكتهم»^(١)

و في رواية أخرى «فتلهيكم كما أهلتهم»^(٢) و في هذا دليل على النهي عن طول الأمل و الترغيب في قصر الأمل لأن طول الأمل يؤدي إلى الهلاك كما جاء في الحديث. فالذي يتأمل أحوال الناس في هذا الزمان، يعجب لأعمالهم يعيشون في هذه الدنيا، و كأنهم خلقوا لها و لشهواتها، لا يأبهون بقوله تعالى: ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ سُوفَ يَعْمُونَ ﴾^(٣). ذرهم فيما هم فيه من حياة حيوانية محضة للأكل و المتاع. لا تأمل فيه و لا تدبر و لا استطلاع. ذرهم في تلك الدوامة: الأمل يلهي و المطامع تغر، و العمر يمضي و الفرصة تضيع، ذرهم فلا تشغل نفسك بهؤلاء الهالكين، الذين ضلوا في متاهة الأمل و الغرور، يلوح لهم و يشغلهم بالأطماع، و يملي لهم فيحسبون أن أجلهم ممدود، و أنهم محصلون ما يطمعون لا يردهم عنه راد، و لا يمنعهم منه مانع. و صورة الأمل الملهي صورة إنسانية حية. فالأمل البراق ما زال يخاليل لهذا الإنسان، و هو يجري وراءه، و ينشغل به، و يتغرق فيه، حتى يجاوز المنطقة المأمونة؛ و حتى يغفل عن الله و عن القدر، و عن الأجل؛ و حتى ينسى أن هنالك واجبا، و أن هنالك محظورا؛ بل نسي أن هنالك إلها، و أن هنالك موتا، و أن هنالك نشورا^(٤). و لعل هذا هو الأمل القاتل الذي يؤمر الرسول صلى الله عليه و سلم أن يدعهم له (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) حيث لا ينفع العلم بعد فوات الأوان، و هو أمر فيه تهديد لهم، و فيه كذلك لمسة عنيفة لعلهم يصحون من الأمل الخادع الذي يلهيهم عن المصير المحتوم^(٥).

المطلب الثاني

قصر الأمل و التفكير في حقارة الدنيا

يقول الله تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَبُّهُ مَضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾^(٦)

١- أخرجه مسلم في كتاب الزهد حديث رقم (٢٩٦١)، ٢٩٥/٢

٢- أخرجه مسلم في كتاب الزهد حديث رقم (٢٩٦٢)، ٢٩٥/٢

٣- الحجر: ٢

٤- سيد قطب، في ظلال القرآن

٥- في ظلال القرآن ٤ / ٢١٢٦

٦- الحديد: ٢٠

يقول تعالى موهنا أمر الحياة الدنيا ومحقرا لها: ﴿...أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...﴾ أي: إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ﴾^(١) ثم ضرب الله مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال: (كَمَثَلِ غَيْثٍ) وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس... إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ أي هي متاع فان غار لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها و تعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى دار الآخرة^(٢). دعا الرسول صلى الله عليه وسلم لقصر الأمل بقوله لابن عمر: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، و عد نفسك في أهل القبور»

وقال ابن عمر: «إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا»^(٣). وهذا دليل على حقارة الدنيا، ونهيل عن التمسك بها. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وكثرة المال»^(٤) يترتب على هذه الأقوال الزهد في الدنيا، والتقليل منها؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْرِبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفِصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾^(٥) ضرب تبارك وتعالى مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجته الله من الأرض، بما أنزل من السماء، مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها، حتى إذا أخذت الأرض زينتها الفانية، بما خرج من رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان، وظن الذين زرعوها وغرسوها أنهم قادرون على حصادها، جاءتهم صاعقة أو ريح شديدة، فأبيست أوراقها وأتلف ثمارها^(٦).

١- آل عمران: ١٤

٢- المصباح المنير في تهذيب ابن كثير، ص ١٠٨٢-١٠٨٣

٣- أخرجه الترمذي في كتاب الزهد - باب ما جاء في قصر الأمل ٢٩٧/٤.

٤- أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في قلب الشيخ شاب في اثنين، ٢٩٩/٤.

٥- يونس: ٢٤

٦- انظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص ٤٨٥

يبين الله عز وجل الحجج والأدلة (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيعتبرون بهذا المثل في زول الدنيا من أهلها سريعا مع اغترارهم بها، وتمكنهم وفتتتهم بمواعيدها، وتقلتها عنهم، فإن من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها، وقد ضرب الله تعالى مثل الدنيا بنبات الأرض في غير ما آية من كتاب العزيز^(١). فقال في سورة الكهف: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾^(٢) وكذا في سورة الزمر^(٣)؛ والحديد^(٤). والآيات التي يضرب الله بها مثل الحياة الدنيا كثيرة. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا و اتقوا النساء»^(٥) وقال عليه أفضل الصلاة والتسليم: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع»^(٦) ففي هذا دليل على حقارة الدنيا وإنها لا تسوي شيئا. لذلك يجب أن لا تركز إلى الدنيا، ولا تتخذها وطناً، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله^(٧)

يقول صلى الله عليه وسلم: «إزهد في الدنيا يحبك الله، وإزهد فيما عند الناس يحبك الناس»^(٨) لذا يجب أن يحمل المرء نفسه على الزهد في الدنيا، لقوله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة التفكير، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة»^(٩).

قال صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يموت إلا ندم»، قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: «إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع»^(١٠) فحتى لا يحصل الندم المشار إليه في الحديث علينا الزهد في الدنيا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كفى بالموت مزهداً في الدنيا، ومرغبا في الآخرة»^(١١)

١- المصباح المنير ص ٤٨٥.

٢- الكهف: ٤٥.

٣- سورة الزمر الآية (٢٩)

٤- سورة الحديد الآية (٢٠)

٥- أخرجه مسلم ٢١٩٢/٤

٦- أخرجه مسلم وأحمد مسنده، ٢٢٨/٤.

٧- رياض الصالحين ص ٢٢٦.

٨- حديث حسن أخرجه بن ماجه وغيره بأسانيد حسنة رياض الصالحين ٤٧٢، ص ٢٢٦

٩- أخرجه الديلمي في الفردوسي: ١١٨/٢.

١٠- أخرجه الترمذي في كتاب: الزهد، باب: ما جاء في ذهاب البصر، حديث رقم (٢٢٢٧).

١١- أخرجه أحمد في ١٣٥/١

هذا وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل بيته: أما بعد ، فإنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك و نهارك ، بغض إليك كل فان ، وحبب إليك كل باق^(١).

بناء على ما تقدم يتبين لنا ؛ أن القرآن مملوء بالتزهد في الدنيا و الإخبار بخستها وقتها وانقطاعها ، وسرعة فنائها . والترغيب في الآخرة و الإخبار بشرفها ودوامها فإذا أراد الله بعبده خيراً أقام في قلبه شاهداً يعاين به حقيقة الدنيا و الآخرة ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيتار^(٢) . كما قال تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾^(٣) فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود ولا يأسف منها على مفقود .

والزهد في الدنيا قصر الأمل^(٤) وهذا هو المرجو من الفرد المسلم الذي يجب أن لا يشغله طول الأمل عن ذكر الله و ذكر الموت .

ومن أحسن ما قيل في الزهد: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك وأن تكون في ثواب المصيبة - إذا أصبت بها - أرغب منك فيها لو لم تصيبك فهذا من أجمع كلام في الزهد و أحسنه^(٥)

من كل هذا يتضح أن طول الأمل مذموم ، وعلينا أن نقلع عن ذلك الفعل الذي يبعد عن طاعة الله ، ويورث الغفلة عن الآخرة . فالثقة بالأمل توجب الفتور والتواني^(٦) . الذي يلهي صاحبه عن ذكر الله ، والعمل للآخرة .

وأخرج الترمذي في سننه: أن رجلاً قال: يا رسول الله و أي الناس خير ؟ قال : «من طال عمره وحسن عمله» قال : فأأي الناس شر ؟ قال : «من طال عمره وساء عمله»^(٧) فطول العمر في طاعة الله خير من طول الأمل في الدنيا و حبها ، دون العمل للآخرة . بناء على ذلك يجب على العبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً ، ويكون خوفه و رجاؤه سواء ، وفي حال المرض يمحض الرجاء . وقواعد الشرع من الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك^(٨) قول الرسول صلى الله عليه

١- انظر : شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، (د.ت) ، ص ٣٠

٢- انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١) ، مكتبة الإيمان، طبعة ١٤١٩/١٩٩٩ م ، ٨/٢

٣- الحديد: ٢٢

٤- مدارج السالكين ٨/٢

٥- المرجع السابق نفسه ١٠/٢

٦- المرجع السابق نفسه ٤/٣

٧- أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب ما جاء في طول عمر المؤمن ، حديث رقم (٢٢٢٩)

٨- رياض الصالحين ص ٢١٥

وسلم: «إن الدنيا حلوة خضرة»^(١). وإن الله مستخلفكم فيها^(٢). فينظر كيف تعملون. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء^(٣). فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء^(٤). تحذير واضح يجب الوقوف عنده، والعمل به، وإلا فالهلاك واقع لا محالة.

المبحث الثاني

الغفلة عن الآخرة

أن يجعل المرء الدنيا همه ، ويغفل عن الآخرة ؛ لهو الخسران المبين، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه مزهداً في الدنيا ومرغباً في الآخرة : «إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل: فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، إلا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة الأواوين الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل»^(٥)

وهذا قول مهم ليعمل المرء للآخرة . يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٦).

أي : ما حالكم إلا حال من رضي بالدنيا ، وسعى لها ، ولم يبال بالآخرة ، فكأنه ما آمن بها ، (فما متاع الحياة الدنيا) التي مالت بكم ، وقد متموها على الآخرة (إلا قليل) أليس قد جعل الله لكم عقولاً تزنون بها الأمور؟ وأيها أحق بالإيثار؟ ، أفليست الدنيا من أولها إلى آخرها لانسبة لها في الآخرة؟. فما مقدار عمر الإنسان القصير جداً في الدنيا فبأي رأي رأيتم إيثارها على الدار الآخرة، الجامعة لكل نعيم؟^(٧) لذا ابن كثير يقول : «إن أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وإكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكاء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عما ينفعهم

١- يحتمل أن المراد شيئان : أحدهما حسنهما للنفوس ونضارتها ولذتها. كالفاكهة الخضراء الحلوة ، فإن النفوس تطلبها طلباً حثيثاً. فكذا الدنيا. والثاني سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين .

٢- أي جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم ، فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم

٣- اجتنبوا الافتتان بها وبالنساء.

٤- أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، حديث رقم (٢٧٤٢)، ٤/٢٠٩٨

٥- صفة الصفوة، للإمام جمال الدين القرشي البكري البغدادي المعروف بابن الجوزي، تحقيق د. عبد الحميد هندواي، المكتبة العصرية صيدا - بيروت، طبعة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م / ١٠٧/١

٦- التوبة: ٣٨

٧- أنظر: تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي، مطبعة المدني ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م، ٢/٢٤٦.

في الدار الآخرة كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة»^(١) فيقول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾^(٢)، (يعملون ظاهراً من الحياة الدنيا) فينظرون إلى الأسباب، ويجزمون بوقوع الأمر، الذي في رأيهم، انعقدت أسباب وجوده، ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده، شيئاً فهم واقفون مع الأسباب، غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها^(٣). وحين يدرك المرء الموت ينتبه من الغفلة ولات ساعة مندم فقد جاء في المصباح المنير: (لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة، قال: اتتوني بكفني الذي أكفن فيه أنظر إليه فلما وُضع بين يديه نظر إليه فقال: «أما لي من كبير ما أخلف من الدنيا إلا هذا؟ ثم ولى ظهره فبكى وهو يقول: أف لك من دار إن كان كثيرك لتليل، وإن كان قليلك لتقصير، وإن كنا منك لفي غرور»^(٤)) وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ قد توجهت قلوبهم، وأهواؤهم وإراداتهم، إلى الدنيا وشهواتها، وحطامها، فعملت لها، وسعت وأقبلت بها، وأدبرت، وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها، ولا النار تخافها وتخشاها، ولا المقام بين يدي الله يروعها ويزعجها، وهذا علاقة الشقاء، وعنوان الغفلة عن الآخرة^(٥)

وقد جاء عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: منبها عن الغفلة: «الحمد لله أحمده وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليزيح به علتكم، وليوقظ به غفلتكم، واعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت، وموقتون على أعمالكم، ومجزيون بها، فلا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالغناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال، وهي من بين أهلها دول وسجال، ولا تدوم أهوالها، ولن يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها منها في رخاء وسرور، إذا هم منها في بلاء وغرور...»^(٦) فهذه موعظة عالم برية، موقن بحسابه وعقابه، منبه لقلوب غافلة عن الآخرة والعمل لها.

يا عجباً أنس بالدنيا مفارقها، وأمن النار واردها، كيف يغفل من لا يُغفل عنه، كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره، كيف يلهو من يقوده عمره إلى أجله؟^(٧)

١- المصباح المنير ص ٨٢٥.

٢- الروم: ٧

٣- تيسير الكريم الرحمن ٢/٧٦.

٤- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٤٥٤.

٥- تيسير الكريم الرحمن ٢/٧٦ - ٧٧

٦- صفة الصفوة ١/١٠٧

٧- الرحلة إلى الدار الآخرة ص ٢٦

فما مقدار عمر الإنسان القصير جداً في الدنيا، حتى يجعله الغاية التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه وكده وهمه، لا يتعدى الحياة الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار المشحونة بالأخطار^(١).

ما لكم فعلتم هكذا أَرْضَيْتُمْ منكم بالدنيا بدلاً من الآخرة؟ ثم زهد الله تبارك وتعالى في الدنيا، ورغب في الآخرة^(٢)، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٣)

ومن العجب أن كثيراً من الناس انشغل بالدنيا، وغفل عن الآخرة علماً بأن هذا القسم من الناس، قد بلغت بكثير منهم، الفطنة والذكاء، في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول، ويدهش الألباب، وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية، والمراكب البرية والبحرية، والهوائية، ما فاقوا به وبرزوا، وأعجبوا بعقولهم، ورأوا غيرهم عاجزاً عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء، وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم، وأشدهم غفلة عن آخرتهم، وأقلهم معرفة بالعواقب^(٤).

وكان ينبغي أن يتفكروا في قدرة الله وعظيم خلقه، حتى تزدهم اكتشافاتهم واختراعاتهم معرفة بالله وإيماناً به.

وقد جاء عن عبد الله بن عباس أنه قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتفاعي بكتاب كتب به إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه كتب: «أما بعد فإن المرء يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه، ويسره درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه حزناً، وليكن همك فيما بعد الموت»^(٥)

وفي هذا تأكيد على الحرص على العمل لما بعد الموت أي للآخرة.

ومن أمراض الغفلة:

داء العجب^(٦):

حين استغرق القوم مشاهدة النعم وعميت بصائرهم عن المنعم، وشغلوا أنفسهم بالخلق عن

١- انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٢٤٦/٢

٢- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص ٤٥٤

٣- التوبة: ٢٨

٤- تفسير تيسير الكريم الرحمن ٧٧/٢

٥- صفة الصفوة ١/١٠٩

٦- د. خالد أحمد أبو شادي، صفقات رابحة كيف تحجز مقعداً في الجنة، دار البشير للثقافة والعلوم ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ١٨٩

الخالق ، وغاب عنهم أنه ما أنعم عليهم إلا ليدلهم على نفسه ، وما شملهم بفضله إلا ليسلكوا طريق شكره ، ظهر فيهم داء العجب

ولذلك تزداد الغفلة عن الآخرة فيمن استشرى فيهم داء العجب ، ويجد إبليس ضالته فيمن أصابهم هذا الداء^(١) .

وما العجب إلا الغرور ، والمغرور إنسان نفخ الشيطان في دماغه ، وطمس من بصره ، وأضعف من ذوقه ، فهو مخلوق مشوه^(٢) .

يقول الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾^(٣) . يقول صاحب الظلال: «مطلع قوي يهز الغافلين هذا . والحساب يقترب وهم في غفلة . والآيات تعرض وهم معرضون عن الهدى . والموقف جد وهم لا يشعرون بالموقف وخطورته ... (لا هية قلوبهم) والقلوب هي موضع التأمل والتدبر والتفكير .

إنها صورة للنفوس الفارغة التي لا تعرف الجد ، فتلهو في أخطر المواقف ، وتهزل في مواطن الجد؛ وتستهتر في مواقف القداسة»^(٤) .

ويبدو أن هذه الصورة تجسد الواقع الذي يعيشه الناس اليوم ، يواجهون اقتراب الحساب بالغفلة ، وهؤلاء موجودون في كل زمان .

جاء رجل لعامر بن ربيعة^(٥) فأكرم مثواه .. ثم جاءه هذا الرجل وقد أصاب أرضاً فقال له : إني استقطعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وادياً في العرب . وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك ، فقال عامر : لا حاجة لي في قطيعتك . نزلت اليوم سورة^(٦) أذهلتنا عن الدنيا: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾^(٧)

وهذا هو فرق ما بين القلوب الحية المتلقية المتأثرة ، والقلوب الميتة المغلقة الخاملة . التي تكفن ميتها باللهو ؛ ولا تتأثر بالذكر لأنها خاوية من مقومات الحياة^(٨) .

١- انظر: صفقات رابعة ، ص ١٨٩

٢- انظر : د. مصطفى السباعي - هكذا علمتني الحياة - دار السلام للطباعة والنشر - السادسة ١٤٢١هـ / ٢٠١٠م - ص ٢٠ .

٣- الأنبياء: ١

٤- سيد قطب . في ظلال القرآن - بيروت - لبنان ، الطبعة السابعة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، ١٣/٥١٦

٥- عامر بن ربيعة بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة ، أحد السابقين الأولين ، هاجر إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة ، شهد بدرًا ومن بعدها مات سنة اثنين وثلاثين ، وقيل سبع وثلاثين ، كان موته بعد مقتل عثمان رضي الله عنه بأيام . انظر الإصابة في تمييز الصحابة لشهاب الدين أبي الفضل أحمد علي بن محمد علي العسقلاني ، طبعة دار الفكر ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ٢/٢٤٩ .

٦- سورة الأنبياء

٧- الأنبياء: ١

٨- في ظلال القرآن ١٣/٥١٧

يقول القرطبي عن آية سورة الأنبياء: «**وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ**» ابتداء وخير وفيه وجهان: أحدهما: «**وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ**» يعني بالدنيا عن الآخرة. والثاني: «عن التأهب للحساب واما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم»^(١). وقال النسفي: «**وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ**» عن حسابهم واما يفعل بهم، ثم (مُعْرِضُونَ) عن التأهب لذلك اليوم، فالاقتراب عام، والغفلة والإعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين، فرب غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه وإعراضه عن مولاه، ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه وإعراضه عن دنياه فهو لا يفيق إلا برؤية المولى، فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب، وتتبه للعرض قبل أن تتبه، وتعرض عن الغافلين، وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين»^(٢).

وتناول الطبري الغفلة التي يصاب بها الناس بقوله: «لا يعتبرون ولا يتفكرون في وعده ووعيده، ولكن يستمعونه وهم يلعبون **﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾**^(٣) أي غافلة»^(٤) إلا أن صاحب الأساس في التفسير يرى أنه وبرغم أن الآيات المتقدمة تتحدث عن الكافرين؛ إلا أن فيها فوائد لخصها في الآتي:-

كثير من أخلاق الكافرين يمكن أن يبتهل بها المؤمنون، ومن ثم فإن على المسلم أن يلاحظ نفسه متخلقاً به وهو لا يشعر.

بمناسبة قوله تعالى: «**لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ**» أي القلب اللاهي: المشغول بزينة الحياة وزهرتها، الغافل عن الآخرة وأهوالها»^(٥).

لذلك فالمؤمن العامل ينبغي له أن يجعل مقصوده، وغايته التي يعمل لأجلها، الوصول إلى الله، وإلى دار كرامته، فذلك يكون عمله خالصاً نافعاً، وبفواته يكون عمله باطلاً^(٦).

ومن كل ما تقدم يتبين أن القرآن مملوء من التزهيد في الدنيا والإخبار بخصتها وقتلها وانقطاعها، وسرعة فنائها، والترغيب في الآخرة والأخبار بشرفها ودوامها، فإذا أراد الله بعبده خيراً أقام في قلبه شاهداً يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار^(٧).

١- تفسير القرطبي ١٢١/٦.

٢- تفسير النسفي للإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي دار الكتاب العربي بيروت - لبنان، طبعة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ٧١/٣.

٣- الأنبياء: ٣

٤- تفسير الطبري ٥٦٦٨/٧.

٥- أنظر: الأساس في التفسير، سعيد حوي، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة السابعة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ٤٨/٤ - ٥٠.

٦- أنظر: تفسير الكريم الرحمن ٢٨٦/٤ - ٢٨٧.

٧- مدارج السالكين، ٨/٢.

وأبلغ ما رأيت في تصوير مشهد سورة الأنبياء، ما ذكره سيد قطب في مقدمة تفسيره للسورة :
«والسياق في سورة الأنبياء يبدأ بمطلع قوي الضربات، يهز القلوب هزاً، وهو يلفتها إلى الخطر
القريب المحقق، وهي عنه غافلة لاهية^(١) ومثل هذا التعبير يثير الخوف في النفوس، ونجد أن
صاحب مدارج السالكين أثنى على الخوف في النفوس وبين فوائده بقوله: الخوف يثمر الورع
والاستعانة وقصر الأمل، وقوة الإيمان بقاء الآخرة تثمر الزهد^(٢). فالإنسان يصحو كل صباح
على آمال عراض، وينسى أنه مهما سعى لتحصيلها فلن يدرك منها إلا ما كتب له.

وعلياً أن ندرك أن طول الأمل كان سبباً في هلاك كثير من الأمم قال النبي صلى الله عليه وسلم:
«صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل»^(٣).

ونخلص إلى أن طول الأمل هو سبب الغفلة عن الآخرة، حتى أننا نجد بعض المسلمين يطمعون في
تحصيل آمال عراض، دون ربطها . بمشيئة الله، ودون أدنى تفكير في الموت. وقصر الأمل سببه
التفكر في المآل، وهول السؤال، لذلك نجده يرتبط بالزهد ارتباطاً وثيقاً.

والعلاقة بين الحياتين الدنيا والآخرة علاقة وثيقة، لان المسؤولية الاجتماعية في الدنيا هي نتيجة
لازمة لعلاقة المسؤولية في الآخرة، وتتطابق معها، وهي الحلقة التي تربط بين مواقف الانسان
في الدنيا والآخرة وتجعلهما طورين متعاقبين من الابتلاء والجزاء^(٤)

لذا يجب العمل لكليهما، لتكون الدنيا مطية الآخرة، فاستحباب الحياة الدنيا علي الآخرة،
يستصطدم بتكاليف الايمان ويتعارض مع الاستقامة علي الصراط. وليس الامر كذلك حين
تستحب الآخرة، لانه عندئذ تصلح الدنيا، ويصبح المتاع بها معتدلاً، ويراعى فيه وجهه، فلا يقع
التعارض بين استحباب الآخرة ومتاع الدنيا^(٥).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خط النبي صلى الله عليه وسلم خطوطاً فقال: «هذا الأمل
وهذا اجله فبينما هو كذلك اذ جاءه الخط الأقرب»^(٦)

والخط الاقرب هو الاجل، لذا لا بد من العمل لاجل الآخرة.

١- في ظلال القرآن، طبعة دار الشروق، الطبعة الأولى ١٩٧٢، ٢٣٦٦/٤.

٢- مدارج السالكين، ٢٠/٢.

٣- رواه أحمد في الزهد والطبراني في الأوسط، صحيح الجامع ٢٨٤٥.

٤- موسوعة نضرة التعميم في مكارم اخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم - اعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن
عبد الله بن حميد امام وخطيب الحرم المكي، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع
- السعودية الطبعة السابعة ١٤٢١ هـ - ٢٠١٠ م، ٤/١

٥- في ظلال القرآن ٤ / ٢٠٨٦

٦- أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الامل وطوله، ٧ / ١٧١

الخاتمة

وتشمل على أهم النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج :

تناول المبحث الأول : كيف أن كثيراً من الناس يحرص على الحياة الدنيا ، ويعيش لدنياه فقط ، وهذا ما عرف بطول الأمل ، وأثبت البحث أنه مذموم لأنه يرتبط بالغفلة عن الآخرة .

• كما بين أن صاحب الأمل الطويل يركن غالباً إلى الشهوات والملذات، ولا يتحرك قلبه لآيات الله، ولا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا جاء تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من طول الأمل.

• أوضح البحث أن طول الأمل داء عضال ومرض مزمن كما سماه أحد المفسرين.

• أكد البحث أن الأمل يكسل عن العمل ، ويورث التراخي والتواني، كما أن قصر الأمل يبعث على العمل، ويحيل على المبادرة ، ويحث على المسابقة.

• ركز البحث على أهمية ذكر الله تعالى وبيّن أنه من أعظم أسباب النجاة من مخاوف عذاب الآخرة، وهو من المنجيات من عذاب الدنيا ومخاوفها.

• أوضح البحث اهتمام السلف الصالح بذكرى الموت، وكيف أنه يزهد في الدنيا، ويرغب في الآخرة.

• وتناول المبحث الثاني: حقارة الدنيا، والزهد فيها. فالزاهد لا يفرح من الدنيا بوجود، ولا يأسف منها على مفقود.

• أوجب البحث على العبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً.

• حذر البحث من الفتنتين؛ الدنيا والنساء.

• أكد البحث الخسران المبين لمن جعل الدنيا همه، وغفل عن الآخرة.

• أبرز البحث ذم القرآن الكريم لمن هم عن الآخرة هم غافلون.

• كما بين أهم أمراض الغفلة، وهو (داء العُجب).

ثانياً التوصيات:

(١) الاهتمام برسائل تذكر بحقارة الدنيا والعمل للآخرة كرسائل (كفى بالموت واعظاً) ونحو ذلك.

(٢) تغذية النفس البشرية بالقيم الروحية ، الذي يحد من انطلاقها وراء الأمل الذي يؤدي للهلاك في الدنيا والآخرة.

الفرقة بالخلع وآثارها الشرعية

مقدمة البحث.

الحمد لله الذي شرح قلوب العارفين بنور هدايته وزينها بالإيمان، أحمدته حمد عارف لعظمته مقرر بوحدانيته، وأزكى الصلاة وأتم السَّلام على من خُتمت به الرسالة سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، المخصوص بإظهار ملته على الملل كلها، ودوام شريعته إلى آخر الدهر ونهايته، وعلى آله الكرام وجميع صحابته وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين.

أما بعد فإنني في هذا البحث أحاول قدر المستطاع مناقشة موضوع الخلع، الذي هو أحد طرق إنهاء العلاقة الزوجية في الشريعة الإسلامية، وإنني اخترت الكتابة في هذا الموضوع لأنه من المواضيع التي تبقى متجددة ومتكررة ما دامت الحياة قائمة ومستمرة، ويكثر الطرح والجدل حولها بين الفينة والأخرى، بالإضافة إلى أن الخلع وأحكامه الشرعية من المواضيع الدقيقة جداً التي يشتهر بعضها ببعض، ويختلف فيها اجتهاد الفقهاء، لذلك فإن البحث فيه، وبيان تفاصيله من الأهمية بمكان.

وأنا من خلال هذا البحث لا أدعي أنني جئت بشيء جديد من حيث المعلومات، فكل ما ذكر في بحثي موجود في كتب الأئمة المتقدمين والمتأخرين الذين بحثوا في الموضوع، ولكني إن فعلت شيئاً في هذا البحث، فإنما هو في جمع ما ناقشه المتقدمون والمتأخرون على المذاهب الأربعة المعتمدة، وصياغة الأفكار بشكل مترابط، والترجيح بين الأقوال على ضوء الأدلة، وعرض ما تناولته عامة القوانين العربية في ذات الموضوع.

وإنني في عملي هذا أسأل الله تعالى الخلاص والتوفيق.

خطة البحث:

المبحث الأول: مفهوم الخلع.

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي.

المطلب الثاني: مشروعية الخلع.

فرع: مشروعية الخلع في الكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

فرع: مشروعية أخذ العوض من الزوجة للفرقة بالخلع.

فرع: مشروعية إمساك المرأة ضراراً لتختلع.

المطلب الثالث: الحكمة من تشريع الخلع.

المبحث الثاني: الطبيعة الفقهية للخلع.

المطلب الأول: التكيف الفقهي للخلع.

المطلب الثاني: الأحكام المبنية على كون الخلع يميناً أو معاوضة.

المطلب الثالث: طبيعة الفرقة الثابتة بالخلع.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الفرقة بالخلع.

المطلب الأول: المهر.

المطلب الثاني: العدة.

المطلب الثالث: نفقة العدة.

المبحث الرابع: الاتجاه القانوني في الخلع (المخالعة الرضائية)

المطلب الأول: الخلع في بعض قوانين الأحوال الشخصية العربية.

المطلب الثاني: حكم الخلع بحاكم وبدون حاكم.

المطلب الثالث: صاحب الحق في الفرقة.

خاتمة.

المبحث الأول: مفهوم الخلع

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي

أولاً: في اللغة

الْخَلْعُ بالفتح مصدر خَلَعَ يَخْلَعُ على وزن مَنَعَ يَمْنَعُ، من خلع الرجل ثوبه ونعله وقائده، وَخَلَعَ امرأته خُلْعاً بالضم، وَخُلِعَ الوالي أي عُزِلَ، وخالعت المرأة بعلمها: أرادتة على طلاقها ببذل منها له، فهي خالعة، والاسم الخُلْعُ بالضم، وقد تخالعا واختلعت فهي مَخْتَلَفَةٌ.

والخُلْعُ هو استعارة من خلع اللباس، لأن كل واحد منهما - أي الزوجين - لباس للآخر فإذا فعلا ذلك فكأن كل واحد منهما نزع لباسه عنه، ففي قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِيَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ لَّهُنَّ﴾^(١) وفي الدعاء «ونخلع ونهجر من يكفرك» أي نبغضه ونتبرأ منه.

ويطلق الخلع في اللغة على عدة أمور، منها: فصل القبيلة رجلاً منها سلوكه حتى لا تتحمل جريرته، فهو خليع ومخلوع، ومنها: التواء العرقوب^(٢) وانتقاله من محله، كما يطلق على النزع والإزالة^(٣).
ثانياً: في الاصطلاح.

أطلق الفقهاء الخُلْعَ بضم الخاء على فِصْمِ عُرْوَةِ النِّكَاحِ المنعقدة بين الزوجين، ومفارقة الرجل زوجته بعوض منها أو من غيرها، وربما أراد به بعضهم الطلاق على مال فأنحصرت أقوالهم في معناه على النحو التالي:

- تعريف الحنفية: إزالة ملك النكاح المتوقف على قبولها بلفظ الخُلْعِ أو ما في معناه^(٤).
- تعريف المالكية: إزالة العصمة بعوض من الزوجة أو غيرها^(٥).
- تعريف الشافعية: فرقة بين الزوجين بعوض بلفظ طلاق أو خلع^(٦).
- تعريف الحنبلية: فراق الزوج امرأته بعوض يأخذه منها أو من غيرها بألفاظ مخصوصة^(٧).

ومن خلال هذه التعاريف المتقاربة يمكن اعتبار الخلع:

إزالة ملك النكاح من الزوج بلفظ الخلع أو ما في معناه

مقابل عوض تلتزم به الزوجة أو غيرها للزوج

١- البقرة: من الآية ١٨٧

٢- العرقوب: العصب الغليظ الموتر فوق عقب الانسان الصحاح في اللغة مادة (عرقب)

٣- الصحاح في اللغة، القاموس المحيط، لسان العرب، المصباح المنير، مادة (خلع).

٤- حاشية ابن عابدين (٧٦٦/٢) وما بعدها، فتح القدير (١٩٩/٣)، اللباب (٦٤/٣)، المبسوط (١٧٢/٦).

٥- حاشية العدوي (٢٢٨/٥).

٦- مغني المحتاج (٢٦٢/٢)، المجموع شرح المهذب (٥٢/١٧).

٧- المغني لابن قدامة (٦٧/٧)، شرح منتهى الارادات (١٠٧/٣)، كشاف القناع (٢٣٧/٥).

المطلب الثاني: مشروعية الخلع.

فرع: مشروعية الخلع بالكتاب والسنة والإجماع

أجاز فقهاء المذاهب الأربعة الخلع عموماً عند توافر أسبابه، واستدلوا على ذلك من الكتاب والسنة والإجماع^(١).

فأما الكتاب ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُفِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُفِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ...﴾^(٢)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّن لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاكُلُوهُ هُنَيْئًا مَرِيئًا﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾^(٤)

وجلي أن هذه الآيات الكريمة أباحت الفرقة بين الزوجين دفعاً للضرر مع تعويض الزوج عما أنفقه في الزواج^(٥)

وأما من السنة النبوية الشريفة فما رواه البخاري والنسائي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «أَنَّ امْرَأَةً ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعْتَبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْبَلِ الْحَدِيثَ وَطَلِّقِيهَا تَطْلِيقًا»^(٦).

وروى أبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما «أَنَّ امْرَأَةً ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ اخْتَلَعَتْ مِنْهُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- عِدَّتَهَا حَيْضَةً»^(٧)

وفي مرسل أبي الزبير عند الدارقطني والبيهقي «أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ بَنَ شَمَّاسٍ كَانَتْ عِنْدَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُلُوفٍ، وَكَانَ أَصْدَقَهَا حَدِيثَةً، فَكْرَهَتْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرَدِّينَ حَدِيثَهُ الَّتِي أَعْطَاكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ وَزِيَادَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا الزِّيَادَةُ

١- حاشية ابن عابدين (٧٦٧/٢)، المبسوط (١٧١/٦)، بداية المجتهد (٦٦/٢)، المدونة الكبرى (٢٣١/٢)، مغني المحتاج (٢٦٢/٣)، المهذب (٧٥/٢)، المغني (٥١/٧).

٢- البقرة: من الآية ٢٢٩

٣- النساء: ٤

٤- النساء: من الآية ١٢٨

٥- تفسير ابن جرير (١١٠/٨-١٣٢)

٦- صحيح البخاري-باب الخلع وكيفية الطلاق فيه- رقم الحديث (٤٩٧١)، سنن النسائي- باب الطلاق- رقم الحديث (٢٤٦٢)، وقال: حديث حسن غريب. وقد ذكر ابن حجر أنه في مرسل أبي الزبير عند الدارقطني والبيهقي ما نصه: (أترددين عليه حديثه التي أعطاك قالت نعم وزيادة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: أما الزيادة فلا ولكن حديثه، قالت: نعم فأخذ ماله وخلق سبيلها) انظر فتح الباري ٣٢٢/٩.

٧- سنن أبو داود - رقم الحديث (٢٢٣١) واللفظ له، سنن الترمذي - رقم الحديث (١١٨٥)

فَلَا وَلَكِنَّ حَدِيثَهُ، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخَذَهَا لَهُ وَخَلَّى سَبِيلَهَا فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ ثَابِتَ بَنَ قَيْسٍ قَالَ قَدْ قَبِلْتُ قَضَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١)

وأما الإجماع، فقد أجمع أهل العلم^(٢) على مشروعية الخلع، ولم يخالف هذا الإجماع سوى أبو بكر بن عبد الله المزيني، حيث كان يرى أن الخلع حرام، فلا يحل للزوج أن يأخذ من زوجته شيئاً مقابل إطلاق سراحها^(٣).

وروى هذا الإجماع كثيرون، فقد ذكر في المغني قوله: «وإنه قول عمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم لم نعرف لهم في عصرهم مخالفاً، فيكون إجماعاً»^(٤).

هذا دليل الإجماع، والإجماع حجة قاطعة إذا استقل بنفسه، فما بالك إذا كان مستنداً ومدعماً بالقرآن والسنة المطهرة الصحيحة كما تقدم.

وكذلك استدلووا على جوازه بالمعقول، ذلك أن ملك النكاح حق الزوج، وقد تم باتفاق الزوجين على مال دفعه للزوجة (مهر)، فينحل باتفاقهما أيضاً على عوض ترده إليه، فجاز له أخذ العوض عنه كالتقصاص^(٥).

فرع: مشروعية أخذ العوض من الزوجة في الخلع

عوض الخلع هو: ما يأخذه الزوج من زوجته في مقابل خلعه لها، وقد ذهب المالكية والشافعية إلى جواز أخذ الزوج عوضاً من امرأته في مقابل فراقه لها، سواء كان العوض مساوياً لما أعطائها أو أقل أو أكثر منه، ما دام الطرفان قد تراضيا على ذلك، وسواء كان العوض منها أو من غيرها، وسواء كان العوض الصداق نفسه أو مالا آخر غيره أكثر أو أقل منه^(٦).

وذهب الحنبلية إلى أن الزوج لا يستحب له أن يأخذ منها أكثر مما أعطائها، بل يحرم عليه الأخذ إن عضلها ليضطرها إلى الفداء^(٧).

وفصل الحنفية، فقالوا: إن كان النشوز من جهة الزوج كره له كراهة تحريم أخذ شيء منها، لقوله تعالى: «وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا

١- سنن الدارقطني- رقم الحديث (٢٢١)، (٢/ ٢٦٤)، وسنن البيهقي- رقم الحديث (١٤٦٢٦) - (٧/ ٣١٤)

٢- تبيين الحقائق (٢/ ٢٦٧) - بداية المجتهد (٢/ ٥٧). مغني المحتاج (٢/ ٢٦٢)

٣- الشرح الكبير (٧/ ٢٤٦)

٤- انظر المغني مع الشرح الكبير (٨/ ١٧٤).

٥- تبيين الحقائق (٢/ ٢٦٧)، بداية المجتهد (٢/ ٥٧)، مغني المحتاج (٣/ ٢٦٢)، حاشية القليوبي (٣/ ٢٠٧)، نهاية المحتاج

(٦/ ٢٨٦)، تحفة المحتاج (٧/ ٤٥٧)، حاشية البجيرمي علي الخطيب (٣/ ٤١٢، ٤١١)، فتح الباري (٩/ ٣٩٥).

٦- حاشية الدسوقي (٢/ ٢٥٦)

٧- المغني (٧/ ٥٢)

فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْبَتِنَا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١﴾ . ولأنه أوحشها بالفراق فلا يزيد إحاشها بأخذ المال.

وإن كان النشوز من قبل المرأة لا يكره له الأخذ، وهذا بإطلاقه يتناول القليل والكثير، وإن كان أكثر مما أعطاه، لقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ (٢).

وقال القدوري: «إن كان النشوز منها كره له أن يأخذ منها أكثر مما أعطاه، لقوله صلى الله عليه وسلم في امرأة ثابت بن قيس: «أما الزيادة فلا» (٣) وقد كان النشوز منها، ولو أخذ الزيادة جاز في القضاء، وكذلك إذا أخذ والنشوز منه، لأن مقتضى ما ذكر يتناول الجواز والإباحة، وقد ترك العمل في حق الإباحة لمعارض، فبقي معمولاً به في الباقي» (٤).

وهنا أرى رجحان قول الحنفية، لأنه أكثر تفصيلاً وعدلاً بحق المرأة، فليس من العدل أن يقع على المرأة التي لم تسئ لزوجها عقابان، أحدهما هدم حياتها الزوجية والأسرية، والثاني دفعها للمال، فعلى الأقل لو أن هذا حدث معها وأرغمت على الدفع مع أن النشوز لم يكن منها فإنه مما يهدئ روعها أن تعلم أن فعل زوجها ارتكاباً لمحرم شرعاً.

وهذا الخلاف يسوقني إلى ذكره الفقهاء في شروط العوض، فقد اتفقوا على أن كل ما جاز أن يكون مهراً جاز أن يكون بدل خلع (٥). وعليه فإنه يجوز في عوض الخلع أن يكون مالاً معيناً أو موصوفاً، ويجوز أن يكون ديناً للمرأة على الزوج تسقطه عنه فتفتدي به نفسها، ويجوز أن يكون منفعة، وذلك كأن يخالعه على إرضاع ولده منها أو من غيرها بدون بدل مدة معلومة معينة، كما ذكر المالكية والشافعية، كما أضاف الحنبلية (٦)، بشرط أن يكون ذلك الحق حقاً للزوجة، أما لو كان العوض حقاً من حقوق الله تعالى، فإنه لا يجوز اعتباره عوضاً، لذا لا يجوز اعتبار إخراج المرأة من مسكنها الذي طلقت فيه عوضاً للخلع، لأن سكنها فيه إلى انقضاء العدة حق لله تعالى، لا يجوز لأحد إسقاطه لا بعوض ولا بغيره (٧).

١- النساء: ٢٠

٢- البقرة: من الآية ٢٢٩

٣- سبق تخريجه.

٤- تبين الحقائق (٢٦٩/٢)، البحر الرائق (٨٢/٤)، فتح القدير (٢٠٤٠٣/٣).

٥- الهداية في شرح الهداية (٢٢/٢)، تبين الحقائق (٢٦٩/٢)، شرح الخرشي (١٣/٤)، حاشية الدسوقي (٢٤٨/٢)، المهذب (٧٤/٢)، روضة الطالبين (٣٨٩/٧)، مغني المحتاج (٢٦٥/٣)، الكافي (١٥٢/٣)، كشاف القناع (٢١٨/٥).

٦- الشرح الصغير (٢٩٨/٢)، شرح الخرشي (٢٢/٤)، حاشية الدسوقي (٣٥٧/٢)، روضة الطالبين (٣٩٩/٧)، الكافي (١٥٦/٣)، المغني (٦٤/٧-٦٥).

٧- شرح الخرشي (١٥/٤)، شرح الزرقاني (٦٨/٤)، الدسوقي (٣٥٠/٢)، مغني المحتاج (٢٦٥/٣).

كما اتفق الفقهاء على أن العوض في الخلع إن كان معلوماً ومتمولاً ومقدوراً على تسليمه فإن الخلع يعتبر صحيحاً، أما إذا فسد العوض باختلال شرط من شروطه، كاختلال شرط المعلوماتية، أو المالية، أو القدرة على التسليم، ففي المسألة تفصيل:

إذا كان الخلع بالمجهول وبالمعدوم وبالغرر أو بما لا يقدر على تسليمه، فجمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والحنبلية على صحته، لأنهم يرون جواز العوض المجهول أو المعدوم أو ما سواه في الخلع، لأن الخلع عندهم إسقاط يجوز تعليقه وخلوه من العوض بالكلية، وهو مما يجري فيه التسامح^(١).

وقال الشافعية: لا يجوز الخلع على ما فيه غرر كالمجهول، وهو قول أبي بكر من الحنبلية في الخلع بالمجهول وبالمعدوم الذي ينتظر وجوده، وهو قياس قول أحمد، وجزم به أبو محمد الجوزي، لأنه عقد معاوضة، فلا يجوز على ما ذكر، كالبيع والنكاح، فلو خالع بشيء مما ذكر بانت منه بمهر المثل، لأنه المراد عند فساد العوض^(٢).

فرع: مشروعية الخلع بلا عوض

اختلف كان الفقهاء في حكم الخلع من غير عوض على أقوال:

ذهب الحنفية إلى أن الزوج إذا خلع زوجته من غير بدل، كأن قال لها خلعتك دون أن يذكر بدلاً ما، أو نصّ على نفي البدل، كان خلعه باطلاً، وليس معنى هذا أن عبارته لغو مطلقاً، بل ينظر، إن كان نوى في خلعه هذا الطلاق، أو دلّت قرائن الحال على ذلك، عدّ ذلك منه طلاقاً باتناً، ولا شيء على الزوجة من العوض، لأن ألفاظ الخلع كنايةات في الطلاق^(٣). وكذلك لو رافق لفظ الخلع العرف كان طلاقاً نافذاً، فإن لم ينو شيئاً، ولم يكن هنالك من القرائن أو العرف ما يدلّ على قصده الطلاق، كان لغواً.

أما المالكية فقد أجازوا الخلع بعوض وبلا عوض، فقالوا: «بانت منّ خالعت زوجها بعوض، بل وبلا عوض»^(٤).

ولكن إذا كان الخلع على عوض لزم الزوجة العوض والفُرقة، وإلاّ لزم الفُرقة ولم يلزم الزوجة شيء من العوض، وذلك لأن المالكية لا يرون البدل في الخلع ركناً من أركانه.

وأما الشافعية فقد اتفقوا على أن البدل ركن في الخلع، إلا أنهم لم يشترطوا ذكره، ولكن إذا ذكر

١- فتح القدير (٢٠٧/٣)

٢- المهذب (٧٤/٢)، مغني المحتاج (٢٦٥/٣)، كشاف القناع (٢٢٢/٥)، الكافي (١٥٣/٣)، المبدع (٢٣٣/٧)

٣- حاشية ابن عابدين (٤٨٨/٣)

٤- منح الجليل (١٨٣/٢).

كان للزوج المشروط فقط، وإذا لم يذكر كان له مهر المثل - كما تقدم-، فإذا نفي البطل صراحة بطل الخلع، وكانت الفرقة طلاقاً رجعيّاً، إذا نوى الزوج به الطلاق، أو دلت قرائن الحال عليه، لأنه كناية في الطلاق، فيقع الطلاق دون نية، فإذا كان كناية ولم ينو به شيئاً، ونفي البطل، بطل الخلع، وكان لغواً، ولم يقع به فرقة ما.

وفي قول للشافعية إن لفظ الخلع صريح في الطلاق نظراً لتعارف الناس عليه، فيقع به الطلاق بلا نية، ولكن الأول أصح^(١).

والحنبلية يفرقون بين حالين:

الأولى: أن تطلب الزوجة إلى زوجها خلعا فيخلعها، كأن تقول له: اخلعني فيقول لها: خلعتك، وهنا يصح الخلع به ويقع مجببه، سواء ذكرَ البطل أو لم يذكر، لأن الخلع ما كان من قبل النساء، فلا يخرج منه عن معناه انتفاء البطل ما دام الخلع من قبلهنّ، لكن إن ذكر بدل لزمها البطل، وإلا فلا شيء عليها.

والثانية: أن يبتدئ الزوج خلعه زوجته دون طلب سابق منها، وهنا يشترط ذكر البطل لصحة الخلع، فإذا ذكر كأن يقول لها: خلعتك على ألف فتقول: قبلت، فقد صحّ الخلع ولزم مجببه، وإن لم يذكر البطل، كأن يقول لها: خلعتك فقط، لم يصحّ الخلع، وهنا إذا نوى الزوج به الطلاق، أو قام من القرائن أو العرف ما يرجح نيته ذلك، وقع بقوله ذلك طلاقاً رجعيّاً، وإلا كان لغواً، لأن لفظ الخلع وما في معناه كناية في الطلاق، فتقع به طلاق رجعية مع النية أو دلالة العرف أو قرائن الحال^(٢).

فرع: حكم إمساك المرأة ضراراً لتختلع:

اختلف أهل العلم في حكم صحة الخلع حال عضل الزوج لزوجته حتى تختلع، وفي حكم استرداد العوض من الزوج، وكانوا في ذلك على قولين:

القول الأول: وهو قول مالك، والشافعية والحنبلية، وبه قال بعض الصحابة والتابعين^(٣) أن الخلع باطل والعوض مردود، لأنه عوض أكرهت المرأة على بذله بغير حق، فلم يستحق، كالثمن في البيع، والأجرة في الإجارة، والخلع هنا يبطل ويصبح طلاقاً رجعيّاً، لأن الرجعة إنما سقطت لأجل ملكية المال، فإذا لم يملك المال كان له الرجعة^(٤).

١- مغني المحتاج ٢/٢٦٨.

٢- المغني ٨/١٩٤-١٩٥.

٣- من هؤلاء الصحابة والتابعين عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، والشعبي والنخعي، والقاسم بن محمد وعروة وعمرو بن شعيب والزهري وغيرهم. انظر المجموع شرح المذهب (٦/١٧)، المغني (٧/٥٤-٥٥)

٤- المجموع شرح المذهب (٦/١٧)، المغني (٧/٥٤-٥٥)

واشترط مالك لصحة المخالعة أن يكون الخلع اختياراً من الزوجة وحباً في فراق الزوج من غير إكراه أو ضرر، فإن سقط أحد هذين الشرطين نفذ الطلاق ولم يلزم البدل^(١).

القول الثاني: وهو قول الحنفية: الخلع صحيح ويلزم العوض، ويعتبر الزوج آثماً عاصياً^(٢).

دليل القول الأول:

استدل أصحاب القول الأول بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾^(٣)، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾^(٤)

وكلا الآيتين الكريمتين تدلان على عدم جواز أخذ العوض إلا بسبب، وهو عدم إقامة حدود الله، وهو هنا أخذ الزوج للعوض في مقابل إكراهها على ذلك، فهو داخل في النهي الذي بينته الآية الكريمة.

دليل القول الثاني:

استدل الحنفية جرياً على قاعدتهم بأن النهي ورد على أمر خارج عن ذات المنهي عنه، ففي الآيات السابقة الذكر نهى الله تعالى عن العضل والإمساك ضراراً، ولكن الخلع من حيث هو عقد خارج عن حقيقة المنهي عنه قياساً على البيع وقت النداء من يوم الجمعة، فيكون مكروهاً لا باطلاً.

والسبب في عدم استرداد العوض من الزوج أنه أسقط ملكه عنها بعوض رضيت به، وهو من أهل الإسقاط، أما المرأة فهي من أهل المعاوضة^(٥).

والراجح بحسب ما أراه والله تعالى أعلم هو ما ذهب إليه الحنفية، إذ إن عناصر وقوع الفرقة بالخلع متوافرة، سواء كان بإكراه الزوجة أو عدمه، ووقوع الخلع إنما هو مرتبط بتوفر عناصر الخلع، ألا وهي صدور ألفاظ مخصوصة من الزوج في مقابل عوض مالي من الزوجة أو غيرها، أما مسألة أن العوض المالي الذي أخذ من الزوجة بإكراه أو من دون إكراه فهو أمر خارج عن ذلك، فيكون مكروهاً لا باطلاً. تعليق المجلة: هذا إجتهد في مورد النص ما ذكره الجمهور نص في المسألة أليس هذا معنى قوله تعالى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن.

١- بداية المجتهد (٦٨/٢)

٢- حاشية ابن عابدين ٧٧٢/٢.

٣- البقرة: من الآية ٢٢٩

٤- النساء: من الآية ١٩

٥- بدائع الصنائع (١٩٠/٤)

المطلب الثالث: الحكمة من تشريع الخلع؛

يعد الخلع رمزاً من رموز العدالة في الشريعة الإسلامية ووسطيتها ودقتها في تحقيق التوازن بين التشريعات التي تنظم حياة البشر، وتضع الضوابط لتقويمها دون إفراط ولا تفريط، وهو في الوقت نفسه علاج لحالات قد تحدث فجأة في مسيرة الأسرة، فقد تكره المرأة خلقاً من الزوج، أو قد يعرض لها ما يجعلها لا تطيق الاستمرار معه في حياتها الزوجية، وقد لا يكون لذلك الأمر سبب واضح ومباشر، فعندئذ تخشى المرأة أن لا تستطيع القيام بواجباتها الزوجية، فتزيد الشقة بينها وبين زوجها، وتتعرّب بينهما الحياة الزوجية، فحتى لا تعيش المرأة بين سندان الإحساس بالذنب تجاه كونها غير قادرة على القيام بحقوق الزوجية، ومطرقة عدم مقدرتها على الحصول على الطلاق الذي هو بيد الزوج أصلاً، فقد شرع تعالى الخلع ليكون وسيلة لوقف الشقاق بين الزوجين، تحصل به المرأة على ما طلبت، وذلك في مقابل العوض الذي تعطيه للزوج الذي لم تبدر منه إساءة لها، ثم إن الزواج معاوضة كما يذهب إليه عامة الفقهاء، والمعاوضات كلها تجري فيها الإقالة بتراضي الطرفين، فكذلك الخلع.

وإنني أرى أن الخلع حالة من حالات الفراق الهادئ بين الزوجين- أو هذا ما يجب أن يكون عليه الحال لعلاج مشكلة أسرية قد لا يكون لأحد الطرفين فيها يد، فالمرأة إذا تكشفت لها عيب في زوجها، أو خلق لم تعد تستطيع معه الحياة، فإنها تلجأ إلى هذا الأمر الذي شرعه الله تعالى، حتى لا تضطر للدخول في دوامة المشاكل الزوجية، وعدم القيام بحقوق الله تعالى وحقوق الزوج والأسرة، ولو أننا تأملنا قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ...﴾^(١) لوجدنا أن في عدم إقامة حدود الله تعالى إثماً عظيماً يجب تجنبه، ويكون بذلك من الأفضل أن يحل التفريق بينهما على الرغم من كونه مكروهاً أو خلاف الأولى عملاً بأصل الطلاق، لقوله عليه الصلاة والسلام: «أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ»^(٢)، ولكن مع ذلك فهو أقل بغضاً من عدم إقامة حدود الله، وذلك بدلالة الآية الكريمة، وقد فصل هذا الموضوع بوضوح من حادثة ثابت بن قيس السابقة.

المبحث الثاني: الطبيعة الفقهية للخلع

المطلب الأول: التكييف الفقهي للخلع

اختلف الفقهاء في التكييف الفقهي لطبيعة الخلع، أهو يمين أم معاوضة، واختلفوا تبعاً لذلك في كثير من الأحكام المتعلقة بالخلع، لأن لكل من اليمين والمعاوضة أحكاماً خاصة به في انعقاده، وآثاره تختلف عن الآخر، وفيما يلي تفصيل هذا الاختلاف.

١- البقرة: من الآية ٢٢٩

٢- سنن أبوداود - باب كراهية الطلاق - رقم الحديث (٢١٨٠)

أولاً: الحنفية :

انقسم الحنفية فيما بينهم إلى قولين:

الأول: قول الإمام أبي حنيفة - وهو المرجح في المذهب - حيث ذهب إلى أن الخلع ذو طبيعة مزدوجة، فهو يمين من جهة الزوج، و معاوضة من جهة الزوجة.

الثاني: قول الصحابي أبي حنيفة أبي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني الفقيه ، حيث ذهب إلى أنه يمين من كلا الجانبين.

أما دليل الإمام أبي حنيفة في اعتباره الخلع مشتركاً بين اليمين والمعاوضة أن الحاصل حقيقة من الزوج إنما هو يمين بالطلاق معلق في المعنى، فإن قوله: «خالعتك على ألف» يساوي قوله لها: «إن أعطيتني ألفاً فأنت طالق»، وهذا يمين بالإجماع، فيكون ذلك مثله، وأما الحاصل من الزوجة، فإنما هو معاوضة، ذلك أن الطلاق ليس إليها، فلا يكون قولها يميناً، ثم هي تدفع بدلاً مقابل فكاك نفسها من الزوجية، وهو معنى المعاوضة، فيكون كذلك في حقها.

وأما دليل الصحابين لاعتبار الخلع يميناً مطلقاً، فهو أن الحاصل من الزوج يمين لما تقدم، والحاصل من المرأة إنما هو تنمة اليمين، إذ لا فائدة من تعليق الزوج إذا لم توافق الزوجة عليه، فالمعنى أن الزوج يقول لزوجته: «أنت طالق إن شئت» فتقول: «شئت»، فيكون جوابها متمماً لليمين، وموقعاً له، لا معاوضة مستقلة، والبدل هنا إنما هو تبرع منها دون مقابل، ذلك أن البضع غير متقوم في حق خروجه من ذمة الزوج، بخلاف دخوله في ذمته، فهو متقوم عليه، بدليل أنه لو عقد عليها دون مسمى ثبت لها مهر المثل بالاتفاق، ولكن إذا ماتت قبل الدخول أو بعده لم يسترد الزوج شيئاً مما أعطاهما بالاتفاق، رغم خروج البضع عن ملكه بسبب ليس من قبله^(١).

ثانياً: المالكية

يرى المالكية الخلع معاوضة من الجانبين مطلقاً، لأنه تسليم للبضع مقابل بدل، فالزوج يسلم البضع والزوجة تسلم البدل، وهو آية المعاوضة^(٢).

ثالثاً: الشافعية

تعددت أقوال الشافعية في تكييفهم الشرعي للخلع، أهو معاوضة أم يمين، وذلك تبعاً لاختلافهم في طبيعته أهو فسخ أو طلاق.

فعلى القول بأنه طلاق - وهو الراجح والأشهر في المذهب - إذا كان الإيجاب من جهة الزوج وكان

١- تحفة الفقهاء (٢/٢٠٠-٢٠١)

٢- الشرح الصغير بحاشية الصاوي (٢/٥١٨) - ط المعارف.

منجزاً عد معاوضة فيها شيء من التعليق، أما أنه معاوضة فلا أخذ الزوج مقابل ما يخرج عن ملكه من البضع، وأما أن فيه شيئاً من التعليق فلتوقف وقوع الفرقة به على قبول المال.

وإن كان الإيجاب من جهة الزوجة فهو معاوضة فيها شوب جعالة، لأنها تبذل مالها في مقابل غرض معين هو الطلاق الذي يملكه الزوج وحده.

وإن كان الإيجاب من جهة الزوج وكان بصيغة التعليق فهو تعليق محض من جانبه ليس فيه شوب معاوضة، كأن يقول لها إن أعطيتني ألفاً فأنت طالق فهو تعليق، لأن هذه الصيغة من صيغ التعليق، فلا يلتفت إلى ما فيها من شوب المعاوضة^(١).

وعلى القول بأنه فسخ - وهو مرجوح في المذهب - فهو معاوضة محضة من الجانبين، إذ لا دخل للتعليق في الفسخ.

رابعاً: الحنبلية

ذهب الحنبلية إلى أن الخلع إن كان صادراً من الزوج بصيغة التعليق كان تعليقاً، وإن كان صادراً منه بصيغة التنجيز، أو كان صادراً من الزوجة، كان معاوضة في حقهما معاً^(٢).

المطلب الثاني: الأحكام المبنية على التفارقة بين كون الخلع يميناً أو معاوضة

أولاً: على اعتبار أن الخلع يمين من جانب الزوج تترتب الأحكام التالية:

١- إذا ابتداء الزوج الخلع فأوجهه لم يكن له الرجوع عنه قبل قبول الزوجة، لأنه تعليق منه للطلاق على رضاها، فلم يكن له الرجوع عنه، بخلاف ما لو كان معاوضة، فإن الموجب فيها مخير في الرجوع وعدمه قبل قبول الثاني.

٢- لا يصح اشتراط خيار الشرط من قبل الزوج، فإن اشترط لنفسه ذلك كان لفاً، لأن الأيمان لا تحتل ذلك، بخلاف المعاوضات، فإنها تقبل خيار الشرط استحساناً على خلاف القياس.

٣- لا يبطل إيجاب الزوج الخلع بتغير مجلسه قبل قبول الزوجة، لأن الأيمان لا تحتاج إلى وحدة المجلس، بخلاف المعاوضات، فإن من شرط انعقادها اتحاد مجلس الإيجاب والقبول.

٤- للزوج أن يضيف إيجابه إلى زمن أو يعلقه على شرط، لأنه يمين، واليمين تقبل ذلك، بخلاف ما لو كان معاوضة، فإن من شرطها التنجيز.

ثانياً: على اعتبار أن الخلع معاوضة من جانب الزوجة تترتب الأحكام التالية:

١- أن تكون الزوجة سامعة إيجاب الزوج عالمة بمعناه، فلو خاطبها بلغة لا تفهمها، أو بصوت

١- مغني المحتاج (٢/٢٦٩).

٢- المغني (٨/٢٠٠).

لاتسمعه، فقبلت دون أن تفهم المراد، لم يصحّ قبولها، لأنّ فهم الإيجاب من القابل شرط في المعاوضات.

٢- لا يصحّ قبولها بعد إيجاب الزوج إلا في مجلسها، فإذا أوجب الزوج فقامت من مجلسها ثم قبلت لم يصحّ قبولها، لأنه معاوضة في حقها، ومن شرط المعاوضة اتحاد مجلس الإيجاب والقبول، والعبرة هنا بمجلسها هي لا بمجلس الزوج.

٣- إذا كانت الزوجة هي المبتدئة بالإيجاب وقد قامت من مجلسها بعد إيجابها، فإنه يلغو الإيجاب بذلك، لأنه معاوضة في حقها، بخلاف ما لو كان يميناً.

٤- يجوز للزوجة أن تشترط خيار الشرط في إيجابها، بأن تقول: خالعتني على أي بالخيار ثلاثة أيام، لأنّ المعاوضة تحتل خيار الشرط كما تقدم.

٥- ليس للزوجة أن تضيف إيجابها أو قبولها إلى زمن، أو تعلقه على شرط، كأن تقول: خالعتني إذا جاء الغد، لأنّ المعاوضة لا تقبل الإضافة ولا التعليق.

٦- أن يكون قبول المرأة موافقاً لإيجاب الزوج، فإذا قال لها: خالعتك على ألف فقالت قبلت المخالعة على مئة لم يصحّ الخلع، لأنّ توافق الإيجاب والقبول شرط في المعاوضات^(١).

المطلب الثالث: طبيعة الفرقة الثابتة بالخلع.

اختلف الفقهاء في طبيعة الفرقة الثابتة بالخلع، أي طلاق أو فسخ، وإذا كانت طلاقاً فهي طلاق بائن أو طلاق رجعي، وسبب الاختلاف في كون الخلع طلاقاً أو فسخاً، أن اقتران العوض فيه هل يخرج من نوع فرقة الطلاق إلى نوع فرقة الفسخ، أو لا يخرج^(٢).

وهنا وقبل أن أدخل في عرض هذه الأقوال أجد أنه من الضروري بيان الفرق بين الطلاق والفسخ للأهمية، ولكن بشيء من الإجمال دون إخلال أو تفصيل للجزئيات.

أولاً: الفرق بين الطلاق والفسخ من حيث التعريف الشرعي.

يُعرف الطلاق بأنه: إنهاء للرابطة العقدية وإيقاف لامتداد آثار العقد. أما الفسخ فهو: حلٌّ ونقض للرابطة العقدية، وفرق كبير بين الإنهاء والحل، فالإنهاء إيقاف لمفعول العقد مع الإقرار ضمناً بوجوده وبقائه، أما الحل فهو إعدام للعقد من أصله، واعتباره كأن لم يكن^(٣)، وبذلك يكون الطلاق إيقافاً لاستمرار العقد، والفسخ إعداماً للعقد من أساسه.

١- تحفة الفقهاء (٢/٣٠٠-٣٠١).

٢- تبين الحقائق (٢/٢٦٨)، بداية المجتهد (٢/٦٠).

٣- الأشباه والنظائر لابن نجيم (٢/١٩٥).

ثانياً: الفرق بين الطلاق والفسخ من حيث الأسباب

الفسخ لا يكون إلا نتيجة قيام سبب داع إليه، إن مرافقاً للعقد كما في العقد الفاسد أو خيار البلوغ، وإن طارئاً عليه كما في إرضاع إحدى الزوجتين ضرّتها الصغيرة مثلاً، فعندها يفسخ النكاح تلقائياً، أو يرفع أمره للقاضي فيحكم بفسخه كما سيأتي، أما الطلاق فهو إنهاء للعقد وإيقاف لاستمرار آثاره دون الحاجة إلى أي سبب من تلك الأسباب المتقدمة، بل سببه الوحيد هو صدور اللفظ الموقع له.

ثالثاً: الفرق بين الطلاق والفسخ من حيث وقوعه

الفسخ قد يقع بمجرد قيام سببه، كما في حالات الانفساخ بالردة، وقد يقع بحكم القاضي بأي لفظ كان، كما في حالات الفسخ القضائي لأسباب مختلفة، أما الطلاق، فلا يقع إلا بألفاظ مخصوصة صريحة كانت بنية أو غير نية، أو كناية مع توافر نية الطلاق أو العرف أو قرائن الحال. وإنه مما يترتب اعتبار عليه عدد الطلقات، فمعلوم أن للزوج على زوجته ثلاث طلقات فقط، تصبح بعدها أجنبية عنه من كل وجه، ولا تحل له ثانية حتى تتكح زوجاً غيره، وفي كل مرة يستعمل الزوج حقه في الطلاق فإنه ينقص به عدد الطلقات التي في رصيده حتى ينتهي هذا الرصيد باستعماله للطلقة الثالثة، لقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾^(١) أما الفسخ فليس إنهاء للعقد، بل هو هدم للأساس الذي يستند إليه الطلاق وغيره من الآثار، ولذلك لا ينقص من عدد الطلقات التي يملكها الزوج على زوجته شيئاً.

لذا يذكر بعض الفقهاء مسألة لو حلف الرجل على زوجته بالطلاق الثلاث على فعل شيء لا بد له منه، كالأكل والشرب وقضاء الحاجة، فإن له أن يخلعها، ثم يفعل الأمر المحلوف عليه، ثم يتزوجها، فلا تطلق ولا يحنث بيمينه^(٢).

رابعاً: الفرق بين الطلاق والفسخ من حيث المحل

الطلاق لا يرد إلا على الزوجة في الزوجية الصحيحة، فيكون بذلك أثراً من آثار العقد الصحيح، دون العقد غير الصحيح، بحيث إذا كان العقد غير صحيح لم ينجم عنه هذا الأثر، أما الفسخ فليس كذلك، بل هو نقض للعقد وهدم لآثاره، بغض النظر إن كان العقد صحيحاً أم فاسداً. والآن وبعد بيان الفروقات الرئيسية بين الفسخ والطلاق، أعود لبيان طبيعة الفرقة الثابتة بالخلع، هل تعتبر فسخاً أم طلاقاً؟

١- البقرة: من الآية ٢٢٩.

٢- تبيين الحقائق (٢٦٧/٢)، الشرح الصغير (٥١٧/٢ - ٥١٨)، حاشية الدسوقي (٢٤٧/٢)، حاشية العدوي على الرسالة (١٠٢/٢ - ١٠٣)، شرح الخرشبي (١٢/٤)، القوانين الفقهية ص ٢٢٣، حاشية القليوبي (٢٠٨/٢)، نهاية المحتاج (٢٨٦/٦)، روضة الطالبين (٣٧٤/٧)، مغني المحتاج (٢٦٢/٣).

نظراً لتشابك شبهتي الفسخ والطلاق في الخُلع، فقد اختلف الفقهاء في طبيعة الفرقة الثابتة بالخُلع، فهي طلاق أو فسخ، وإذا كانت طلاقاً فهي طلاق بائن أو طلاق رجعي، على أقوال: فذهب الحنفية إلى أن الخُلع طلاق بائن قولاً واحداً، وليس فسخاً، لأنهم على أصلهم لا يجيزون الفسخ بعد تمام النكاح، إلا لأسباب قليلة محدودة، والنكاح قبل الخُلع تام صحيح، بل إن الخُلع لا يكون إلا بعد النكاح الصحيح.

هذا إذا تم الخُلع بلفظ الخُلع أو المبرأة أو غيرها من ألفاظ كناية الطلاق، سواء ذكر العوض فيها أو لم يذكر، لأنه إذا ذكر البديل كان خلعاً، والخُلع الغاية منه خلاص الزوجة، إذ هو معنى بدل المال منها، وهو لا يكون إلا بالبينونة، وإذا كان بلا بدل كان بائناً أيضاً، لأنه كناية، والكناية يقع بها الطلاق بائناً عند الحنفية.

فإذا كان الخُلع بلفظ الطلاق، كأن يقول لها: أنت طالق على ألف، فتقول قبلت، فإن ذكر في هذا الخُلع بدل صحيح، كان الطلاق بائناً أيضاً، والبديل لازم، للمعنى المتقدم، وإن لم يذكر بدل مطلقاً، أو ذكر بدل ليس بمال، كأن يقول لها أنت طالق على زق خمر، فإنها تطلق ولا يجب عليها شيء، ويكون طلاقاً رجعياً لا بائناً، لأن لفظ الطلاق صريح، والفرقة تقع به رجعياً، إلا أنها كانت بائنة مع ذكر البديل تغليظاً، فلما انتفى البديل عادت رجعية كما كانت في الأصل^(١).

وذهب المالكية إلى أن الفرقة بالخُلع على بدل طلاق بائن وليست فسخاً، ذلك لأنه بعد نكاح صحيح، ولم تثبت به حرمة مؤبدة، فلا يكون فسخاً على أصلهم، وهو طلاق بائن وليس برجعي، لأن الغاية من هذه الفرقة تخليص الزوجة من هذه العلاقة الزوجية، وذلك هو معنى بدل العوض من الزوجة، وهذا الخلاص لا يكون إلا بالبينونة، فتجب كذلك، وسواء في هذا أكان الخُلع على بدل أو غير بدل، ويقع به الطلاق بائناً ولو نص فيه على الرجعة، لأن قيام البديل دليل البينونة.

فإذا كان من غير بدل، فإن كان بلفظ الخُلع أو ما في معناه، كان بائناً أيضاً، ولو نص فيه على الرجعة، لأن الغاية من استعمال هذه الألفاظ عرفاً هو قصد البينونة، بخلاف ما لو كان بلفظ الطلاق وكان بغير بدل، فإن الواجب فيه فرقة بطلاق رجعي، وذلك لخلوه عن البديل وقصد الإبانة، فيكون رجعياً ما لم يكن مكماً للثلاث أو قبل الدخول، فيكون بائناً أيضاً^(٢).

وأما الشافعية والحنبلية، فقد فصلوا في الموضوع كما يلي:

١. أن يكون الخُلع بلفظ الطلاق، سواء أكان على بدل أم لا، وهذا تثبت به فرقة هي طلاق قطعاً، ولا تكون فسخاً، ثم إن كان على بدل كان بائناً، وإذا كان على غير بدل كان رجعياً، إلا أن يكون

١- بدائع الصنائع (١٥٢/٢).

٢- حاشية الدسوقي (٢٥١/٢)، وبداية المجتهد (٧٥/٢).

قبل الدخول أو مكتملاً للثلاث، فيكون بائناً أيضاً، ذلك أن لفظ الطلاق لفظ صريح، فلا يقع به الطلاق إرجعياً، فإذا كان على مال كان بائناً، لأن القصد من دفع المال من الزوجة هو البيوننة، فيكون كذلك، وهو ليس بفسخ، لأنه من قبل الزوج بلفظه المراد منه الطلاق، فيكون طلاقاً.

٢. أن يكون بلفظ الخلع، وقد نوى الزوج به الطلاق، فإنه يكون طلاقاً أيضاً، لأن الخلع من كنيات الطلاق، فإذا تحققت النية ألحق بالصريح، فيكون الواقع به طلاقاً لا فسخاً، ثم إذا كان على مال كان بائناً، وإذا خلا عن المال كان رجعياً لما تقدم.

٣. أن يقتصر بلفظ الخلع طلاق، كأن يقول لها: خالعتك على طلقة بألف، فإنه طلاق أيضاً، لوجود لفظ الطلاق من جهة الزوج، وهو بائن أو رجعي على التقسيم المتقدم.

٤. أن يكون بلفظ الخلع على مال ولم ينو به الطلاق، وفي هذا عند الشافعي ثلاثة أقوال:
الأول: أنه طلاق أيضاً، لأنه من جهة الزوج بلفظ يقصد به إيقاع الفرقة، فيكون طلاقاً كنائياً، وهو الأرجح في المذهب.

الثاني: أنه فسخ، ذلك أنه ليس من الزوج خاصة، بل هو باتفاق الزوجين، ولو كان واقعاً بإيجاب الزوج خاصة لما كان له أخذ البذل، وهذا القول معزو إلى مذهب الشافعي القديم.
الثالث: وقد نص عليه في الأم، أنه لا يحصل به شيء من الفرق، لا طلاق ولا فسخ، إلا أن هذا غير مشهور في المذهب فلا يعول عليه.

وعند أحمد في هذا قولان أيضاً:

الأول: أنه فسخ وهو الأرجح.

الثاني: أنه طلاق بائن^(١).

وقد احتج من ذهب إلى أنه طلاق بائن بما يلي:

١. أن الله تعالى ذكره في كتابه الكريم بين طلاقين في قوله تعالى: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾^(٢) فدل هذا على أنه ملحق بهما.

٢. لو كان الخلع فسخاً لما جاز على غير الصداق، إذ الفسخ يوجب استرجاع البذل، كالإقالة، لا تجوز بغير الثمن الأول، لكن الفقهاء أجازوا الخلع على أكثر من الصداق، فامتنع لذلك أن يكون فسخاً، فكان طلاقاً.

١- المغني (٨/ ١٨٠- ١٨١)، ومغني المحتاج (٢/ ٢٦٨)

٢- الآية: ٢٢٩ من سورة البقرة

٣. ثم إن المرأة هنا بذلت العوض للفرقة المملوكة للزوج، والفرقة التي يملك الزوج إيقاعها إنما هي الطلاق دون الفسخ، فوجب أن يكون طلاقاً لذلك.

٤. إن الحاصل من الزوج إنما هو كناية الطلاق مع قصد الفرقة، فيكون طلاقاً لذلك.

واحتج مَنْ قال بأن الخلع فسخ بما يلي:

١. بأن الخلع معاوضة وليس يمينا، لاستحقاق الزوج البدل فيه، فيكون فسحاً، كشراء الزوج زوجته الرقيقة، فإنه ينفسخ نكاحها منه بالشراء، لدخولها في ملكه بالاتفاق، فكذلك هنا.

٢. بما احتج به ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من أن الله تعالى قال: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانِ﴾^(١) ثم قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا أَقْدَتَا بِهِ﴾^(٢) فقد ذكر سبحانه تطليقتين والخلع، وتطليقة بعدها، فلو كان الخلع طلاقاً لكان أربعاً، والطلاق فوق الثلاث لغو بالإجماع، فكان فسحاً لذلك.

٣. اللفظ إذا خلا من صريح الطلاق ونيتة لم يبق إلا فسحاً، كسائر الفسوخ.

هذا والقول بأن الخلع فسخ مروى عن ابن عباس، وطاوس، وعكرمة، وإسحاق، وأبي ثور رضي الله عنهم.

والقول بأنه طلاق بائن مروى عن سعيد بن المسيب، والحسن، وعطاء، وقبيصة، وشريح، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، والنخعي، والشعبي، والزهري، ومكحول، وابن أبي جنيح، والثوري، والأوزاعي، وهو مروى قبل ذلك عن عثمان، وعلي، وابن مسعود رضي الله عنهم، لكن أحمد ضعف الحديث عنهم، وقال: ليس في الباب شيء أصح من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه فسح^(٣). وقد ذكر أن سعيد بن المسيب والزهري يقولان بأن الخلع طلاق رجعي، قال في المغني: «قال سعيد بن المسيب والزهري: الزوج بالخيار بين إمساك العوض ولا رجعة له وله الرجعة»^(٤).

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الفرقة بالخلع

المطلب الأول: المهر

لأثر للفرقة بالخلع على لزوم المهر للزوجة مطلقاً إذا لم يكن هو البدل المشروط في الخلع، فإن كان هو البدل المخالغ عليه لزمها رده إلى الزوج إن كانت قبضته منه قبل ذلك، وإلا سقط عن ذمته، فإن كان بدل الخلع غير المهر ثبت لها المهر كاملاً إن كانت الفرقة بعد الدخول، وثبت

١- من الآية ٢٢٩ من البقرة.

٢- من الآية ٢٢٩ من البقرة.

٣- المغني (٨/١٨٠ - ١٨١).

٤- المغني (٨/١٨١) وما بعدها.

لها نصفه أو المتعة إن كانت الفرقة قبل الدخول، لأن الخلع إن كان طلاقاً فحكمه كذلك، وإن كان فسخاً فكذا أيضاً، لأنه فسخ ليس كتنقض للعقد من أصله، بل هو بسبب نشأ بعد تمام العقد وصحته، فلا يكون له أي أثر على لزومه لها لما مر.

هذا مذهب جمهور الفقهاء، وفيهم مالك والشافعي وأحمد وغيرهم^(١)، وذهب أبو حنيفة إلى أن الخلع إذا جاء بلفظ الخلع أو المبرأة وكان البديل المشروط فيه غير المهر، فإنه يلزم الزوجة دفع البديل المتفق عليه في الخلع، ويسقط ما بين الزوجين من حقوق ثابتة بسبب الزوجية، فإن كانت لم تقبض المهر بعد، سقط عن الزوج وليس لها المطالبة به، وإن قبضته لم ترد منه شيئاً، وكذلك إن كان لها عليه نفقة قديمة، فإنها تسقط، وهكذا كل الحقوق المتعلقة بالزوجية، بخلاف الحقوق التي لا علاقة لها بالزوجية، كدين وغيره، فإن الخلع لا أثر له عليها مطلقاً.

قال في الجوهرة: «إذا خالعا على مال معلوم ولم يذكر المهر وقبلت هل يسقط المهر؟ هذا موضع الخلاف فعند أبي حنيفة يسقط وعندهما لا يسقط ولها أن ترجع به إن دخل بها أو بنصفه إن لم يدخل بها»^(٢).

وإذا كان الخلع بغير هذين اللفظين، لم يكن له أي أثر على سقوط الحقوق الزوجية، وهي بحالها، فيلزم الزوج بالمهر كاملاً لزوجته إن كانت الفرقة بعد الدخول، وإلا لزمه نصفه أو المتعة فقط. وذهب الإمام محمد بن الحسن إلى أن لفظي الخلع والمبرأة كغيرهما من ألفاظ الخلع الأخرى، لا يسقط بهما شيء من الحقوق الزوجية ولا غيرها، ولا أثر للخلع على لزوم المهر للزوجة كما تقدم. أما أبو يوسف فقد ذهب إلى رأي الإمام في لفظ المبرأة، وإلى رأي محمد في لفظ المخالعة^(٣). وإنني أرى هنا أن هذا الخلاف ليس مناطه الفرقة الناتجة عن الخلع، بل مناطه اللفظ الذي ثبت به الخلع، أيعني الإبراء الكامل عن كافة الحقوق في وضعه اللغوي أو العرفي، أولاً، وهذا لا علاقة له مطلقاً بطبيعة الفرقة، وعلى ذلك يمكن القول بأن الحنفية مع الجمهور في أنه لا أثر للخلع على لزوم المهر للزوجة من غير خلاف.

المطلب الثاني: العدة

ذهب جماهير أهل العلم وفيهم أصحاب المذاهب الأربعة إلى أن الخلع إذا كان بعد الدخول وجب على المرأة بعده أن تعتد بعدة الطلاق، وهي ثلاثة أشهر، أو ثلاث حيضات، أو وضع الحمل، بحسب حالها، سواء منهم من ذهب إلى أن الخلع طلاق أو أنه فسخ، ذلك أن العدة إنما شرعت لاستبراء الرحم، وهو محتاج إليه هنا، فتجب^(٤).

١- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٢/٢٥٦)، الشرح الصغير (٢/٥١٧-٥١٨)، روضة الطالبين (٧/٢٧٤)، المغني (٧/٥٢)

٢- الجوهرة النيرة (٥/١٣٩).

٣- بدائع الصنائع (٣/١٥١)، وتحفة الفقهاء (٢/٣٠٣-٣٠٤)، والهداية (٣/٢١٥)، حاشية ابن عابدين (٢/٨٦٢-٨٧٦).

٤- فتح القدير (٢/٢٦٩)، تبين الحقائق (٢/٢٦)، حاشية الدسوقي (٢/٤٦٨)، روضة الطالبين (٨/٣٦٥)، المغني (٧/٤٤٩-٤٥٠).

٥- الإصناف (٩/٢٧٩).

وروي عن عثمان، وابن عمر، وابن عباس، وأبان بن عفان، وإسحاق، وابن المنذر، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد أنها تعتد بحيضة واحدة، واستندوا في ذلك إلى ما روي عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مما أخرجه الترمذي عن الرُبَيْع بنت معوذ أنها اختلعت على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمرها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو أمرت أن تعتد بحيضة، رواه الترمذي، وقال حديث الربيع صحيح: انها أمرت أن تعتدّ بحيضة^(١).

وبما روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهم أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت من زوجها فأمرها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن تعتد بحيضة، رواه أبو داود والترمذي، وقال حديث حسن غريب^(٢).

لكن الفقهاء اعتذروا عن الأخذ بما تقدم من السنة، وأجابوا عن ذلك بأن هذه الأحاديث لم تثبت من طرق صحيحة، إذ فيها الضعيف والمضطرب والغريب، فحديث امرأة ثابت بن قيس مضطرب كما تقدم في حكم الخلع، وهو غريب أيضاً، كما جاء ذلك على لسان الترمذي، وأما حديث الربيع فهو على فرض صحته مخالف للكتاب العزيز، حيث قال تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّاتُ يَرَبِّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾^(٣) والخلع طلاق عند الأكثر، وعلى فرض أنه فسخ فهو محتاج معه إلى العدة، لأنها شرعت للتعرف على براءة الرحم، وهي محتاج إليها هنا، ومع صراحة الآية لا يمكن أن يؤخذ بحديث الآحاد الذي لم يستكمل شروط الصحة، ولعل ذلك كان في أول الإسلام ثم نسخ بالآية الكريمة.

المطلب الثالث: نفقة العدة

اتفق الفقهاء على أن الخلع إذا كان واقعاً على نفقة العدة، بمعنى أنها بدل الخلع أو داخله فيه، صحّ ذلك وسقطت عن الزوج، فإذا كان بدل الخلع غيرها، فقد ذهب أبو حنيفة إلى أن الخلع إذا كان بلفظ الخلع أو المبارأة سقطت أيضاً، فإذا كان بغير هذين اللفظين لم تسقط، ووجب على الزوج أدائها، لأن الخلع طلاق بائن أو رجعي كما تقدم، وفي كليهما تجب نفقة العدة للزوجة عند الحنفية.

وذهب محمد بن الحسن إلى أن نفقة العدة واجبة للزوجة المطلقة مطلقاً، سواء أكان الطلاق بلفظ الخلع أو غيره.

وأبويوسف مع الإمام أبي حنيفة في لفظ المبارأة، ومع محمد في لفظ الخلع، وذلك مبني على

١- المغني (٧٧/٩) دار الفكر

٢- سنن الترمذي - باب ما جاء في الخلع- رقم الحديث (١١٩٧)، سنن أبي داود - باب الخلع- رقم الحديث (٢٢٢١)

٣- البقرة: ٢٢٨

الخلافاً للمتقدم في بحث الصداق وأثر الخلع على لزومه، وقد تقدم تفصيله قبل قليل. أما جمهور الفقهاء، فقد ذهبوا إلى أن هذه الفرقة طلاق بائن أو فسخ كما تقدم، ولذلك لا يكون للزوجة على زوجها فيها نفقة عدة، إلا أن تكون حاملاً، فيكون لها النفقة مراعاة لحق الحمل، لأنهم لا يرون النفقة للمعدة أصلاً إلا في عدتها من طلاق رجعي فقط، إلا أن تكون حاملاً، وهذا ليس كذلك^(١).

المبحث الخامس: الاتجاه القانوني في الخلع (المخالعة الرضائية)

المطلب الأول: الخلع في بعض قوانين الأحوال الشخصية العربية:

أ- في مصر:

لم يتعرض المشرع المصري في القانون القديم للأحوال الشخصية للمخالعة وأحكامها مطلقاً سوى ما جاء في المادة الخامسة من القانون رقم (٢٥) لعام ١٩٢٩ من أن كل طلاق يقع رجعياً إلا المكمل للثلاث والطلاق قبل الدخول والطلاق على مال، وبذلك يكون الخلع (وهو الطلاق على مال) طلاقاً بائناً في نظر القانون، وهو ما عليه مذهب جمهور الفقهاء، وفيهم الحنفية والمالكية والراجح من مذهب الشافعية.

أما في قانون الأحوال الشخصية الجديد لسنة ٢٠٠٠ فقد نص في المادة العشرين من الفصل الأول من الباب الثالث^(٢) على أن للزوجين أن يتراضيا فيما بينهما على الخلع، فإن لم يتراضيا عليه وأقامت الزوجة دعواها بطلبه وافتدت نفسها وخالعت زوجها بالتنازل عن جميع حقوقها المالية والشرعية وردت عليه الصداق الذي أعطاها إياه، حكمت المحكمة بتطليقها منه.

ولا تحكم المحكمة بالتطليق للخلع إلا بعد محاولة الصلح بين الزوجين، وندبهما لحكمين لموالاتة مساعي الصلح بينهما خلال مدة لا تجاوز ثلاثة أشهر، وعلى الوجه المبين بالفقرة الثانية من المادة (١٩) من هذا القانون^(٣) وبعد أن تقرر الزوجة صراحة أنها تبغض الحياة مع زوجها وأنه لا سبيل لاستمرار الحياة الزوجية بينهما وتخشى ألا تقيم حدود الله بسبب هذا البغض.

ولا يصح أن يكون مقابل الخلع إسقاط حضانة الصغار أو نفقتهم أو أي حق من حقوقهم، ويقع

١- حاشية الدسوقي (٢/٥١٤.٥١٥)، ومغني المحتاج ٣/٤٤٠.٤٤٠.

٢- الباب الثالث: رفع الدعوى ونظرها، الفصل الأول: في مسائل الولاية على النفس.

٣- نص المادة (١٩) هو: «في دعاوي التطليق التي يوجب فيها القانون ندب حكمين يجب علي المحكمة أن تكلف كلا من الزوجين بتسمية حكم من أهله قدر الامكان في الجلسة التالية علي الأكثر فان تقاعس أيهما عن تعيين حكمه او تخلف عن حضور هذه الجلسات عينت المحكمة عنه وعلي الحكمين المثل أمام المحكمة في الجلسة التالية لتعيينهما ليقررا ما خلاصا إليه معا فإن اختلفا أو تخلف أيهما عن الحضور تسمع المحكمة أقوالهما أو أقوال الحاضر منهما بعد حلف اليمين وللمحكمة أن تأخذ بما انتهى إليه الحكمان أو بأقوال أيهما أو بغير ذلك مما تستقيه من أوراق الدعوى»

الخلع في جميع الأحوال طلاقاً بائناً ويكون الحكم في جميع الأحوال غير قابل للطعن عليه بأي طريق من طرق الطعن.

ويلاحظ على القانون الجديد للخلع أنه عد التفريق بإرادة واحدة -إرادة الزوجة- خلعاً مع أن الخلع هو التفريق الناتج عن تراضي الطرفين باعتباره معاوضة، والمعاوضة لا تكون إلا بالتراضي بين الطرفين، وبالتالي فإن الاصطلاح عليه أن يكون خلعاً اصطلاحاً مخالف لما عليه الفقهاء. أما لو عدناه طلاقاً بإرادة منفردة من القاضي كما هو الحال في التفريق للضرر، أو التفريق للشقاق، فإنه عد غير صحيح أيضاً، وذلك أنه في هذه الأنواع من التفريق يؤخذ بأقوال الحكمين معاً، أما نص القانون في المادة ١٩ فإنه لم يشترط اتفاق الحكمين.

ب- في سوريا :

نص المشرع السوري على المخالعة، ونظم أحكامها في المواد /١٠٤ - ٩٥ / من القانون رقم (٥٩) لعام ١٩٥٣.

وقد اتجه المشرع السوري في الفرقة الثابتة بالمخالعة إلى ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، فعدها طلاقاً بائناً، وهو الاتجاه الذي ذهب إليه القانون المصري نفسه من قبل.

لكن في التكييف الفقهي للمخالعة ذهب القانون السوري إلى الأخذ بمذهب المالكية، حيث عدها معاوضة من الجانبين، فأجاز بذلك للزوج الرجوع عن إيجابه قبل قبول المرأة له، خلافاً لما ذهب إليه المذهب الحنفي.

أما في حكم البديل في المخالعة، فقد ذهب القانون فيه مذهب الشافعية، فعد الخلع مع نفي البديل باطلاً، وأثبت به طلاق رجعية، ولكن القانون هنا لم يشترط النية لوقوع الطلاق بذلك خلافاً للأرجح من مذهب الشافعية الذي يشترط النية لوقوع الطلاق، وهذا الاتجاه من القانون مأخوذ من قول للشافعية هو غير الراجح لديهم.

كما نص القانون على أن المخالعة إذا أُجريت على غير المهر وجب أداء البديل المسمى، وتبرأ أيضاً ذمة المتخالعين من كل حق يتعلق بالمهر والنفقة الزوجية، وهذا القول مأخوذ من مذهب أبي حنيفة، إلا أن أبا حنيفة قيد الحكم بالبراءة من ذلك بما إذا كان الخلع بلفظي المخالعة أو المباراة دون غيرهما، وذلك لما لهذين اللفظين من معنى الإبراء عن الحقوق الزوجية لغة وعرفاً، أما القانون المذكور فلم يقيد الإبراء بهذين اللفظين فقط، ولا أعرف له في ذلك مستنداً من أقوال الفقهاء ومذاهبهم، لذلك فإنه ينبغي عند التطبيق ملاحظة هذا القيد، وإن لم ينص عليه القانون صراحة، وأغلب الظن أن القانون قد أهمل ذكر هذا القيد، لأن الغالب في المخالعة أن

تكون بأحد هذين اللفظين.

ج- في الكويت

ذكر قانون الأحوال الشخصية الكويتي أحكام الخلع في المواد / ١١١-١١٨ / من القانون رقم ٥١ لعام ١٩٨٤ فذكر أن الخلع هو طلاق الزوج زوجته نظير عوض تراضيا عليه، بلفظ الخلع، أو الطلاق، أو المبرأة، أو ما في معناها، ولا يملك الخلع غير الزوجين، أو من يوكلانه، وأن لكل من الطرفين الرجوع عن إيجابه في المخالعة قبل قبول الآخر، ويجب العوض المتفق عليه في الخلع، ولا يسقط به شيء لم يجعل عوضاً عنه، ويشترط لاستحقاق الزوج ما خولع عليه، أن يكون خلع الزوجة اختياراً منها، دون إكراه أو ضرر.

المطلب الثاني: حكم الخلع بحاكم وبدون حاكم.

ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الخلع بحاكم وبلا حاكم، وهو قول عمر رضي الله عنه، فقد روى ابن أبي شيبة عن طريق خيثمة بن عبد الرحمن موصولاً «أن بشر بن مروان أتى في خلع كان بين رجل وامرأة فلم يجزه، فقال له عبد الله بن شهاب الخولاني: قد أتى عمر في خلع فأجازته» ولأن الطلاق من حيث النظر جائز بلا حاكم فكذلك الخلع.

وذهب الحسن البصري كما ذكر الحافظ في الفتح إلى عدم جواز الخلع دون السلطان بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾^(٢) ووجه استدلاله أنه الخوف الوارد في نص الآية لغير الزوجين ولم يقل فإن خافا.

المطلب الثالث: صاحب الحق في الفرقة:

الفرقة في الخلع حق لكل من الزوجين وغيرهما، فهي تصح بتوافق الزوجين عليها، كما تصح بتوافق الزوج مع أجنبي، فلو قال أجنبي للزوج طلق زوجتك بألف علي، فقال الزوج: رضيت أو طلقت، فقد تم الخلع، وللزوج على الأجنبي ألف كما شرط، وهذا مذهب جماهير الفقهاء، وشذ عن ذلك أبو ثور فقال: خلع الأجنبي عن المرأة بدون إذنها سفه، فإنه يدفع العوض في مقابلة ما لا منفعة له فيه، فيكون كما إذا قال لآخر بع عبدك من فلان بألف علي، فإنه لا يصح، فكذلك هذا. والجواب: أنه بذل مالاً في مقابلة إسقاط حق غيره، فصح، كما لو قال: اعتق عبدك وعلي ثمنه،

١- البقرة: من الآية ٢٢٩

٢- النساء: من الآية ٣٥

فإنه يصح، فكذاك هذا^(١).

والراجع في نظري مذهب الجمهور هنا لما تقدم، لا سيما أنه لا مساس مطلقاً بحقوق الزوجة في هذا الخلع على هذه الصورة، لأنها لا تلزم بدفع عوض الخلع إذا لم تكن رضيت به سابقاً، وهو في ذمة الأجنبي المخالعة لا يرجع عليها به ما لم يكن وكيلاً عنها في ذلك، وأما حلول الفرقة بينها وبين زوجها فذلك من عمل الزوج وحده، وهو يملكه بدون عوض لا معقب عليه فيه، فكذاك بعوض غير مضمون على المرأة، ولا أقل من أن يعد في حقها طلاقاً لا تلتزم بمقابلته بشيء من المال.

خاتمة :

في ختام هذا البحث أخلص للنقاط التالية.

- ١- الخلع حكم شرعي أصيل من أحكام الشريعة الإسلامية دلت عليه نصوص الشريعة الإسلامية الأصيلة.
- ٢- الخلع أحد الطرق العادلة للفرقة بين الرجل وزوجته، حيث لا يتضرر أي من الطرفين، فكل يأخذ حقه من الآخر.
- ٣- يفترض أن يحسن كل من الزوجين استخدام حقه في الخلع، فالمرأة لا تطلب الخلع إلا بعذر معتبر، والرجل لا يضار زوجته بأن تعطيه من المال ما يطلب حتى يخالعه.
- ٤- على المحاكم القضائية أن تستمد أحكام الأحوال الشخصية المتعلقة بالخلع أو غيرها من الشريعة الإسلامية ومذاهب الفقهاء المعتمدة.
- ٥- يفترض بالمرأة المسلمة أن تتعلم الأحكام الشرعية المتعلقة بها وتتفقه فيها كي تعرف مالها وما عليها، وحتى تحسن استعمال حقوقها التي منحتها الشريعة الإسلامية إياها، وحتى تحسن القيام في الوقت نفسه بواجباتها المطلوبة منها شرعاً.
- ٦- يجب أن لا يساء استعمال مبدأ الخلع في حياتنا العملية كما يفعل البعض أو كما تصوره بعض وسائل الإعلام أحياناً لما لذلك من آثار سلبية في المجتمعات الإسلامية.

١- المغني (٢١٨/٨).

د. وليد رفيق العياصرة

استاذ مساعد / كلية الأندلس / جامعة البلقاء

تقويم كتب التربية الإسلامية المطورة للمرحلة الأساسية في المملكة الأردنية الهاشمية في ضوء المعايير الأساسية لتأليف الكتب من وجهة نظر معلمها

تقويم كتب التربية الإسلامية المطورة للمرحلة الأساسية في المملكة الأردنية الهاشمية في ضوء المعايير الأساسية لتأليف الكتب من وجهة نظر معلمها

هدفت هذه الدراسة إلى تقويم كتب التربية الإسلامية للصف الثامن والعاشر الاساسي من وجهة نظر المعلمين وذلك للعام الدراسي ٢٠٠٧/٢٠٠٨م. تكونت عينة الدراسة من ٤٩ معلما ومعلمة وتمثلت أداة الدراسة من استبانة، اشتملت على ٨٥ فقرة موزعة على ٥ مجالات.

أظهرت النتائج أن تقديرات معلمي التربية الإسلامية لجميع المجالات (أهداف الكتاب، المحتوى، الطريقة وأساليب التدريس، النشاطات التربوية، التقويم) كانت بدرجة متوسطة. واتفق المعلمون والمعلمات على وجود بعض السلبيات في الكتاب أبرزها: كبر حجم المادة التعليمية مقارنة مع عدد الحصص المخصصة لمادة التربية الإسلامية، خلوه من أسلوب حل المشكلات والتدريس بالاستقصاء، وعدم توفر الرسومات التوضيحية والخرائط بشكل كاف، عدم تشجيع الطلبة على الرجوع إلى مصادر المعرفة الاخرى، وعدم مناسبة حجم الكتاب وإخراجه، واعتماده على الأساليب التقليدية في التقويم.

وبينت الدراسة عددا من جوانب القوة في الكتاب تتمثل في: عرض المحتوى بلغة سليمة، وخلوه من التناقض والخلل، وتنظيم الأفكار والعناوين الرئيسة والفرعية بشكل مناسب، وحسن توظيف الأدلة الشرعية وإثارة تفكير الطلبة وتنمية مهاراتهم العقلية.

وأظهرت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0,05$) بين استجابات معلمي التربية الإسلامية تعزى لمتغير الجنس (ذكر، أنثى).

وأظهرت الدراسة أيضا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0,05$) بين استجابات معلمي التربية الإسلامية تعزى لمتغير المستوى العلمي (بكالوريوس فما دون، ماجستير، دكتوراه).

وفي ضوء النتائج أوصى الباحث بالآتي:

- تركيز وزارة التربية والتعليم على الدورات التدريبية المتخصصة التي تزود للجان المكلفة بتأليف الكتب بمهارات التأليف.

- اختيار أفراد متخصصين مؤهلين في المناهج لتأليف الكتب.

- أظهرت الدراسة أن هذه الكتب المطورة ركزت على الجانب المعرفي في مجال الاهداف؛ لذلك يوصي الباحث بمزيد من الاهتمام والتركيز على الجانب المهاري الأدائي والقيم والاتجاهات.

- أظهرت نتائج الدراسة ضعف المحتوى في إثارة دافعية المتعلمين لقلة الصور والرسومات والأشكال، وكذلك اتساع المحتوى مما يثقل كاهل المعلم والمتعلم لذلك يوصي الباحث بإعادة صياغة المحتوى وتزويده بالصور والأشكال والرسومات ومراعاة الاتساع.

- تزويد الكتب بالانشطة التي تسهم في استخدام التكنولوجيا كالأنشطة المحوسبة وغيرها.

- إعادة النظر في عدد الحصص المخصصة لمادة التربية الإسلامية لمساعدة المعلمين على الاهتمام بالأنشطة وتنفيذها.

- تنوع استراتيجيات التقويم التي يحتويها الكتاب وبالأخص استراتيجيات التقويم المبنية على الاداء.

- ضرورة تركيز الكتب على الانشطة مهارية والادائية وكذلك الانشطة التي تنمي الاتجاهات والقيم لدى الطلبة.

An evaluation of developed Islamic education books for the primary stages at the Hashemite kingdom of Jordan

Abstract:

This study is aimed at evaluating Islamic education curriculum for the 8th & 10th Classes, from the view of teachers during the academic year 2007/2008/. The sample of study consisted of (49) male and female teachers. The research instrument consists of a questionnaires include (85) items specific to (5) domain.

The result of study showed that the evaluations of Islamic education teachers for the all of each domain: (curriculum purpose, index, the methods and teaching ways, educational activities and the evaluation) was medium in average. The teachers agreed that there are some negatives in the curriculum such as: the huge amount of the scientific material in comparison with the number of the class hours, the destitution of the book to the problem solving techniques and teaching with examination, unavailability of charts and maps that are using for clarification, absence of encouraging students to recourse to the other knowledge reference, unsuitability of size and direction of the book, and usage of the traditional methods of evaluation.

Also the study showed a number of strength points in the curriculum like: proffering the content of the curriculum with a proper language, the curriculum devoid of contradictions and mistakes, organizing of ideas and headlines and subsidiary titles in a suitable form, agitate the student to think and develop their mental skills.

There were no statistical significant differences found at ($\alpha=0, 05$) level with regard to teachers' responses attributed to gender (male, female).

There were no statistical significant differences found at ($\alpha=0, 05$) level with regard to scientific level (bachelor or less, master and doctorate).

In the light of results, the researcher recommended the following:

The concentration of the ministry of education on the specialized training course to provide the teachers with the needed skills of teaching the developed Islamic education curriculum.

Providing the suitable technological techniques at the schools.

The necessity of review in the number of Islamic education's class times.

The necessity of verify teaching methods and methodical and unmethodical activities and the using of the modern educational ways in teaching the Islamic education.

The necessity of responsible authority participation in curriculum department to prepare programs and projects related to the activities and method of Islamic education teaching.

المقدمة :

تسعى الدول العربية إلى وضع فلسفة تربوية، تعكس حاجاتها، ومتطلبات تطورها في مجالات الحياة المتنوعة، لمواجهة التحديات والمشكلات المختلفة التي تعاني منها مجتمعاتها، وعلى رأسها العولمة، وما تظهره من تحد كبير لها في الحفاظ على هويتها الثقافية، فتسعى هذه الفلسفات إلى تكوين مواطن صالح يخدم وطنه وأمته، كما حرصت على تكوين الشخصية الإسلامية المتوازنة والتميزة.

تتجه العملية التربوية الحديثة إلى جعل المتعلم محور العملية التعليمية، وتركز على إكسابه المهارات المتنوعة بهدف التمكن من مسايرة الانفجار المعرفي وثورة المعلومات التي أفرزتها التغيرات السريعة في جوانب الحياة المختلفة. كما ظهرت مفاهيم فرضت نفسها على التعليم، كالتعلم الذاتي والتفكير الناقد، وأسلوب حل المشكلات وغيرها؛ الأمر الذي أدى إلى تغير النظرة إلى المنهاج ومحتواه والمعلم والطالب وأدوار كل منهما.

يتعامل المتعلم مع المنهاج بهدف استيعاب مضمونه، مستخدماً عدة استراتيجيات دراسية للحصول على نتائج مناسبة في النهاية. الأمر الذي يحتم جمع الخبرات المربية المناسبة ليتفاعل معها المتعلمون داخل المدرسة وخارجها من أجل اكتسابهم لها، ليتحقق نموهم الشامل في جميع جوانب شخصيتهم، وتعديل سلوكهم وفقاً للأهداف التربوية.

لا يوجد نمط عام سائد متفق عليه يوضح الخطوات والاجراءات المتتابعة أو المتداخلة التي تؤلف بمجموعها عملية بناء المنهاج أو تطوره ونجد بدلاً من ذلك، اتجاهات مختلفة تلتقي في بعض النقاط وتختلف في أخرى نتيجة لاختلاف المنطلقات النظرية لأصحابها، هذا على النطاق النظري أما على النطاق العملي فإن عملية بناء المنهاج تأخذ صيغاً وأشكالاً متعددة قد تختلف من بلد لآخر، وقد تختلف في البلد الواحد من حين لآخر أو من مناهج مادة معينة إلى مناهج مادة أخرى (الشبلي، ٢٠٠٠).

وما من شك في أن عملية بناء المنهاج عملية غاية في الأهمية والخطورة لأن محتوى المنهاج يعكس وظيفة المدرسة والغرض من إنشائها، وهو الوسيلة المؤثرة في تكوين الجيل الذي نريد، فهو يمثل محتوى العملية التربوية، ولا بد من أن تنال عملية بنائه عناية فائقة في جميع مراحلها مما يساعد على تحقيق ذلك ووجود تصور علمي واضح لها وما تتضمنه من خطوات متتالية وأخرى متداخلة. إن الخبرات التربوية التي يخطط لها المنهاج ينبغي أن تتميز بعدد من الخصائص لتكون مجالاً واسعاً يتفاعل معها المتعلم لبناء شخصيته وتعديل سلوكه ومن هذه الخصائص: أن تكون مباشرة كلما أمكن ذلك لأن التفاعل المباشر للمتعلم مع البيئة وخوضه التجربة الحياتية مباشرة يجعل تعلمه أسرع وأكثر رسوخاً، وأن تكون الخبرات التربوية متكاملة: أي أن تتكامل الخبرات عمودياً

عبر سنوات الدراسة وأقياً عبر المواد الدراسية المختلفة؛ لذلك فإن الخبرة بناءً يستلزم التدرج والامتداد المعقول، وأن تعمل على إعداد المتعلم للحياة وتكيف سلوكه ليكون بالشكل المرغوب فيه والمطلوب اجتماعياً بالنسبة للحاضر والمستقبل، والتركيز على الإيجابية: بحيث تكون ذات طابع متفائل لا متشائم، مشوقة لا مملة، مفرحة محزنة، سهلة الفهم، بناءة لا هدامة، وربط النظرية بالتطبيق والعلم بالعمل، والتدرج في الخبرات، والمشاركة في تعلم الخبرة (انظر الشبلي، ٢٠٠٠، ص ٨٧-٩١).

يمثل الكتاب المدرسي أحد الوسائل المتبعة في تنفيذ المفردات التفصيلية للمنهاج المدرسي وحري بنا أن نعطي لعملية تأليفه، ما تستحقه من اهتمام وعناية لكونه شيئاً مادياً ملازماً للتعلم يكون لمحتواه تأثير مباشر، قد يتجاوز تأثير الوسائل الأخرى المستخدمة في تنفيذ المنهاج ويكتسب الكتاب أهمية إضافية نتيجة ما يظهره المعلمون نحوه من اهتمام وجعله المحور الرئيس وأحياناً الوحيد للنشاط العلمي في المادة الدراسية.

وحتى يؤدي الكتاب المدرسي الغرض الذي وضع من أجله لا بد وأن يراعي عدداً من المعايير عند إعداده أبرزها أن: تتفق مادته مع الأهداف التربوية بجميع مستوياتها، تكون مادته العلمية سليمة وحديثة، يبتعد عن الأسلوب التقريري في عرض المادة كلما أمكن ذلك، يلجأ إلى الأسلوب الذي يحفز المتعلم على التفكير والاستنتاج، يشرك المتعلم قدر الإمكان في عرض مادة الكتاب كأن يطلب إليه استكمال بعض الفقرات أو الفراغات، يكون أسلوبه مبسطاً واضحاً خالياً من اللبس والتعقيد اللغوي، تكون المادة وأسلوب عرضها منسجمين مع الخصائص النمائية للمرحلة العمرية، يحسن انتقاء مادة الكتاب بما هو أساسي وضروري لأن كم المعلومات في كل مجال من مجالات المعرفة غداً غزيراً جداً، تكون مادة الكتاب منسجمة مع بيئة المتعلم مستفيدة منها في الشرح والتوضيح والنشاطات ويمكن استخدامها في مواقف جديدة، توضح مادة الكتاب علاقتها بما يكملها من مفردات النشاطات المصاحبة والنشاطات الحرة وغيرها من الفعاليات ليُدرك المتعلم أن مجالات اكتساب الخبرات متعددة وليست محصورة بالكتاب المدرسي وحده، تستخدم الصور والأشكال التوضيحية لإيضاح الأفكار والحقائق، يكون الكتاب مشوقاً وجذاباً بمادته العلمية وطريقة عرضها، يتم وضع أسئلة في أثناء عرض المادة لإثارة تفكير الطالب وإثارته علمياً، يكون حجم الحروف معقولاً والتنوع في أحجام الحروف فيستخدم حجماً معيناً للعناوين الرئيسية وحجم آخر للعناوين الفرعية وحجم ثالث للشرح الاعتيادي، ويكون حجم الكتاب معقولاً (انظر الروسان وآخرون، ١٩٩٢).

والحديث عن تصنيفات المحتوى هي تصنيفات المعرفة؛ فالمحتوى هو مجموعة المعارف والمعلومات، ولذلك تصنيف المعرفة المنطقية في المحتوى حسب ارتباط المعرفة بالأهداف فتكون لدينا معرفة إدراكية ومعرفة قيمية ومعرفة أدائية (مرعي وآخرون، ١٩٩٣).

للكتاب المدرسي دورٌ فاعلٌ، وأهمية بارزة في إنجاح العملية التعليمية، ويساعد في تحقيق الأهداف التربوية ويستخدمه المعلمون والمتعلمون على حد سواء. فهو يقدم معلومات ومعارف وأفكاراً منظمة تنظيمياً ومنطقياً ومتسلسلة حسب المرحلة النمائية والتعليمية للطلبة. ويساعد المعلم في الانتقال من موضوع لآخر بكل سهولة ويسر. ويخفف على المدرس والطلبة عناء الجهد والبحث والدراسة. ويوجه التلاميذ إلى تحقيق الأهداف المطلوبة. ويوفر بين أيدي الطلبة مادة وموضوعات يستطيعون الاطلاع عليها حسب أوقاتهم. ويساعد المعلم في الاستذكار وفي اشتقاق وتحديد الأهداف. إن نظرة عدد من المعلمين والطلبة إلى الكتاب المدرسي وطريقة استخدامه على اعتباره المنهاج، علماً أن المنهاج نظام متكامل يتألف من عناصر متفاعلة والكتاب المدرسي ما هو إلا الوسيلة التي يترجم من خلالها المنهاج على أرض الواقع. فالإكتفاء بالكتاب المدرسي واعتباره المصدر الوحيد للمعرفة عند عدد من المعلمين والطلبة، يقلل من رجوعهم إلى مصادر المعرفة الأخرى وما يعكسه ذلك على العملية التعليمية التعليمية. إن الطلبة يوجهون في كثير من الأحيان إلى حفظ الكتاب ونادراً ما يكلفون بالرجوع إلى مصادر أخرى لجمع المعلومات؛ لذلك يحرمون من فرصة اكتساب الأسلوب العلمي في البحث عن المعرفة، ويعتمدون اعتماداً كبيراً على المعلم والكتاب المدرسي^(١).

تنبثق أهمية التربية الإسلامية من الدور الحاسم للإيمان السليم الذي يوجد اتجاهات إيجابية وحلولاً جديدة تساعد الطلبة على تجنب الأفكار السيئة والتخلص من التوترات والضغوطات النفسية، لتمكينهم من التواصل مع الآخرين بعقلانية وانفتاح. وفي الوقت نفسه يساهم بفاعلية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة في بلدهم.

وتتعدى التربية الإسلامية في مفهومها وأهدافها الحياة الدنيا لتعد المسلم للدار الآخرة التي آمن بها. والتربية الإسلامية هي القاسم المشترك بين جميع المباحث، وتشكل البيئة الآمنة المنشودة لكل مسلم. وتؤكد التربية الإسلامية على أن سلوك الإنسان يقاس ويحكم عليه بمقدار توافقه وانسجامه مع الحقائق الكونية وما يحكمها من ضوابط وقوانين ونظم.

لقد اهتمت المملكة الأردنية الهاشمية بالتربية الإسلامية، باعتبار أن دين الدولة هو الإسلام، كما نص على ذلك البند الأول من دستور المملكة الأردنية الهاشمية «الإسلام هو دين الدولة»، وتستمد الفلسفة التربوية في الأردن مبادئها ومفرداتها من الدين الإسلامي والدستور الأردني، والتربية الإسلامية هي المحرك والموجه لسلوك المسلم، فسلوك الإنسان ما هو إلا ترجمة حقيقية لعقيدة ذلك الإنسان وما يؤمن به.

إن تعليم التربية الإسلامية وتأسيس مبادئها قد بدأ في الأردن عن طريق الكتاتيب وما يدرس فيها

١- (انظر اللقمان، وأبو سنيينة، ص ١٩٨٩)

من قرآن وحديث شريف، ومن أبرز الملاحظات على تلك الفترة غياب المنهاج الواضح المحدد لها. وبعد تأسيس المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٢١ م بدأ الاهتمام بالتعليم بشكل منهجي ومنظم وأخذ الطابع المؤسسي، وأخذت المؤسسة التعليمية في المملكة بالتطور المستمر في جميع عناصر النظام التربوي وعلى رأسها المنهاج والكتب المدرسية. فالتربية الإسلامية تعتبر مادة تعليمية وخصص لها ثلاث حصص في الأسبوع.

إن التربية الإسلامية هي الأساس المتين الذي ارتضته الأمة الإسلامية في شتى بقاع الأرض لتربية النشء من أبنائها، واختاره الأردن لأجياله في سعيه الدؤوب إلى تطوير شخصية الطالب على أسس الإسلام ومبادئه؛ بحيث تكون هذه الشخصية متوازنة عقليا واجتماعيا وجسميا وروحيا. جعلت المملكة الأردنية الهاشمية للتربية الإسلامية مناهج دراسية شاملة لكل مرحلة تعليمية بما يتناسب مع حاجات وعمر الطلبة. وفي العام الدراسي ٢٠٠٦/٢٠٠٧ بدأت المملكة بتقديم كتب مدرسية جديد لطلبة الصف الثامن والصف العاشر، إن هناك عددا من الملاحظات تتردد بين بعض الأوساط التربوية حولها، وأنها تعاني من بعض المشكلات كما أظهر ذلك عدد من المهتمين، من حيث التصميم والتنفيذ والتقييم، الأمر الذي استدعى إجراء دراسة تقييمية لهذه الكتب للكشف عن مدى مناسبتها.

يمكن لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات أن تسهم في تحسين تعلم الطلبة في التربية الإسلامية من خلال استخدام العديد من البرمجيات التي تتعلق بكيفية ممارسة الشعائر الدينية التي تساعد الطلبة على التواصل بفاعلية مع الآخرين. واستكمالا لتحقيق الأهداف المرجوة من تدريس مبحث التربية الإسلامية، يأتي هذا التطور في برامجه وأنشطته وطرق تقييمه.

وضع الإطار العام للمناهج المدرسية في المملكة الأردنية الهاشمية، الأسباب التي دعت إلى تطور المناهج التربوية والكتب المدرسية؛ وأن ذلك كان بناء على نتائج دراسات تقويم المناهج والكتب المدرسية التي أجراها عدد من الباحثين الأردنيين وكذلك التقارير الأخيرة التي قدمها الخبراء الأجانب للمناهج والكتب المدرسية، فقد بينت معظم هذه النتائج أن المناهج مبنية على المفهوم الضيق التقليدي للمناهج وأن المناحي العامة وطرائق التدريس المستخدمة ركزت على عمليات التعليم فأعطت الدور الرئيسي الأكبر للمعلم والأنشطة التي تتم داخل غرفة الصف. واتفقت أغلب الدراسات والتقارير على توصيات بتطوير عملية التعلم والتعليم ومحورها على المتعلم ليقوم بدور أكبر وأكثر فاعلية واستقلالية. وهذا سيؤدي إلى إثارة دافعية الطلبة، وتكوين اتجاهات إيجابية لديهم لتحمل المسؤولية في التعلم واختيار أنماط التعلم ومصادره المتنوعة، واتخاذ القرارات وحل المشكلات، والتفكير الناقد بالإضافة إلى تركيز التعلم على توظيف المعارف والمهارات المكتسبة والمتعلمة في الحياة اليومية. وقد أكدت هذه الدراسات على مراعاة المناحي الحديثة لتصميم المناهج وبنائها بهدف إكساب الطلبة المعارف والخبرات والمهارات من مصادر

التعلم المتنوعة، وانسجاما مع التطورات العالمية في المناحي المختلفة (الإطار العام للمناهج المدرسية، ٢٠٠٣).

النتائج التعليمية المحورية لمبحث التربية الإسلامية :

لقد تم تحديد النتائج على النحو الآتي :

١- تطبيق مبادئ الإسلام المبنية على الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ٢. إيجاد شخصية إسلامية متوازنة جسميا وعقليا وروحيا، ٣. التواصل مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. ٤. تعزيز الفهم السليم لمفردات الإسلام على ضوء القرآن الكريم والسنة، ٥. فهم التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، ٦. تحرير العقل من الأوهام والخرافات والأساطير، ٧. التأكيد على استقلالية الشخصية الإسلامية وتميزها، ٨. تطبيق الأخلاق الإسلامية بوصفها ثمرة التربية الإسلامية، ٩. الاستبصار بتراث الأمة الإسلامية والاستفادة منه في فهم الحاضر وبناء المستقبل، ١٠. حمل ونشر الرسالة الإسلامية العالمية والدفاع عن مسلماتها، ١١. تطبيق مبدأ الشورى والحوار في الحياة اليومية، ١٢. تجاوز التقليد الأعمى والتسلح بالإيمان الواعي الناقد، ١٣. التنبص بالسنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم والسنة النبوية، ١٤. ترسيخ مفهوم البيئة الآمنة، ١٥. استخدام التكنولوجيا الحديثة في نقل المعلومات وإدارتها وتوظيفها، وإتقان مهارة التلاوة والتجويد (الإطار العام والنتائج العامة للتربية الإسلامية، ٢٠٠٥).

المسوغات التي قدمت لتطوير المنهاج وكتب التربية الإسلامية

في المملكة الأردنية الهاشمية :

تضمين مناهج وطرق حديثة في التعليم منسجمة مع كفايات منظومة اقتصاد المعرفة، تركيز التعليم على المتعلم لإعطائه دورا فاعلا ومسؤولا ومستقلا، تغيير دور المعلم ليؤدي أدوارا جديدة: منظم ومدير ومطور ومسهل ومشرف ومقيم، توظيف المعرفة والمهارات والكفايات التي يتعلمها الطلبة في تطوير المجتمع وتلبية احتياجاته، تنوع مصادر التعلم وتوفيرها بوسائل التكنولوجيا الإلكترونية الحديثة، وتقليل حجم الفجوة الرقمية بين النظام التربوي التعليمي الأردني والأنظمة التعليمية المتقدمة.

لقد وضحت مقدمة هذه الكتب المطورة أنها جاءت منسجمة مع أهداف التطوير التربوي نحو الاقتصاد المعرفي، وترجمة للنتائج العامة والخاصة للصفين الثامن والعاشر من مرحلة التعليم الأساسي، حيث اشتملت على ست وحدات دراسية. وقد روعي في هذه الكتب أن تكون مشتملة على عناصر المعرفة المتعددة من حقائق، ومفاهيم، ومصطلحات، وقيم، واتجاهات، ومبادئ، ومنسجمة مع الأهداف التي وضعت من أجلها بحيث تحقق الكفايات التعليمية للطلبة. وتشير كذلك إلى أنها عرضت بأسلوب سهل شائق يثير الدافعية لدى المتعلم، وذلك من خلال

اختيار الألفاظ السهلة البسيطة البعيدة عن الغموض، ومراعاة التسلسل العلمي والمنطقي للأحداث، وهي ليست المصدر الوحيد لتلقي العلم والمعرفة، بل للطالب أن يرجع إلى مصادر المعرفة المختلفة وخصوصا التقنيات الحديثة منها واستخدام الحاسوب في إثراء معلوماته عن الموضوعات التي اشتملت عليها الكتب^(١).

محتوى كتاب مادة التربية الإسلامية: هناك كتابٌ مقررٌ للصف الثامن، وآخر مقرر للصف العاشر، ويسمى كل منها «التربية الإسلامية»، وهو مكون من جزأين منفصلين واحد للفصل الأول والآخر للفصل الثاني، وقد تم تأليف كل كتاب من قبل فريق وطني يتكون من مجموعة من المشرفين التربويين لمادة التربية الإسلامية وعدد من معلمي التربية الإسلامية، وطبع عام ٢٠٠٦م. ويحتوي كل كتاب على ستة محاور هي: محور القرآن الكريم وعلومه، ومحور الحديث الشريف وعلومه، ومحور العقيدة الإسلامية، ومحور السيرة النبوية، ومحور الفقه الإسلامي وأصوله، ومحور النظام الإسلامي والأخلاق الإسلامية.

أما الأهداف التي يسعى كل محور من المحاور لتحقيقها في كتاب التربية الإسلامية للصف الثامن فهي:

محور القرآن الكريم: حيث يهدف تفسير أوائل سورة الإسراء وترجمة معاني القرآن الكريم، وأهميتها وشروطها، كما يسعى إلى توضيح معاني الحروف المقطعة الواردة في أوائل بعض السور الكريمة.

محور الحديث الشريف وعلومه: حيث يهدف إلى تعريف الطالب بالمراحل التي مرت بها عملية تدوين السنة الشريفة، والأسباب التي دعت إلى ذلك، ويسعى إلى تقديم ثمانية أحاديث شريفة بالدراسة والشرح ويلتزم كل طالب بما ورد فيها من أحكام شرعية وتوجيهات نبوية.

محور العقيدة الإسلامية: حيث يهدف إلى توضيح بعض المفاهيم الإيمانية مثل أركان الإيمان، والتوحيد، والتعريف ببعض الموضوعات الغيبية كالملائكة والجن والتحذير من الأمور التي تمس نقاء العقيدة الإسلامية وصفاءها. كما يعرض قصتي سيدنا هود وسيدنا صالح عليهما السلام كما بينت أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع.

محور السيرة النبوية: حيث يهدف إلى توضيح بيعتي العقبة، والهجرة النبوية، وأسس المجتمع الإسلامي، والسرايا وغزوة بدر الكبرى وغزوة بني قنقاع كما تعرف بأل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخصوصا زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأبنائه.

محور الفقه الإسلامي: حيث يهدف إلى تزويد الطلبة بقدر مناسب من الأحكام الشرعية في مجالات العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية، فتناول أحكام الخطبة والغسل الشرعي

(١) - (التربية الإسلامية، ٢٠٠٦)

والحج والصلاة والاستخارة وصلاة الحج والزكاة والرهن والوقف والمزارعة والمساقاة.

محور النظام الإسلامي والأخلاق الإسلامي: حيث يهدف إلى بيان آداب طلب العلم، وحقوق الزوجين وواجباتهم تجاه بعضهم وبين مفهوم الجهاد ومشروعيته وأهميته ثم تناول بعض موضوعات الأخلاق وخصوصا التقوى والعزة^(١).

أما الأهداف التي يسعى كل محور من المحاور لتحقيقها في كتاب التربية الإسلامية للصف العاشر فهي:

محور القرآن الكريم وعلومه: حيث يهدف إلى بيان مفهوم القرآن الكريم وأسمائه وخصائصه ومقاصده، وتوضيح نوعين من الإعجازهما البياني والعلمي، كما يهدف إلى تفسير آيات طيبة من سورتي (المدثر والمؤمنين). أما الفصل الثاني فيهدف إلى بيان الإعجاز التشريعي والغيبي، كما يهدف إلى تفسير وحفظ آيات طيبة من سورتي (آل عمران، الأحقاف).

محور الحديث الشريف وعلومه: حيث يهدف إلى التعريف بالكتب الستة وبأصحابها ومناهجهم في التصنيف، إلى جانب حديثين من الأحاديث النبوية الشريفة. أما الفصل الثاني فيهدف إلى حفظ وشرح خمسة أحاديث نبوية شريفة.

محور العقيدة الإسلامية: حيث يهدف إلى بيان خصائص العقيدة الإسلامية، والإخلاص في العقيدة وأثره والهداية والضلال وأسبابهما. أما الفصل الثاني فيهدف إلى بيان دور العقل في إدراك حقائق العقيدة، والنظر في الظواهر الكونية الدالة على وجود الله سبحانه وتعالى، وتوضيح موقف الإسلام من العقائد الأخرى، وبيان صبر وثبات الرسل عليهم السلام في تبليغ رسالات ربهم، مع الوقوف على قصة سيدنا ﷺ.

محور السيرة النبوية: حيث يتحدث عن أربع غزوات لتحرير الجزيرة العربية من الضلال والانحراف، والتبعية السياسية للدولتين العظمتين في حينها: الروم والفرس، وهذه الغزوات هي: مؤتة وفتح مكة وحنين وتبوك، واختتم المحور بدراسة عام الوفود. أما الفصل الثاني فيتناول حجة الوداع ومرض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته، ويعرف بعدد من شهداء ثرى الأردن، ويختتم هذا المحور ببيان جهود العلماء المعاصرين في خدمة السيرة النبوية.

محور الفقه الإسلامي وأصوله: حيث يهدف إلى التعريف بعلم أصول الفقه وموضوعاته ومجالاته، ومقارنته بين عمل كل من الأصولي والفقيه، وكذلك الاجتهاد والمجتهد وشروط الاجتهاد ومجالاته، بالإضافة إلى ثلاثة موضوعات فقهية هي الوصية والأيمان والنذر. أما الفصل الثاني فإنه يهدف إلى توضيح عدد من المواضيع الفقهية وهي: الاحتكار والتسعير، والحوالة،

١- (كتاب التربية الإسلامية للصف الثامن، ٢٠٠٦)

والقمار، وتعدد الزوجات، والشروط في عقد الزواج.

محور النظام الإسلامي والأخلاق الإسلامي: حيث يهدف إلى بيان موضوع العفة والتضحية والتوبة. أما الفصل الثاني فيهدف إلى بيان مبادئ الجهاد في الإسلام وتوضيح العلاقات الدولية في الإسلام ومناقشة موضوع الفقر وعلاجه في الإسلام، والحديث عن اللباس في الإسلام ويختتم المحور بالحديث عن الرياضة في الإسلام^(١).

مشكلة الدراسة :

تؤدي التربية الإسلامية دوراً أساسياً في تكوين شخصية الطالب المسلم، وتزويده بالمعارف والمفاهيم والأحكام الشرعية الضرورية التي تلزمه في إقامة شعائره الدينية والتعبدية، كما أنها تعنى بتعزيز القيم والاتجاهات الإسلامية عنده، ونظراً لأهمية هذا الدور فإنه يتوجب علينا العناية بكتب التربية الإسلامية عناية كبيرة تتمثل في تحديد أهدافها ومخرجاتها التعليمية، وفي تصميم محتواها التعليمي وتنظيمه وفق أسس علمية منطقية ونفسية محددة، وفي استخدام أساليب وأنشطة تدريسية تنظم العملية التعليمية بصورة فعّالة، وفي تطوير أساليب وأدوات التقويم المستخدم، من قبل مصممي المنهج ومنفذه.

عملت المملكة الأردنية الهاشمية على تطوير مناهج وكتب التربية الإسلامية لتواكب التطورات التربوية المعاصرة، والأساليب الجديدة، ورغم الأهمية التي تحتلها هذه الكتب المطورة في النظام التربوي الأردني إلا أنها تواجه عدداً من الملاحظات، كما أنها لم تحظ بدراسة تقييمية تشمل عناصرها الخمسة: الأهداف، والمحتوى، والأساليب، والأنشطة، والتقييم، مما استدعى القيام بهذه الدراسة الميدانية التقييمية للكشف عن مدى مناسبة هذه الكتب.

وقد أشار المتخصصون في تأليف كتب التربية المطورة إلى أن هذه الكتب قد تم تأليفها وفق المعايير والأسس العلمية الحديثة، إلا أن هناك بعض الأصوات سواء كانت من أولياء الأمور أو المعلمين القائمين على هذه الكتب المطورة، تنادي بأن هناك بعض الثغرات في تأليف هذه الكتب وعدم مطابقتها للمعايير والأسس العلمية، فقد جاءت هذه الدراسة للحكم على مدى مراعاة هذه الكتب للمعايير والأسس العلمية الحديثة من خلال أسلوب ونهج علمي.

أسئلة الدراسة :

تكمن أهداف الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما مدى ملاءمة كتب التربية الإسلامية المطورة للصفوف الثامن والعاشر لمعايير تأليف الكتب المدرسية من وجهة نظر معلميها؟

١- (كتاب التربية الإسلامية للصف العاشر، ٢٠٠٦)

السؤال الثاني: هل تختلف تقديرات معلمي التربية الإسلامية لمدى ملاءمة كتب التربية الإسلامية المطورة للصفوف الثامن والعاشر لمعايير وأسس تأليف الكتب باختلاف الجنس (ذكر، أنثى) عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0,05$) ؟

السؤال الثالث: هل تختلف تقديرات معلمي التربية الإسلامية لمدى ملاءمة كتب التربية الإسلامية المطورة للصفوف الثامن والعاشر لمعايير وأسس تأليف الكتب باختلاف المستوى العلمي (بكالوريوس فما دون، ماجستير، دكتوراه) ($\alpha = 0,05$) ؟

أهمية الدراسة:

تستمد الدراسة أهميتها من الموضوع الذي تتناوله وهو تقويم كتب التربية الإسلامية المطورة في المملكة الأردنية الهاشمية من وجهة نظر معلمها، للكشف عن مدى ملاءمتها للمعايير العلمية في تأليف الكتب المدرسية، باعتبارها أداة من أدوات التعلم، وللكشف عن مواطن القوة ومواطن الضعف فيها. ومن المتوقع أن يستفيد من نتائج هذه الدراسة المسؤولون في مديرية المناهج والكتب المدرسية في وزارة التربية والتعليم في التعرف على جوانب القوة في هذه الكتب وتفعيلها وجوانب الضعف والتخلص منها، وإعداد دورات تدريبية للمعلمين من أجل تمكينهم من الكفايات المناسبة لتنفيذ هذه الكتب على الوجه الأكمل.

حدود الدراسة:

جرت هذه الدراسة ضمن الحدود الآتية:

- اقتصرت هذه الدراسة على تقويم كتب التربية الإسلامية المطورة (الصف الثامن، والصف العاشر) من وجهة نظر معلمها في محافظة جرش.
- المعايير التي اشتملتها أداة الدراسة مقسمة إلى خمسة مجالات هي: (الأهداف، المحتوى، طرق وأساليب التدريس والوسائل التعليمية، الأنشطة التهليمية، التقويم)
- تتحدد دقة وصحة النتائج على استجابة أفراد العينة على الاستبانة.

الدراسات السابقة:

قام العمري (١٩٩٥) بدراسة هدفت إلى تحليل وتقويم كتاب التربية الإسلامية للصف التاسع في الأردن، للتعرف على مدى مراعاته لمنطلقات التطوير التربوي المتعلقة بالمناهج والكتب المدرسية، وقد توصلت النتائج إلى أن تقديرات المشرفين لمجالات الشكل العام للكتاب، وإخراج، ولغته، وأساليب تقويمه، ومحتواه كانت عالية، كما أشارت إلى أن تقديراتهم متوسطة للمجالات الأخرى وهي: الأنشطة البنائية والختامية، والفروق الفردية، والوسائل التعليمية، وتمتية التفكير. كما وضحت النتائج أن تقديرات المعلمين كانت عالية لجميع المجالات، وإلى

اتفاق المعلمين والمشرفين على وجود بعض السلبيات مثل: كبر حجم المادة العلمية مقارنة بعدد الحصص المخصصة لها، وعدم ارتباط المحتوى بجاقات الطلبة وميولهم، وعدم اتصاف الوسائل التعليمية بالجاذبية والتشويق، وخلو المحتوى من أسلوب حل المشكلات.

وقام الجلاد (١٩٩٩) بدراسة هدفت إلى تقويم مناهج التربية الإسلامية في الأردن، حيث ركزت الدراسة على منهج الصف العاشر، طبقت الدراسة في (٢٢) مدرسة في عمان، وتناولت عناصر المنهج الأربعة: الأهداف، والمحتوى، وأساليب التدريس، والتقويم، زواج الباحث بين المنهجين الكمي والكيفي، حيث استخدم الاستبانات، والمقابلات، والملاحظات، وتألفت عينة الدراسة من (١،٢٦٤) طالباً، و(٩٢) معلماً ومعلمة للتربية الإسلامية، كما تم إجراء المقابلات مع (٨٨) طالباً، و(٢٢) مدرساً، و(١٢) مشرفاً تربوياً في التربية الإسلامية، وأما الملاحظة فقد تم إجراؤها في (٢٢) حصة للتربية الإسلامية، وأظهرت النتائج أن تركيز المنهج وعملية التعلم والتعليم للتربية الإسلامية كانا منحصرين بشكل رئيس بالمحتوى، كما أن الاهتمام الأول للمدرسين تركز في نقل المعارف والمعلومات للطلاب خلال أسلوب المحاضرة دون استخدام أساليب تدريسية أخرى، إضافة إلى قلة استخدام الوسائل والأنشطة التعليمية، كما أن أساليب التقويم ركزت على قياس الجانب المعرفي عند الطلبة.

وقام أبو خضير (١٩٩٤) بدراسة هدفت إلى تقويم كتاب التربية الإسلامية للصف الخامس الأساسي لمعرفة مدى ملاءمته باعتباره أداة من أدوات التعلم، وللكشف عن مواطن القوة ومواطن الضعف فيه، تألفت عينة الدراسة من (٤٥) معلماً و(٦٦) معلمة يدرسون الكتاب، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن درجة ملاءمة الكتاب، بشكل إجمالي ومن وجهة نظر المعلمين والمعلمات قد بلغت (٧٩,٥) %، كما أظهرت النتائج أن أفضل أبعاد الكتاب هو لغة الكتاب، يليه الشكل العام، ثم المحتوى، ثم التقويم، أما الوسائل التعليمية فحصلت على أقل تقدير.

قام وزان (١٩٨٢) بدراسة هدفت إلى تقويم مناهج التربية الإسلامية في المملكة العربية السعودية بالمرحلة المتوسطة للوقوف على جوانب الضعف فيها، للمساهمة في تطوير المناهج بالصورة التي تحقق الأهداف المنشودة منها، وقد أظهرت النتائج أهمية مراعاة مناهج التربية الإسلامية لطبيعة المجتمع السعودي، بحيث يظهر من خلالها الاهتمام بالتغيرات التي طرأت عليه والمشكلات التي يعاني منها، والآمال التي يرنو إليها، وضرورة تنظيم محتوى التربية الإسلامية وفقاً لأهداف المنهاج، بحيث يساعد على توضيح المفاهيم الإسلامية وتحليلها بصورة تمكن التلاميذ من إدراكها وفهمها.

وقام العلوي (١٩٨٩) بدراسة هدفت إلى تقويم مناهج التربية الإسلامية للصف الثالث الثانوي في دولة البحرين في ضوء أهداف المرحلة ومشكلات الطلاب، وقد أظهرت النتائج أن هذا المنهاج كان قاصراً في عرض الجوانب المختلفة للعقيدة، ولم يوفق في عرض القضايا العصرية

التي يعاني منها المجتمع البحريني، كما أنه أغفل المقارنة بين الإسلام والديانات الأخرى، ولم يتعرض لأبرز المشكلات التي يعاني منها طلاب الصف الثالث الثانوي بدولة البحرين.

وقام بدر (١٩٨٩) بدراسة هدفت إلى تقويم مناهج التربية الإسلامية في جمهورية مصر العربية لمعرفة الخلل الذي أدى إلى عدم تحقق بعض أهدافه لدى طلاب المرحلة الأساسية، وطلاب الصف التاسع بوجه خاص، وقد أظهرت نتائج الدراسة، أن كتاب التربية الإسلامية للصف التاسع لم يعالج الأهداف المحددة للمناهج، بالإضافة إلى عدم توازن الموضوعات في معالجتها للأهداف، كما كشفت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha = 0,05$) بين المعلمين والمعلمات من حيث أدائهم لمهارات التربية الإسلامية ولصالح المعلمين، كما أظهرت نتائج تحليل محتوى بعض اختبارات نصف العام ونهايته أن هذه الامتحانات ينقصها الشمولية، كما أنها ركزت على الناحية العقلية.

وقام الأزكي (١٩٩٥) بدراسة هدفت إلى تقويم كتاب التربية الإسلامية للصف الثالث الإعدادي في سلطنة عمان، من وجهة نظر معلمي ومعلمات التربية الإسلامية، وذلك لمعرفة مدى ملاءمة الكتاب، والكشف عن مواطن القوة والضعف فيه، وأظهرت النتائج أن درجة ملاءمة الكتاب بشكل إجمالي من وجهة نظر المعلمين والمعلمات بلغت (٦, ٧٢٪)، كما بينت عدداً من جوانب القوة في الكتاب تمثلت بشكل واضح في مجال الإخراج، ومجال أسلوب العرض، ولغة الكتاب، وقد أظهرت النتائج عدداً من مواطن الضعف وبخاصة في مجال المحتوى فيما يتعلق بالرسوم، والوسائل التعليمية من حيث كفايتها، ووضوحها، وتنوعها، يليها في ضعف جوانب تنمية التفكير ثم مراعاة الفروق الفردية فالجوانب الوظيفية للمحتوى.

الطريقة والإجراءات

مجتمع الدراسة :

تكوّن مجتمع الدراسة من:

أ. كتب التربية الإسلامية المطورة للصفوف الثامن والعاشر (٢٠٠٦/٢٠٠٧).

ب. المعلمين والمعلمات الذين يدرّسون مادة التربية الإسلامية للصف الثامن والعاشر في الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨م، والبالغ عددهم (٦٢) معلماً ومعلمة وذلك في جميع المدارس الحكومية التابعة لوزارة التربية في محافظة جرش.

عينة الدراسة :

تم اختيار عينة للدراسة من جميع معلمي التربية الإسلامية الذين يدرّسون مادة التربية الإسلامية للصف الثامن والعاشر، بطريقة قصديه، وقد بلغ عدد أفراد عينة الدراسة (٤٩) معلماً ومعلمة،

منهم (٢٦) من الذكور و(٢٣) من الإناث، ويوضح الجدول رقم (١) توزيع عينة المعلمين والمعلمات حسب متغيرات الجنس والخبرة والمؤهل العلمي.

جدول رقم (١)

توزيع أفراد عينة الدراسة للمعلمين حسب متغيرات: الجنس، والمستوى العلمي

المجموع	دكتوراه		ماجستير		بكالوريوس فما دون		المستوى العلمي
	الجنس		الجنس		الجنس		
	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر	
	٠	٣	٣	٩	٢٠	١٤	
٤٩	٣		١٢		٣٤		المجموع الكلي

أداة الدراسة:

قام الباحث بتطوير استبانة لتقويم منهاج التربية الإسلامية للصفين الثامن والعاشر الأساسي، بعد الإطلاع على الأدب التربوي والدراسات المتعلقة في هذا المجال، ومقدمة الكتب المدرسية المطورة التي تحدد المعايير التي راعاها الكتاب. تكونت الاستبانة من (١٠٢) فقرة موزعة على (٥) مجالات هي: الأهداف التربوية، ومحتوى الكتاب، والأساليب والوسائل، والأنشطة، والتقويم. تم ترتيب فقرات الاستبانة وفق تدرج خماسي ممثلة ب: «دائماً، وغالباً، وأحياناً، ونادراً، ومطلقاً». ومثلت رقمياً بالأرقام التالية: (١،٢،٣،٤،٥) على التوالي والملحق رقم ١ يوضح ذلك.

صدق الأداة:

للتحقق من صدق الأداة قام الباحث بعرض الأداة على عدد من المحكمين والمختصين في عدد من الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة، وطلب منهم إبداء ملاحظاتهم حول: مناسبة الفقرات للمجالات، والصيغة اللغوية، أو أي اقتراحات وتعديلات أو ملاحظات أخرى. أخذ الباحث بملاحظات المحكمين، وأجريت التعديلات المناسبة لإثراء الدراسة. بعد التعديل النهائي أصبح عدد فقرات الدراسة (٨٥) فقرة موزعة على (٥) مجالات.

ثبات الأداة:

للتحقق من ثبات الأداة قام الباحث بتطبيق الأداة على عينة مكونة من ١٠ معلمين، حيث طبقت بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار (test- retest) وبفارق أسبوعين بين التطبيق الأول والثاني، تم حساب معامل الثبات باستخدام معامل ارتباط (بيرسون) إذ بلغ معامل الثبات (٠,٨٨) وعد كافياً لأغراض هذه الدراسة. ومن ثم تم استخراج معامل (كرومباخ ألفا) للتأكد من الاتساق

الداخلي لأداة الدراسة وكانت قيمته (٠,٩٢) وعد كافياً لأغراض هذه الدراسة.

إجراءات الدراسة :

قام الباحث بتوزيع الاستبانات على أفراد عينة الدراسة البالغ عددهم (٦٢) معلماً ومعلمة في محافظة جرش، وقد تمكن الباحث من استرداد (٤٩) استبانة وكانت نسبتهم (٧٩٪) من عدد أفراد مجتمع الدراسة.

طلب الباحث من أفراد عينة الدراسة، الإجابة عن جميع فقرات الاستبانة، وإبداء رأيهم من حيث: درجة موافقتهم على كتب التربية الإسلامية المطورة للصف الثامن والعاشر، من وجهة نظرهم.

المعالجة الإحصائية :

للإجابة عن أسئلة الدراسة تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات الدراسة، واختبار (ت) (Independent Sample T-test) لمعرفة أثر متغير الجنس (ذكر، أنثى) على تقديرات المعلمين لمجالات الدراسة الخمسة، وكذلك تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) لمعرفة أثر متغير المستوى العلمي على تقديرات المعلمين على مجالات الدراسة. اعتبر الباحث المتوسطات التي تتراوح بين (٤,٥٥ - ٤,٥٠) متوسطات عالية، والتي تتراوح بين (٣,٩٩ - ٣,٥٠) متوسطات متوسطة، والتي تتراوح بين (٢,٩٩ - ٢) فما دون) متوسطات متدنية.

نتائج الدراسة ومناقشتها :

تناول هذا الفصل عرضاً للنتائج التي توصلت إليها الدراسة حيث تم تصنيفها وفقاً لأسئلة الدراسة على النحو الآتي:

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: ما مدى ملاءمة كتب التربية الإسلامية المطورة للصفوف الثامن والعاشر لمعايير تأليف الكتب المدرسية من وجهة نظر معلميهما؟

للإجابة عن هذا السؤال، تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات المعلمين على كل فقرة من فقرات الاستبانة والتي توزعت على مجالات خمسة: الأهداف، والمحتوى، الأساليب والوسائل والأنشطة، والتقويم؛ وقد تم ترتيب الفقرات الخاصة بكل مجال ترتيباً تنازلياً، والجدول رقم (٢) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المجال الأول (أهداف المنهاج).

الجدول رقم (٢)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المجال الأول (أهداف)

الرتبة	رقم الفقرة	المجال الأول: أهداف المنهاج	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	٢	يراعي المجال المعرفي بمستوياته	٤,٣٠	٠,٤٦
٢	٥	ينمي الاتجاهات الإيجابية.	٤,١٠	٠,٧٤
٣	٣	يفرس في نفوس الطلبة حب الدين والاعتزاز به.	٤,٠٦	٠,٦٥
٤	١٠	يؤكد على أهمية الدين الإسلامي في الحياة الاجتماعية بتقديم حلول للعديد من مشكلات المجتمع.	٣,٨٩	٠,٨٤
٥	٧	يربط الأهداف التعليمية بالأهداف العامة للمنهاج والأهداف الخاصة للمرحلة الأساسية.	٣,٧٥	٠,٧٥
٦	١١	يسهم في التكيف والقبول الاجتماعي الإيجابي	٣,٧٥	٠,٨٥
٧	١	ينمي جوانب الشخصية المتكاملة: الفكرية والعاطفية والجسدية والاجتماعية للطلبة	٣,٧٣	٠,١,٢٥
٨	٤	يعزز لدى الطلبة ممارسة شعائر الدين الإسلامي في حياتهم اليومية.	٣,٧١	١,١١
٩	٩	يراعي المجال النفس حركي بمستوياته	٣,٥٥	٠,٧٦
١٠	١٢	يساعد المعلم على تحديد الأداء المطلوب من المتعلم بدقة	٣,٢٨	٠,٨٦
١١	٨	يوازن في الأهمية النسبية للمرتكزات المتعددة التي يستند إليها منهاج التربية الإسلامية (الديني، الاجتماعي، الثقافي، ، النفسي)	٣,٢٦	١,٠٣
١٢	٦	يراعي المجال الوجداني بمستوياته	٣,٠٦	٠,٩٨
		المجال ككل	٣,٧٠	٠,٨٥

يتبين من الجدول رقم ٢ أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن المجال الأول (أهداف المنهاج) قد تراوحت بين (٤,٣٠ - ٣,٠٦) وكان المتوسط الكلي لهذا المجال (٣,٧٠). حيث حصلت الفقرة رقم (٢) (يراعي المجال المعرفي بمستوياته) على أعلى متوسط مقداره (٤,٣٠)، وجاءت الفقرة رقم (٥) والمتعلقة (بتنمية الاتجاهات الإيجابية) في المرتبة الثانية حيث حصلت على متوسط مقداره (٣,٢٦)، أما الفقرة رقم (٣) والتي تتعلق (بفرس حب الدين والاعتزاز به في نفوس الطلبة)، فقد جاءت في المرتبة الثالثة حيث حصلت على متوسط مقداره (٣,٠٦).

ويظهر من خلال النتائج السابقة أن تقديرات أفراد العينة على فقرات هذا المجال جاءت بدرجة متوسطة، وأن الفقرات الآتية (تراعي المجال المعرفي بمستوياته، تنمية الاتجاهات الإيجابية، غرس حب الدين والاعتزاز به في نفوس الطلبة) جاءت عالية حيث حلت في المراتب الثلاث الأولى في الأداة، وهذا يشير إلى تركيز الكتب المطورة على المجال المعرفي، أما المجال المهاري بمستوياته فقد لوحظ ضعف تركيز كتب التربية الإسلامية عليه، فقد جاء في المرتبة التاسعة.

وقد يعزى ذلك إلى ميل المعلمين إلى تدريس التربية الإسلامية نظرياً وعدم اللجوء إلى تطبيق مهارات أدائية داخل الغرفة الصفية وبالتالي حصر معرفتهم بالنواحي النظرية والمعرفية أكثر من النواحي المهارية الأدائية. وكذلك إلى كبر حجم المادة الدراسية والذي لا يتناسب مع الزمن المخصص لها مما يدفع المعلمين إلى التركيز على الجانب النظري والمعرفي أكثر من الجانب الأدائي، لأنهم مطالبين بإنهاء المقرر الدراسي في الوقت المحدد. وبذلك تتفق الدراسة بما يتعلق بتركيز الكتاب على الجانب المعرفي مع ما توصلت له دراسة جلال (١٩٩٩)

وحصلت الفقرات رقم (١٢، ٨، ٦) على المراتب الأخيرة في المجال، حيث حلت الفقرة رقم (١٢) على المرتبة قبل الأخيرة وهي (يساعد المعلم على تحديد الأداء المطلوب من المتعلم بدقة)، وجاءت في المرتبة الثانية قبل الأخيرة الفقرة رقم (٨) وهي (يوازن في الأهمية النسبية للمرتكزات المتعددة التي يستند إليها منهاج التربية الإسلامية - الديني، الاجتماعي، الثقافي، النفسي-)، بينما حلت في المرتبة الأخيرة الفقرة رقم (٦) وهي (يراعي المجال الوجداني بمستوياته).

ويظهر من النتائج السابقة عدم تركيز الكتب على الجانب الوجداني بمستوياته والضعف التطبيقي له، وهذا يشير إلى أن الكتب المطورة تركز على طريقة الوعظ والإرشاد في تدريس القيم والاتجاهات بدلا من الطرق الأخرى كالقدوة وغيرها.

ويمكن أن يعلل ذلك بعدم توفير دليل إرشادي للمعلم في كيفية تدريس وتنفيذ الكتاب، وكذلك ضعف تدريب المعلمين على تنفيذ الكتاب، وضعف الكتب في طرائق التدريس التي يقترحها، وضعفهم في مجال المعرفة بالأسس التي يبنى عليها منهاج التربية الإسلامية.

نتائج المجال الثاني : المحتوى :

جدول رقم (٣)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لقرات المجال الثاني (المحتوى)

الرتبة	رقم الفقرة	المجال الثاني: المحتوى	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	٢٠	يحسن توظيف الأدلة الشرعية	٤,٣٤	٠,٦٩
٢	١٧	ينظم الأفكار والعناوين الرئيسية والفرعية والمحاور بشكل مناسب	٤,١٦	٠,٤٢
٣	٩	يعرض المحتوى بلغة مناسبة للطلبة	٤,٠٢	٠,٩٦
٤	١٦	يخلو من التناقض والخلل	٤,٠٢	٠,٥٥
٥	١٨	يشير إلى المصدر الذي اقتبست منه العبارات أو نقلت منه المعرفة والخبرة التعليمية	٣,٩١	٠,٧٣
٦	٧	يقدم المعلومات بشكل متسلسل مترابط	٣,٨٥	٠,٧٦
٧	١١	يخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية والطباعية.	٣,٨٥	٠,٨٦
٨	٤	يصنف المعرفة في المحتوى إلى معرفة إدراكية وقيمية وأدائية	٣,٧٥	٠,٦٣
٩	١٢	يرتبط بالأهداف التعليمية للمرحلة التعليمية	٣,٧٥	٠,٨٥
١٠	١	يناسب الخصائص النمائية للمرحلة العمرية المستهدفة	٣,٦٩	١,٠٢
١١	٢٢	يوازن بين الجانب النظري والجانب التطبيقي.	٣,٦٧	٠,٧٤
١٢	٣	يفيد التدرج في خريطة المفاهيم لموضوعات التربية الإسلامية التي سيتعلمها الطلبة في مرحلتي التعليم الأساسى والثانوى.	٣,٥٣	٠,٩١
١٣	١٠	يعتمد على الكلمة المطبوعة فقط	٣,٥٣	١,٠٤
١٤	١٩	يضع المعارف والخبرات التعليمية فى كلمات مرتبة متناسقة	٣,٤٨	٠,٩٨
١٥	١٤	يعرض الفصول وال فقرات والرسوم التوضيحية بألوان مناسبة	٣,٣٨	١,٢٠
١٦	١٣	يعرض الفصول بشكل مترابط بحيث يكون كل فصل مبنيا على الجزء السابق له وممهدا للجزء اللاحق	٣,٣٦	٠,٨٨
١٧	١٥	يراعى الفروق الفردية	٣,٢٦	١,٣٥
١٨	٢١	يثير بأشكاله ورسوماته اهتمام المتعلمين	٢,٨٧	١,٠٩
١٩	٥	يعتمد على التقنيات المحوسبة فى عدد من الموضوعات	٢,٨١	١,٠٧
٢٠	٦	يوفر الوقت لصياغة أنشطة وتدريبات أصيلة وأكثر واقعية	٢,٥٧	١,٤١
٢١	٨	يناسب حجم الكتاب وإخراجه للطلبة	٢,٤٤	١,٣٠
٢٢	٢	يناسب مع عدد الحصص المقررة لمادة التربية الإسلامية.	١,٧٧	١,٢٤
		المجال ككل	٣,٤٦	٠,٩٤

يتبين من الجدول رقم (٢) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن المجال الثاني (محتوى المنهاج) قد تراوحت بين (٣٤، ٤ - ١، ٧٧) وكان المتوسط الكلي لهذا المجال (٣، ٤٦). حيث حصلت الفقرة رقم (٢٠) والتي تتعلق (بحسن توظيف الأدلة الشرعية) على المرتبة الأولى بمتوسط مقداره (٤، ٣٤). وجاءت الفقرة رقم (١٧) والمتعلقة (بتنظيم الأفكار والعناوين الرئيسية والفرعية والمحاوَر بشكل مناسب) في المرتبة الثانية بمتوسط مقداره (٤، ١٦)، وأما الفقرة رقم (٩) التي تتعلق (بعرض المحتوى بلغة مناسبة للطلبة) في المرتبة الثالثة بمتوسط مقداره (٤، ٠٢).

ويظهر من النتائج السابقة أن مؤلفي الكتب قد راعوا المعايير والأسس العلمية في تنظيم المحتوى بشكل متسلسل منطقي وفي عرضه بلغة مناسبة للطلبة، في طرحه للأفكار الشرعية وذلك لأن هذه الأحكام لا تحتل أي خطأ لأنها مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وقد يُعزى ذلك إلى عناية القائمين على الكتاب المقرر وحرصهم على اخراجه بصورة توظف الأدلة الشرعية بأسلوب علمي منطقي ينمي المهارات العقلية عند الطلبة تحاشياً للوقوع في أي خطأ أو عدم وضوح الأحكام الشرعية، وكذلك يظهر حرصهم على تنظيم الكتاب والأفكار بصورة تتماشى مع الواقع وما تفرضه ثورة المعلومات من تنظيم وترتيب، ويظهر في الكتاب الحرص على أن تكون لغته مناسبة للطلبة. وبذلك تتفق الدراسة بما يتعلق بلغة الكتاب مع ما توصلت له دراسة العمري (١٩٩٥)، وأبو خضير (١٩٩٤)، والأزكي (١٩٩٥).

وجاءت الفقرات (٢، ٨، ٦) في المراتب الأخيرة فقد حصلت الفقرة (٦) على المرتبة الثالثة قبل الأخيرة والمتعلقة (بمدى توفير وقت لصياغة أنشطة وتدرّيبات أصيلة وأكثر واقعية) بمتوسط مقداره (٢، ٥٧). وحلت في المرتبة قبل الأخيرة الفقرة رقم (٨) التي تتعلق (بمدى مناسبة حجم الكتاب وإخراجه للطلبة) بمتوسط مقداره (٢، ٤٤)، بينما حلت في المرتبة الأخيرة الفقرة رقم (٢) والمتعلقة (بمدى مناسبة مع عدد الحصص المقررة لمادة التربية الإسلامية) بمتوسط مقداره (١، ٧٧).

ويظهر من النتائج السابقة أن الكتب المطورة جاءت مقتضبة بحيث لم توفر وقتاً مناسباً لصياغة أنشطة وتدرّيبات، وكذلك عدم اهتمام مؤلفي الكتب بإخراج الكتاب بحجم مناسب للطلبة بما ينسجم مع عدد الحصص المقررة لمادة التربية الإسلامية.

وقد يعزى الباحث هذه النتائج إلى: أن إعداد هذه الكتب بني على فرضية أن عدد أيام الدراسة ستزيد في كل عام في المملكة فجاءت هذه الكتب لتتناسب مع عدد الحصص في السنوات المقبلة، وكذلك اكتظاظ الكتاب المقرر بالمادة العلمية دفع المعلم إلى الإسراع في إعطاء المادة الدراسية بغية إنهاء المقرر دون الإهتمام بالأنشطة والتدرّيبات. وكذلك اكتظاظ الكتاب بالمادة العلمية وطباعته بحجم خط كبير أدى إلى كبر حجم الكتاب بصورة غير مناسبة للطلبة.

وتتفق هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسة كل من العمري (١٩٩٥م).

نتائج المجال الثالث: طرق وأساليب التدريس والوسائل التعليمية:

جدول رقم (٤)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لفقرات المجال الثالث (طرق وأساليب التدريس والوسائل العامة)

الرتبة	رقم الفقرة	طرق وأساليب التدريس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	١	يثير تفكير الطلبة وينمي مهاراتهم العقلية.	٤,٠٠	٠,٥٠
٢	١٢	يراعي أسلوب الحوار والمناقشة	٤,٠٠	٠,٧٠
٣	١٩	يؤكد على التوافق بين استراتيجيات التدريس والنتائج التعليمية	٣,٩٧	٠,٤٧
٤	٧	يراعي التدريس بالقدوة	٣,٨٣	٠,٩٦
٥	١٠	يراعي أسلوب القصة	٣,٨١	٠,٩٥
٦	١٨	يزيد من فاعلية نقل أثر التعلم وتوظيفه في الحياة	٣,٦٧	٠,٧٤
٧	٨	يراعي التدريس بالعرض العملي	٣,٤٠	١,٠٧
٨	١١	يحفز على التعلم الذاتي	٣,٣٢	٠,٨٠
٩	١٦	يجعل نواتج التعلم أكثر ثباتاً ودواماً وأقل عرضة للنسيان.	٣,٢٢	١,٠٠
١٠	٢	يستخدم الحاسوب في البحث عن آيات وأحاديث في الموضوعات المختلفة	٣,١٢	١,٠٥
١١	١٧	يتضمن الكثير من المعينات البصرية من صور وأشكال ورسومات مما يقرب الواقع للمتعلم	٣,٠٦	١,٢١
١٢	٩	يراعي أسلوب التمثيل (لعب الأدوار)	٢,٩٣	١,١٠
١٣	١٣	يستخدم الرسومات والأشكال التوضيحية والخرائط	٢,٩٣	١,١٢
١٤	٦	يراعي الاكتشاف الموجة لاستخلاص المفاهيم	٢,٨٣	١,٢٤
١٥	٥	يراعي أسلوب التدريس بالاستقصاء	٢,٧٩	١,١٥
١٦	٤	يركز على أسلوب حل المشكلات	٢,٧٥	١,١٩
١٧	١٤	يستخدم المسجل في حصة التلاوة	٢,٧٥	١,١٤
١٨	٣	يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين من حيث القدرة على الإنجاز والسرعة.	٢,٧١	١,١٧
١٩	١٥	يحفز على استخدام مواقع بالإنترنت	٢,٤٢	٠,٧٩
		المجال ككل	٣,٢٤	٠,٩٢

يتبين من الجدول رقم (٤) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن المجال الثالث (طرق وأساليب التدريس والوسائل التعليمية) قد تراوحت بين (٤,٠٠ - ٢,٤٢) وكان المتوسط الكلي لهذا المجال (٣,٢٤). حيث حصلت الفقرة رقم (١) والتي تتعلق بإثارة تفكير الطلبة وتنمية مهاراتهم العقلية) والفقرة رقم (١٢) والمتعلقة (بأسلوب الحوار والمناقشة) على أعلى متوسط مقداره (٤,٠٠)، وأما الفقرة رقم (١٩) والتي تتعلق (بالتوافق بين استراتيجيات

التدريس والنتائج التعليمية) في المرتبة الثانية بمتوسط مقداره (٣,٩٧).

ويظهر من خلال ما سبق أن الكتب المطورة تعطي أهمية كبرى بطرق التدريس التي تثير تفكير الطلبة وتتمى مهاراتهم العقلية، وكذلك تربط بين استراتيجيات التدريس والنتائج التعليمية.

وقد يُعزى ذلك إلى مراعاة النظرة الحديثة للمنهاج وتركيزها على تنمية المهارات العقلية عند الطلبة وعدم تركيزها على حفظ المعلومات فقط. وتتفق هذه النتائج فيما يتعلق بجانب تركيزها على طريقة الحوار والمناقشة مع ما توصلت إليه دراسة جلال (١٩٩٩م)، واختلفت بما يتعلق بإثارته لتفكير الطلاب مع دراسة الأزكي (١٩٩٥م).

وجاءت الفقرات (١٥، ٢، ١٤) في المراتب الأخيرة، فقد حصلت الفقرة (١٤) على المرتبة الثالثة قبل الأخيرة والمتعلقة (باستخدام المسجل في حصة التلاوة) بمتوسط مقداره (٢,٧٥). وحلت في المرتبة قبل الأخيرة الفقرة رقم (٢) والتي تتعلق (بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين من حيث القدرة على الإنجاز والسرعة) بمتوسط مقداره (٢,٧١)، بينما حلت في المرتبة الأخيرة الفقرة رقم (١٥) والمتعلقة (بالتحفيز على استخدام مواقع الإنترنت) بمتوسط مقداره (٢,٤٢).

نستنتج مما سبق أن الكتب المطورة لا تشجع على استخدام التقنيات في عمليات التعليم والتعلم، كما أنها لا تولي الفروق الفردية أهمية، وكذلك لا تشجع الطلبة على استخدام المواقع الإلكترونية وتوظيفها في عملية التعليم والتعلم.

ويعزو الباحث ذلك إلى عدم تضمين الكتب المدرسية إرشادات خاصة بكيفية استخدام وتزليف تقنيات التعليم، أو اقتراح بعض أسماء وسائل التكنولوجيا لاستخدامها من قبل المعلمين والمتعلمين.

وتتفق هذه النتائج مع ما توصلت إليه دراسة كل من الأزكي (١٩٩٥م)، وأبوخضير (١٩٩٤م).

ويتضح من الجدول رقم (٤) أن أكثر طرق وأساليب التدريس التي حظيت بمتوسطات هي: (الحوار والمناقشة) حيث حظي على أعلى متوسط مقداره (٤,٠٠) وكان في المرتبة الثانية أسلوب (التدريس بالقدوة) حيث حظي على متوسط مقداره (٢,٨٣) يليه أسلوب (العرض العلمي) بمتوسط مقداره (٣,٤٠). في حين حصلت الأساليب الأخرى على متوسطات متدنية تراوحت بين (٢,٩٣-٢,٧٥) كأسلوب التمثيل (لعب الأدوار)، والاكتشاف الموجه لاستخلاص المفاهيم، والتدريس بالاستقصاء وأسلوب حل المشكلات.

يلاحظ من الجدول السابق أن الكتب المطورة قد ركزت على استراتيجيات التدريس المباشرة (الحوار والمناقشة، والتدريس بالقدوة)، ضناً أن هذه الطرق أكثر فاعلية في تدريس التربية الإسلامية، وأكثر مناسبة لقطع المحتوى الدراسي وملائمتها للبيئة الصفية، بينما نجد أن

الاستراتيجيات الأخرى القائمة على التعليم غير المباشر كالتفكير الناقد وحل المشكلات وغيرها قد جاء اهتمام الكتب الكطورة بها ضعيفا.

وقد تعزى هذه النتائج إلى كبر حجم المادة المقررة مما دفع مؤلفي هذه الكتب إلى التركيز على استخدام طرائق التعليم المباشرة، لمناسبتها لقطع محتوى المادة الدراسية في الزمن المخصص له، طبيعة محتوى الكتاب الذي يركز على الجانب المعرفي وازدحامه بالمعلومات والمعارف، قلة المهارات التدريسية لدى المعلمين. وتتفق هذه النتائج مع دراسة كل من العمري (١٩٩٥)، وجلاد (١٩٩٩).

ويتضح من الجدول رقم (٤) أن الوسائل التعليمية التي تثير عملية التعليم لم تحظ بمتوسطات عالية فقد تراوحت متوسطاتها من (١٢, ٤٢-٣, ٢) وخاصة الوسائل التعليمية الحديثة كالإنترنت. يلاحظ من الجدول السابق أن الوسائل التعليمية لم تحظ باهتمام، بل كان الاهتمام بها ضعيفا.

ويمكن أن تُعزى هذه النتائج إلى الأسباب الآتية: أن الوسائل التعليمية المستخدمة في تدريس التربية الإسلامية يمكن حصرها في السبورة والمسجل، إلا أن الحاسوب دخل متأخرا في عملية التدريس، وإن كان مقتصرًا على بعض المدارس لعدم توفر الامكانيات المادية، وقلة توفر البرامج المحوسبة في مادة التربية الإسلامية، قلة عدد الحصص الأسبوعية المخصصة للتربية الإسلامية، حيث إن استخدام الأجهزة الحديثة مثل: الحاسوب يحتاج إلى وقت طويل، وتركيز دائم، وهذا لا يتناسب مع عدد الحصص الأسبوعية المخصصة وهي حصتان في الأسبوع للتربية الإسلامية وحصّة واحدة للتلاوة. وتتفق النتائج السابقة مع نتائج دراسة كل من: جلاد (١٩٩٩م)، والعمري (١٩٩٥م)، وبدر (١٩٨٩م).

نتائج المجال الرابع: الأنشطة التعليمية:

جدول رقم (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسبة المئوية لفقرات البند (ج) من المجال الثالث (الأنشطة)

الرتبة	رقم الفقرة	الأنشطة التعليمية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	١٦	يناسب النتائج التعليمية للمبحث	٣,٩٧	٠,٥٢
٢	١٤	يوازن بين العمل التنافسي والعمل التعاوني للطلبة	٣,٦٧	٠,٧٧
٣	١٨	ينوع بين النشاط الصفّي والنشاط المدرسي	٣,٦٧	٠,٩٤
٤	٩	يحفز على التعلم الذاتي	٣,٦٥	٠,٩٩
٥	١١	يتيح الفرصة لجميع الطلبة للمشاركة الإيجابية فيه.	٣,٦٥	٠,٧٧
٦	١٧	يسهم في تنوع مصادر التعلم والتعليم	٣,٦٢	١,٢٦
٧	٨	يعمل على تحقيق أهداف تربوية شاملة معرفية ووجدانية وأدائية واجتماعية	٣,٦١	٠,٩٧

٠,٩٧	٣,٥٩	يوازن بين المخرجات النهائية والعمليات العقلية	١٥	٨
٠,٨٦	٣,٥٧	يرتبط بالمعلم (حاجاته، اهتماماته، إثارته للتفكير)	١٠	٩
٠,٧٣	٣,٥٥	يشير حاجة الطلبة إلى استخدام مصادر تعلم متنوعة غير الكتاب المدرسي	١٢	١٠
١,٠٤	٣,٤٢	يشجع الطلبة على زيارة المكتبة والاستفادة منها في جمع البيانات	٣	١١
١,٢٠	٣,٣٦	يدعو إلى زيارة الأماكن الدينية	٧	١٢
٠,٩٢	٣,٣٢	يجعل دور المتعلم إيجابى في تخطيطها وتنفيذها.	١٣	١٣
١,٢٢	٣,٢٠	يشجع المشاركة في إعداد مجالات الحائث	١	١٤
٠,٩٤	٣,١٢	يشجع الطلبة على استخدام برامج الحاسوب لتنفيذ نشاطات في المنهاج	٥	١٥
١,١٥	٣,٠٤	يربط عدد من النشاطات التعليمية بالمسجد	٦	١٦
١,١٨	٢,٨٦	يشجع الطلبة على كتابة البحوث والتقارير	٢	١٧
٠,٩٨	٢,٥٣	يكلف الطلبة بزيارة مواقع الكترونية محددة باستمرار	٤	١٨
٠,٩٦	٣,٤١	المجال ككل		

يتبين من الجدول رقم (٥) أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن المجال الرابع (الأنشطة التعليمية) قد تراوحت بين (٢,٩٧ - ٣,٥٣) وكان المتوسط الكلي لهذا المجال (٣,٤١). تظهر النتائج أن إجابات المعلمين لقيت موافقة بدرجة متوسطة في معظم الفقرات، وبدرجة متدنية في باقي الفقرات، حيث حصلت الفقرة المتعلقة (بمناسبة النشاطات بالنتائج التعليمية للمبحث) بالمرتبة الأولى حيث حصلت على متوسط مقداره (٣,٩٧)، تلتها الفقرة المتعلقة (بموازنتها بين العمل التنافسي والعمل التعاوني للطلبة) حيث حصلت على متوسط مقداره (٣,٦٧)، تلتها الفقرة المتعلقة (بالتنوع بين النشاط الصفي والنشاط المدرسي) حيث حصلت على متوسط مقداره (٣,٦٧).

وقد جاءت الفقرة رقم (٦) في المرتبة الثالثة قبل الأخيرة والمتعلقة (يربط عدد من النشاطات التعليمية بالمسجد) حيث حصلت على متوسط مقداره (٣,٠٤) تلتها في المرتبة الثانية قبل الأخيرة الفقرة رقم (٢) والمتعلقة (بتشجيع الطلبة على كتابة البحوث والتقارير) حيث حصلت على متوسط متدني مقداره (٢,٨٦) وحصلت الفقرة رقم (٤) والمتعلقة (بزيارة مواقع الكترونية محددة باستمرار) على المرتبة الأخيرة حيث حصلت على متوسط متدني مقداره (٢,٥٣).

ويلاحظ من الجدول السابق قلة اهتمام كتب التربية الإسلامية بالأنشطة بشكل عام. وتركيزها على الأنشطة المعرفية بينما نجدها أهملت الأنشطة التي تركز على المهارات الأدائية وكذلك التي تنمي الاتجاهات والقيم لدى الطلبة. وتبين النتائج عدم تشجيع الكتب المطورة على كتابة البحوث والتقارير، وزيارة المواقع الالكترونية.

ويمكن أن يرجع تفسير ذلك إلى: الفهم الخاطئ لدى مؤلفي كتب التربية الإسلامية لأهداف التربية الإسلامية وحصر اهتمامهم في الأهداف المعرفية، قلة البرامج أو المشاريع الخاصة بالأنشطة الدينية في المدارس من قبل وزارة التربية والتعليم، عدم توفر الإمكانيات المادية اللازمة لعمل برامج مدرسية تحفز الطلبة على المشاركة في نشاطاتها المتنوعة، قلة عدد الحصص المخصصة لمنهج التربية الإسلامية واكتظاظ المنهاج الدراسي، قلة الإمكانيات المادية المتاحة في المدارس. وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة الجلال (١٩٩٩).

نتائج المجال الخامس: التقويم

جدول رقم (٦)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات المجال الرابع (التقويم)

الرتبة	رقم الفقرة	التقويم	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	٩	ينوع في استخدام الأسئلة التحصيلية الموضوعية (الصواب والخطأ، التكميل، المطابقة والمزاوجة، الاختيار من متعدد)	٤,٣٦	٠,٦٠
٢	٨	يركز على استخدام الأسئلة التحصيلية المقالية.	٤,٢٠	٠,٤٥
٣	١٣	ينوع في الأدوات المستخدمة في التقويم: الورقة والقلم والعرض العملي والمستقبلات الحسية	٤,١٤	٠,٥٤
٤	٣	يتضمن مجموعة كافية ومتدرجة ومتنوعة من الأسئلة	٤,١٢	٠,٩٢
٥	١٠	يهتم باستراتيجية الملاحظة في التقويم التربوي في المجال الوجداني	٤,١٠	٠,٥٤
٦	٧	ينوع في استخدام أدوات التقويم الشفوية (السرد، التسميع).	٤,٠٨	٠,٩٧
٧	٦	يساهم في الوقوف على مناسبة المنهاج والمقرر المدرسي لتحقيق النتائج التربوية والتعليمية والسلوكية المخطط لها.	٣,٩٧	٠,٤٣
٨	٥	يمكن الطلبة من تقويم أدائهم ذاتياً.	٣,٩١	٠,٩٠
٩	٢	يهتم بتقويم المجال المعرفي بمستوياته (المعرفة، الفهم، التطبيق، التحليل، التركيب، التقويم)	٣,٨٧	٠,٨٨
١٠	٤	يقوم المهارات المتنوعة في التعبير والتفكير	٣,٦٧	٠,٧٧
١١	١	يقوم تحصيل الطلبة في كافة المجالات (المعرفية والوجدانية والمهارية).	٣,٤٨	١,١٩
١٢	١١	يهتم باستراتيجية المقابلات الشخصية في التقويم التربوي.	٣,٤٠	٠,٩١
١٣	١٢	يوظف التكنولوجيا في تقويم أداء الطلبة.	٣,٠٤	١,٢٤
		المجال ككل	٣,٨٧	٠,٧٩

يتبين من الجدول رقم ٦ أن المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة عن المجال السادس (التقويم) قد تراوحت بين (٣٦، ٤ - ٣، ٠٤) وكان المتوسط الكلي لهذا المجال (٣، ٧٨). يتضح من الجدول رقم (٦) أن أول ست فقرات في المجال حصلت على متوسطات عالية تراوحت بين (٣٦، ٤-٤، ٠٨). فحصلت الفقرة رقم (٩) والمتعلقة بالتنوع في استخدام الأسئلة التحصيلية الموضوعية (الصواب والخطأ، التكميل، المطابقة والمزاوجة، الاختيار من متعدد) على المرتبة الأولى حيث حصلت على متوسط مقداره (٣٦، ٤). وحصلت الفقرة رقم (٨) والمتعلقة بتركيز على استخدام الأسئلة المقالية على المرتبة الثانية حيث حصلت على متوسط مقداره (٤، ٢٠) كما وحصلت الفقرة رقم (١٣) والمتعلقة بتنوع الأدوات المستخدمة في التقويم على المرتبة الثالثة بمتوسط مقداره (٤، ١٤).

ويلاحظ من الجدول أن أكثر الطرق التي حصلت على متوسطات عالية هي الأسئلة الموضوعية بأشكالها المتعددة، والأسئلة المقالية، والملاحظة وأدوات التقويم الشفوية. أما التقويم الذاتي والمقابلات واستخدام التكنولوجيا في تقويم أداء الطلبة فقد حصلت على متوسطات متوسطة تراوحت بين (٣، ٠٤-٣، ٩١).

يلاحظ من الجدول السابق أن كتب التربية الإسلامية في مجال التقويم قد ركزت على إحدى وسائل التقويم وهي الاختبارات بمختلف أنواعها وبدرجات متفاوتة، واقتصار التقويم على المجال المعرفي، كما يظهر من الجدول أن هذه الكتب المطورة في مجال التقويم قد أهملت أساليب التقويم الأخرى كاستراتيجية التقويم المبني على الأداء وهي إحدى الاستراتيجيات التي تتبناها وزارة التربية والتعليم في الأونة الأخيرة.

وقد تعزى هذه النتائج إلى الأسباب الآتية: اعتماد مؤلفي الكتب على استراتيجيات التقويم التقليدية، ميل المعلمين لهذا النوع من الاختبارات نظراً لسهولة إعدادها وتطبيقها، نظرة المعلمين التي تركز على الجانب المعرفي في التقويم. وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة كل من: سمسول (١٩٩٨م)، والجلاد (١٩٩٩).

النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الثاني: هل تختلف تقديرات معلمي التربية الإسلامية لمدى ملاءمة كتب التربية الإسلامية المطورة للصفى الثامن والعاشر لمعايير وأسس تأليف الكتب باختلاف الجنس (ذكر، أنثى) عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0,05$) ؟

للإجابة عن هذا السؤال، تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وفق متغير الجنس، وتم استخدام اختبار (ت) للعينة المستقلة (Independent Sample T-test)، للكشف عن فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجنس والجدول لاقم (٧) يوضح نتائج الاختبار.

جدول رقم (٧)

نتائج اختبارات لاستجابات المعلمين حول مجالات الدراسة وفق متغير الجنس

المجال	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة ت المحسوبة	درجة الحرية	الدلالة
الأول: أهداف المنهاج	ذكر	٢٦	٤٤,٨٤٦	٥,٣٠	٠,٥٢١	٤٦,٠٠٠	٠,٦٠٥
	أنثى	٢٣	٤٣,٩٥٦	٦,٦٢			
الثاني محتوى المنهاج	ذكر	٢٦	٧٤,٧٦٢	١٠,٤٥١	١,٠٢٢ -	٤٧,٠٠٠	٠,٢٢١
	أنثى	٢٣	٧٧,٦٥٢	٩,١٢٨			
الثالث طرائق وأساليب التدريسية	ذكر	٢٦	٦٢,٦١٥	١١,٠٩٦	٠,٧٠٢	٤٧,٠٠٠	٠,٤٨٦
	أنثى	٢٣	٦٠,٤٧٨	١٠,٠٨٥			
الرابع الأنشطة التعليمية	ذكر	٢٦	٦١,٦١٥	٨,٩٩٨	٠,١٠٤	٤٧,٠٠٠	٠,٩١٨
	أنثى	٢٣	٦١,٣٤٧	٩,٠٥٣			
الخامس التقويم	ذكر	٢٦	٥٠,٤٢٣	٦,٣٥٧	٠,٠١٦	٤٧,٠٠٠	٠,٩٨٧
	أنثى	٢٣	٥٠,٣٩١	٧,٤٦٩			

يتضح من الجدول رقم (٧)، عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0,05$) بين متوسطات تقديرات المعلمين والمعلمات في المجال الأول (أهداف المنهاج)، والمجال الثاني (محتوى المنهاج)، والمجال الثالث (طرائق وأساليب التدريس)، والمجال الرابع (الأنشطة التعليمية)، والمجال الخامس (التقويم).

ويظهر من الجدول السابق أن تقديرات المعلمين (ذكور، إناث) على مجالات أداة الدراسة جميعها جاءت متقاربة.

ويمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى: تقارب نظرة المعلمين بسبب إعداد المعلمين وتدريبهم وخضوعهم إلى دورات تدريبية متشابهة.

النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث: هل تختلف تقديرات معلمي التربية الإسلامية لمدى ملائمة كتب التربية الإسلامية المطورة للصفوف الثامن والعاشر لمعايير وأسس تأليف الكتب باختلاف المستوى العلمي (بكالوريوس فما دون، ماجستير، دكتوراه) عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0,05$)؟ للإجابة عن هذا السؤال، تمَّ حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات المعلمين على مجالات الدراسة حسب متغير المستوى العلمي؛ كما هو موضح في الجدول رقم (٨).

جدول رقم (٨)

المتوسطات الحسابية لاستجابات المعلمين على مجالات عناصر المنهاج الأربعة حسب متغير المستوى العلمي

الانحراف	المتوسط	العدد	المؤهل العلمي	المجال	
٦,٠٠٠	٤٤,١٤٧	٣٤	بكالوريوس فما دون	أهداف المنهاج	الأول
٦,٥٢٩	٤٥,٨٣	١٢	ماجستير		
٢,٦٤٥	٤٥,٠٠٠	٣	دكتوراه		
٩,٤٦١	٧٥,٩٤١	٣٤	بكالوريوس فما دون	محتوى المنهاج	الثاني
١٠,٧٤٧	٧٨,٣٣٣	١٢	ماجستير		
١١,٠١٥	٦٩,٣٣٣	٣	دكتوراه		
١١,٠٧٨	٦٠,٧٦٤	٣٤	بكالوريوس فما دون	طرق وأساليب التدريس	الثالث
٨,٧٦٠	٦٤,٧٥٠	١٢	ماجستير		
١٢,٤٢٣	٥٨,٠٠٠	٣	دكتوراه		
٩,١٠٢	٦١,٣٨٢	٣٤	بكالوريوس فما دون	الأنشطة	الرابع
٧,٨٦٧	٦٣,٤١٦	١٢	ماجستير		
١١,٠٠٠	٥٥,٠٠٠	٣	دكتوراه		
٦,٧٧٩	٤٩,٩١١	٣٤	بكالوريوس فما دون	التقويم	الرابع
٦,٦٧٥	٥٢,٣٥٠	١٢	ماجستير		
٩,٢٩١	٤٨,٦٦٦	٣	دكتوراه		

وللكشف عن مدى الدلالة الإحصائية للفروق الظاهرية بين المتوسطات الحسابية لاستجابات المعلمين على مجالات عناصر المنهاج حسب متغير المستوى العلمي، فقد تم إجراء تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA)، والجدول (٩) يوضح نتائج هذا التحليل.

جدول رقم (٩)

نتائج تحليل التباين الأحادي لأثر متغير المستوى العلمي للمعلمين على مجالات عناصر المنهاج الأربعة

الدلالة	قيمة ف المحسوبة	متوسط المربعات	درجة الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين	المجال	
٠,١٧١	١,٤٩٧	٠,٤٨٢	١٢	٥,٧٨٨	بين الفئات	أهداف المنهاج	الأول
		٥٤,٣٨٧	٣٦	١١,٦٠٠	بين الأفراد		
			٤٨	١٧,٣٨٨	الكلية		
٠,٣٧٣	١,١٢٤	٠,٣٩٤	١٢	٥,١٢١	بين الفئات	المحتوى	الثاني
		٠,٣٥٠	٣٥	١٢,٢٦٧	بين الأفراد		
			٤٨	١٧,٣٨٨	الكلية		
٠,٢٤٨	١,٣٢٨	٠,٤٤٧	١١	٤,٩٢١	بين الفئات	الأساليب التدريسية	الثالث
		٠,٣٣٧	٣٧	١٢,٢٦٧	بين الأفراد		
			٤٨	٤٨	الكلية		

٠,٢٠٩	١,٤١١	٠,٤٦٧	١١	٥,١٣٨	بين الفئات	الأنشطة	الرابع
		٠,٢٣١	٣٧	١٢,٢٥٠	بين الأفراد		
			٤٨	١٧,٣٨٨	الكلية		
٠,١٨٢	١,٤٧٧	٠,٤٨٢	١١	٥,٣٠٤	بين الفئات	التقويم	الخامس
		٠,٢٢٧	٣٧	١٢,٠٨٣	بين الأفراد		
			٤٨	١٧,٣٨٨	الكلية		

تظهر النتائج الموضحة في جدول رقم (٩) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0,05$) بين استجابات المعلمين تُعزى لمتغير المستوى العلمي فيما يتعلق بالمجال الأول (أهداف المنهاج)، والمجال الثاني (محتوى المنهاج)، والمجال الثالث (طرائق وأساليب التدريس)، والمجال الرابع (الأنشطة)، والمجال الخامس (التقويم). وهذا يعنى عدم وجود أثر لمتغير المستوى العلمي في تقديرات المعلمين على كل مجال من مجالات الدراسة.

يظهر من الجدول السابق اتفاق جميع فئات المعلمين على اختلاف مؤهلاتهم العلمية في نظرهم وتقديراتهم لمجالات الدراسة حول طريقة تأليف كتب التربية الإسلامية واختيار محتوياتها ويمكن أن يُعزى ذلك إلى الأسباب الآتية: اتجاه المدرسين نحو التركيز على المحتوى وتقديمه إلى الطلبة دون الاهتمام بجوانب القوة وجوانب الضعف في الكتاب.

التوصيات:

وفي ضوء نتائج الدراسة يمكن تقديم التوصيات الآتية:

- تركيز وزارة التربية والتعليم على الدورات التدريبية المتخصصة التي تزود اللجان المكلفة بتأليف الكتب بمهارات تأليف الكتب.
- اختيار أفراد متخصصين ومؤهلين في المناهج لتأليف الكتب.
- أظهرت الدراسة أن كتب التربية الإسلامية المطورة ركزت على الجانب المعرفي في مجال الأهداف، لذلك يوصي الباحث بمزيد من الاهتمام والتركيز على الجانب المهاري الأدائي والقيم والاتجاهات.
- أظهرت نتائج الدراسة ضعف المحتوى في إثارة دافعية المتعلمين لقلة الصور والرسومات والأشكال، وكذلك اتساع المحتوى مما يثقل كاهل المعلم والمتعلم لذلك يوصي الباحث بإعادة صياغة المحتوى وتزويده بالصور والأشكال والرسومات ومراعاة الاتساع.
- تزويد الكتب بالأنشطة التي تساهم في استخدام التكنولوجيا كالأنشطة المحوسبة وغيرها.

- إعادة النظر في عدد الحصص المخصصة لمادة التربية الإسلامية لمساعدة المعلمين على الاهتمام بالأنشطة وتنفيذها.
- تنوع استراتيجيات التقويم التي يحتويها الكتاب وبالأخص استراتيجيات التقويم المبنية على الأداء.
- ضرورة تركيز الكتب على الأنشطة المهارية والأدائية وكذلك الأنشطة التي تنمي الاتجاهات والقيم لدى الطلبة.
- ضرورة تنوع طرق التدريس، وتعدد الأنشطة المنهجية واللامنهجية، واستخدام الوسائل التعليمية الحديثة في كتب التربية الإسلامية.

د. إسماعيل غازي مر حبا

توصيف الطبيب وأثره في الحكم الشرعيّ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

إن معرفة الواقعة الطبية وإعطاءها الحكم الشرعي من الأمور المهمة التي تواجه المسلمين بشكل يومي، وإعطاء الحكم الشرعي الصحيح يحتاج إلى أمور عدة ومراحل مختلفة، فتوصيف الطبيب شيء، والمستند الشرعي شيء آخر، وتنزيل المستند الشرعي على الواقع شيء ثالث، ثم معرفة الحال والمآل شيء رابع، وهكذا.

وفي هذا البحث سنتكلم عن توصيف الطبيب، ومدى تأثيره على الحكم الشرعي في المسائل الطبية.

ولا أعلم وجود بحث حوى ما أردته من هذا البحث، وهذا ما دعاني إلى الكتابة فيه، ولا أدعي أن بحثي هذا بحث جديد من كل وجه ولم أسبق إليه في كل جوانبه، وسأذكر هنا أهم البحوث التي تكلمت عن جوانب من هذا الموضوع والتي استفدت منها أثناء إعدادي لهذا البحث، وهي:

١- قول أهل الخبرة في الفقه الإسلامي، للباحث فواز القايدي، وهي رسالته المقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية، بإشراف الدكتور أحمد بن عبد الله بن حميد، مقدمة إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، عام ١٤١٨-١٤١٩هـ.

وهي رسالة جيدة نال الباحث من خلالها درجة الماجستير بتقدير ممتاز، وأحسن الباحث في جمع واستقصاء مسائل أهل الخبرة التي تعرض لها فقهاؤنا رحمهم الله تعالى، بعد أن أصل لموضوع قول أهل الخبرة تأصيلاً شرعياً مناسباً.

إلا أنها رسالة عامة لم تخصص الطبيب بالدراسة، كما أنه قد غلب عليها الجانب الاستقصائي على الجانب التحليلي، لذا لم تتناول توصيف الطبيب وبيان أثره على الأحكام الشرعية.

٢- رأي الخبير وأثره في توصيف النازلة والحكم الشرعي «استخدام الجيلتين مثلاً»، للدكتور أسامة الخميس، وهو بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي الثاني، قضايا طبية معاصرة، المنعقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في الرياض العام ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

وهو بحث جيد تناول فيه باحثه جانب دقيق وقام ببيانه، إلا أنه حفظه الله طبيب، فكان أن تناول الموضوع الفقهي باقتضاب، ومع ذلك فلم يكن مسلطاً على توصيف الطبيب بشكل خاص، كما أنه تكلم عن جانب واحد من جوانب التوصيف من خلال المثال الذي ذكره، وسيتبين معنا من خلال البحث أن توصيف الطبيب له جوانب أخرى متعددة تحتاج إلى بيان أثرها.

٣- وظيفة الخبير في النوازل الفقهية، للأستاذ الدكتور أحمد الضويحي، وهو بحث مقدم لندوة: «نحو منهج علمي أصيل لدراسة القضايا الفقهية المعاصرة»، التي عقدها مركز التميز البحثي في فقه القضايا المعاصرة، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في الرياض ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

وهو بحث جيد كذلك لكنه بحث عام كسابقه، وغلب عليه الطابع الأصولي، ومع ذلك فقد ذكر أمثلة متعددة عن الطبيب عند تمثيله لأهل الخبرة في عدة مواضع من بحثه، لكنه لم يخصص توصيف الطبيب بالدراسة والتفصيل، وبيان أثر كل نوع من التوصيف في الحكم الشرعي.

وما ذكرته عن هذه البحوث إنما أردت من خلاله بيان الفرق بين ما قصدته من بحثي، وما هو موجود في تلك البحوث، ولا أقصد أن ذلك نقص فيها أو خلل، بل تلك البحوث كانت وافية كافية فيما أراد أصحابها، وجزاهم الله خيراً على ما قدموه.

خطة البحث:

وخطتي في بحثي هذا هي:

قسمت البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة:

المقدمة: وفيها الافتتاحية والبحوث ذات العلاقة وخطة البحث.

الفصل الأول: توصيف الطبيب تعريفه وأهميته وصفاته، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف توصيف الطبيب.

المبحث الثاني: أهمية توصيف الطبيب.

المبحث الثالث: مشروعية الاعتماد على توصيف الطبيب.

المبحث الرابع: صفات توصيف الطبيب.

الفصل الثاني: بيان أثر توصيف الطبيب في الحكم الشرعي، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيان أثر توصيف الطبيب للمرض.

المبحث الثاني: بيان أثر توصيف الطبيب للدواء.

المبحث الثالث: بيان أثر توصيف الطبيب لطريقة عمل الدواء في المرض.

المبحث الرابع: بيان أثر توصيف الطبيب لمآل استخدام الدواء أو العلاج.

الخاتمة: وفيها إبراز أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

منهجي في البحث:

منهجي الذي سرت عليه في كتابة هذا البحث هو:

١- اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي، فحاولت استقراء مادة البحث من الكتب، ومن ثم تحليلها والتعقيب عليها.

٢- عزو الآيات القرآنية إلى المصحف الشريف.

٣- تخريج الأحاديث النبوية الواردة بالأسلوب العلمي المتبع.

٤- الاستغناء عن الترجمة للأعلام الواردة أسماؤهم في البحث طلباً للاختصار، ولأنني لم أذكر إلا من هو معلوم عند طلاب العلم.

٥- حرصت على بيان كلام العلماء القدامى مما له علاقة بالموضوع.

٦- اقتصررت في كلِّ مبحث مبحث من مباحث الفصل الثاني بمثال واحد، إذ به يتضح المراد، وليس من العسير على القارئ أن يطبق ذلك على مسائل مختلفة.

٧- كما أنني تعمدت أن تكون الأمثلة المضروبة في تلك المباحث من النوازل الطبية المعاصرة، لأنها أقرب للقارئ المعاصر فهماً، والقياس عليها في نظيراتها من النوازل الطبية أكثر أهمية للكثيرين من المسائل الطبية التقليدية.

٨- أتبعْتُ البحثُ بثبت المصادر والمراجع.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، كما أسأله تعالى أن يسد هذا البحث

في المكتبة الإسلامية نقصاً، وأن يكون دافعاً بالعملية التعليمية في المجال الطبي قدماً، وأرجو أن أكون قد وُفِّقْتُ وقدمتُ جديداً في هذا البحث المتواضع.

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الفصل الأول:

توصيف الطبيب

تعريفه وأهميته وصفاته

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف توصيف الطبيب.

المبحث الثاني: أهمية توصيف الطبيب.

المبحث الثالث: مشروعية الاعتماد على توصيف الطبيب.

المبحث الرابع: صفات توصيف الطبيب.

المبحث الأول: تعريف توصيف الطبيب:

سأتناول في هذا المبحث تعريف توصيف الطبيب، بدءاً بتعريف التوصيف وتعريف الطبيب، ومن ثم تعريف المركب الإضافي: «توصيف الطبيب».

أولاً: تعريف التوصيف:

مأخوذ من الوصف، و«الواو والصاد والفاء أصل واحد، وهو تحلية الشيء. ووصفتهُ أَصِفُهُ وَصَفًا، وَالصِّفَةُ: الأمانة اللازمة للشيء»^(١).

قال الجوهرى في الصحاح: «وَصَّفْتُ الشَّيْءَ وَصَفًا وَصِفَةً. والهاء عوضٌ من الواو. وتَوَاصَفُوا الشَّيْءَ مِنَ الوَصْفِ. وَاتَّصَفَ الشَّيْءُ، أَي صَارَ مُتَوَاصِفًا ...»

وبيع المُواصِفَةَ: أن تتبع الشيء بصفةٍ، من غير رؤية ...»

والصِفَةُ كالعِلْمِ والسَّوَادِ، وَأَمَّا النَحْوِيُّونَ فَلَيْسَ يَرِيدُونَ بِالصِّفَةِ هَذَا، لِأَنَّ الصِّفَةَ عِنْدَهُمْ هِيَ النِّعَةُ...»^(٢).

١- معجم المقاييس في اللغة لابن فارس (ص ١٠٩٢).

٢- الصحاح ١٤٢٨/٤-١٤٣٩.

وقال الفيروزآبادي في القاموس: «وصَفَهُ يَصِفُهُ وَصْفًا وَصِفَةً نَعْتَهُ، فَاتَّصَفَ»^(١).

ثانياً: تعريف الطبيب:

قال الجوهري في الصحاح: «الطبيب: العالم بالطب، وجمع القلة أطببة، والكثير أطباء. تقول: ما كنتَ طبيباً ولقد طببت، بالكسر. والمتطبَّب: الذي يتعاطى علم الطب. والطبُّ والطُّ لغتان في الطبِّ...»^(٢).

وقال ابن الأثير في النهاية: «الطبيبُ في الأصل: الحاذقُ بالأُمور العارِفُ بها، وبه سُمِّيَ الطبيبُ الذي يُعالجُ المَرَضَى... والمُتَطَبِّبُ الذي يُعاني الطُّبَّ ولا يَعْرِفه مَعْرِفَةً جَيِّدَةً»^(٣).

وقال البعلي في المطلع: «والطبيب العالم بالطب، وجمع القلة أطفبة والكثير أطباء، والمتطبب الذي يتعاطى علم الطب، والطبُّ والطبُّ بالفتح والضم لغتان في الطبِّ بالكسر»^(٤).

وجاء في المعجم الوسيط: «(الطبيب): مَنْ حَرَفْتَهُ الطُّبُّ أَوْ الطِّبَابَةُ، وَهُوَ الَّذِي يُعَالِجُ الْمَرَضَى وَنَحْوَهُمْ»^(٥).

ثالثاً: تعريف «توصيف الطبيب»:

قال الجوهري في الصحاح: «وفلان يستطبُّ لوجعه، أي يستوصف الدواء أيُّه يصلحُ لدائه»^(٦)، «وَأَسْتَوْصَفْتُ الطَّبِيبَ لِدَائِي: إِذَا سَأَلْتَهُ أَنْ يَصِفَ لَكَ مَا تَتَعَالَجُ بِهِ»^(٧).

وقال الفيروزآبادي في القاموس: «وَهُوَ يَسْتَنْطِبُ لَوَجَعِهِ: يَسْتَوْصِفُ»^(٨)، «وَأَسْتَوْصَفَهُ لِدَائِهِ: سَأَلُهُ أَنْ يَصِفَ لَهُ مَا يَتَعَالَجُ بِهِ»^(٩).

من خلال ما سبق نقله يكون المراد من توصيف الطبيب هو: وصف العلاج المناسب للمرض.

ولكن في الحقيقة فإن وصف العلاج المناسب والصحيح، إنما يقع بعد عدة وصفات سابقة له،

فلا بد أن يسبقه:

١- القاموس المحيط ٢/٢٠٤.

٢- الصحاح ١/١٧٠.

٣- النهاية ٣/١١٠.

٤- المطلع (ص ٢٦٧).

٥- المعجم الوسيط (ص ٥٤٩).

٦- الصحاح ١/١٧٠.

٧- الصحاح ٤/١٤٣٩.

٨- القاموس المحيط ١/٩٧.

٩- القاموس المحيط ٣/٢٠٤.

وصف صحيح للمرض.

ووصف صحيح للدواء أو للعلاج نفسه.

ووصف صحيح لطريقة عمل الدواء أو العلاج في المرض.

وبعد ذلك يوجد أمر مهم، ألا وهو توصيف مآل استخدام الدواء أو العلاج.

فإذا وقع خطأ في أحد هذه التوصيفات، فوقوعه راجحٌ بطبيعة الحال في وصف العلاج المناسب للمرض. وإذا كانت هذه التوصيفات صحيحة ودقيقة، كان وصف العلاج مناسباً وصحيحاً.

وعليه يمكن لنا أن نعرّف توصيف الطبيب بهذا المعنى الواسع، وبحسب المراد من التوصيف، فهناك توصيف للمرض، وهناك توصيف للدواء، وهناك توصيف لكيفية عمل الدواء، وهناك توصيف لمآل استخدام الدواء أو طريقة العلاج، وأخيراً توصيف للعلاج المناسب للمريض.

ويمكن لنا أن نعطي لكل توصيف من هذه التوصيفات تعريفه الخاص به.

من هنا ندرك أن توصيف الطبيب أبعد من مجرد وصفة طبية يأخذها المريض ليصرفها ويسير على طريقته، بل يسبق ذلك مجموعة من التوصيفات، وبناء عليها تكون الوصفة الطبية التي يأخذها المريض بيده. والله تعالى أعلم.

وفي هذا البحث بإذن الله تعالى سيكون التركيز على التوصيفات الأربع الأولى، التي تسبق إعطاء الوصفة الطبية للمريض، إذ إنها ذات العلاقة والتأثير بالحكم الشرعي.

المبحث الثاني: أهمية توصيف الطبيب:

توصيف الطبيب بمفهومه الواسع الذي سبق بيانه له أهمية كبرى تأتي من أهمية علاقة الطب بالإنسان، لذا يمكن ذكر هذه النقاط التي تبرز هذه الأهمية:

أولاً: أهميته بالنسبة للمريض وذويه:

- ١- أن توصيف الطبيب قد يتسبب في إنقاذ حياة إنسان أو موته.
- ٢- كما أنه يتعلق في كثير من الحالات ببدن الإنسان ويؤثر فيه سلباً أو إيجاباً.
- ٣- وقد يتعلق في كثير من الأحيان بأعراض المرضى وكشف عوراتهم.
- ٤- كما أنه قد يتعلق بالأنساب.
- ٥- ولتوصيف الطبيب أثر في إثبات جناية وتبرئة آخر منها.
- ٦- عدا عن التكاليف المادية التي يتكبدها المريض بناء على توصيف طبيبه الذي يكلفه أدوية وأنواعاً مختلفة من العلاج، قد لا يكون بحاجة إليها جميعاً.

ثانياً: أهميته في القضاء :

لتوصيف الطبيب أهمية بالغة في حكم القاضي، فالقاضي لا يمكنه الاستغناء عن الطبيب وتوصيفه في أفضيته ذات العلاقة بالأمر الطبية، وقد سطرت كتب الفقهاء في المذاهب الفقهية نماذج متعددة في مسائل مختلفة فيها رجوع القاضي إلى الأطباء قبل الحكم، أشير هنا إلى بعضها:

- قال في تكملة فتح القدير: «(أو كان عيباً) إشارة إلى تأويل آخر: أي أو كان العيب الذي يريد المشتري الرد به عيباً (لا يعرفه إلا النساء) كالقَرَن في الفرج ونحوه (أو الأطباء) أي أو عيباً لا يعرفه إلا الأطباء كالدق والسعال القديم (وقولهن) أي قول النساء (وقول الطبيب حجة في توجه الخصومة) للمشتري (لا في الرد) أي ليس بحجة في الرد على البائع»^(١).

- وقال ابن رشد في البيان والتحصيل: «ولو اضطر إلى ترجمة الكافر أو المسخوط أو العبد لأعمل قوله وحكم به ، كما يحكم بقول الطبيب النصراني وغير العدل فيما يضطر فيه إلى قوله من جهة معرفته بالطب»^(٢).

- قال النووي في روضة الطالبين: «إذا أشكل مرض فلم يدر أمخوف هو أم لا فالرجوع فيه إلى أهل الخبرة والعلم بالطب»^(٣).

- وذكر ابن قدامة فيمن قلع سن من لم يتغر: «وإن عادت والدم يسيل، ففيها حكومة؛ لأنه نقص حصل بفعله. وإن مضى زمن عودها ولم تعد ، سئل أهل العلم بالطب، فإن قالوا: قد يئس من عودها، فالمجني عليه بالخيار بين القصاص أو دية السن...»^(٤).

ثالثاً: أهميته في إعطاء الحكم الشرعي :

لتوصيف الطبيب أهمية بالغة في إعطاء الحكم الشرعي لأنه تصوير للواقع، وتصوير الواقع مهم جداً للفقيه حتى يعطي الحكم الشرعي الصحيح، وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم: «ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقهاء فيه، واستباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات، حتى يحيط به علماً.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان

١- تكملة فتح القدير ٨٣/٧.

٢- البيان والتحصيل ٢٠٦/٩.

٣- روضة الطالبين ١٢٨/٦.

٤- المغني ٥٥٣/١١.

رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الواقع، ثم يُطبَّق أحدهما على الآخر.

فمن بذل جهده واستفرد وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجرًا^(١)، فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم^(٢).

- ويقول الإمام الشاطبي في الموافقات: «قد يتعلق الاجتهاد بتحقيق المناط فلا يفتقر في ذلك إلى العلم بمقاصد الشارع، كما أنه لا يفتقر فيه إلى معرفة علم العربية؛ لأن المقصود من هذا الاجتهاد إنما هو العلم بالموضوع على ما هو عليه، وإنما يفتقر فيه إلى العلم بما لا يُعرف ذلك الموضوع إلا به من حيث قصدت المعرفة به، فلا بد أن يكون المجتهد عارفاً ومجتهداً من تلك الجهة التي ينظر فيها، ليبتزّل الحكم الشرعي على وفق ذلك المقتضى؛ كالمحدث العارف بأحوال الأسانيد وطرقها وصحيحها من سقيمها... وكذلك القارئ في تأدية وجوه القراءات، والصانع في معرفة عيوب الصناعات، والطبيب في العلم بالأدواء والعيوب، وعرفاء الأسواق في معرفة قيم السلع ومدخل العيوب فيها، والعاذ في صحة القسمة، والماسح في تقدير الأرضين ونحوها، كل هذا وما أشبهه مما يعرف به مناط الحكم الشرعي غير مضطر إلى العلم بالعربية ولا العلم بمقاصد الشريعة، وإن كان اجتماع ذلك كمالاً في المجتهد»^(٣).

المبحث الثالث: مشروعية الاعتماد على توصيف الطبيب:

الطبيب هو العالم بالطب الخبير به، «ويعبر الفقهاء عن الخبرة بعبارات مختلفة تفيد ذات المعنى: كالعلم والمعرفة والتجربة والنظر والبصارة والحدق والمهارة والصناعة ونحوها.

وفي هذا العصر استقر العرف على نسبة كل خبير إلى تخصصه، كالطبيب والمهندس والاقتصادي والمحاسب والفلكي والكيميائي وهكذا»^(٤).

والاعتماد على قول الخبراء والعلماء في مجال خبرتهم، ومدار علمهم، قد جاءت أدلة متعددة تدل عليه، ومن ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥).

١- لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر». أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم (٧٢٥٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم (١٧١٦)، كلاهما من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

٢- إعلام الموقعين ١/٨٧-٨٨.

٣- الموافقات ٤/٥٢٧-٥٢٨.

٤- وظيفة الخبير في النوازل الفقهية للدكتور أحمد الضويحي (ص ٤١٩-٤٢٠).

٥- النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧.

وجه الدلالة: حيث المراد من أهل الذكر: أهل العلم^(١)، فيدخل في عموم هذه الآية الكريمة سؤال أهل الخبرة والاختصاص، ومنهم الطبيب^(٢).

يقول القرطبي في تفسيره: «مسألة: لم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها وأنهم المراد بقول الله عز و جل: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾».

وأجمعوا على أن الأعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه بالقبلة إذا أشكلت عليه فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به، لا بد له من تقليد عالمه^(٣).

أقول: ومن لا علم له بالطب لا بد له من تقليد الطبيب المختص.

٢- قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفْرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾^(٤).

وجه الدلالة: «أن جزاء الصيد إن كان له مثل، فيحكم في جزائه عدلان من المسلمين خبيران بالصيد وما يماثله فيحكمان فيه، وهذا دليل على مشروعية الاعتماد على قول أهل الخبرة في بيان الحكم الشرعي»^(٥).

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٦).

قال الشيخ محمد رشيد رضا في بيان من هم الذين يستنبطون: «وهم الذين يستنبطون مثله ويستخرجون خفاياه بدقة نظرهم، فهو إذا من الأمور التي لا يكتفه سرها كل فرد من أفراد أولي الأمر، وإنما يدرك غوره بعضهم لأن لكل طائفة منهم استعدادا للإحاطة ببعض المسائل المتعلقة بسياسة الأمة وإدارتها دون بعض، فهذا يُرَجِّحُ رأيه في المسائل الحربية، وهذا يرجح رأيه في المسائل المالية، وهذا يرجح رأيه في المسائل القضائية، وكل المسائل تكون شورى بينهم، فإذا

١- انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٢/١٠.

٢- انظر: قول أهل الخبرة في الفقه الإسلامي (ص ١٩-٢٠) ووظيفة الخبير في النوازل الفقهية للدكتور أحمد الضويحي (ص ٤٢٧).

٣- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/١٨١.

٤- المائدة: ٩٥.

٥- قول أهل الخبرة في الفقه الإسلامي (ص ٢٠). وانظر: وظيفة الخبير في النوازل الفقهية (ص ٤٢٨).

٦- النساء: ٨٣.

كان مثل هذا لا يستتبطه إلا بعض أولي الأمر دون بعض، فكيف يصح أن يجعل شرعا بين العامة يذيعون به»^(١).

وكذلك الأمر في المسائل الطبية، فالطبيب ينطبق عليه مثل ذلك في مجال تخصصه.

٤- أدلة السنة التي تدل على مشروعية الخرص^(٢)، ومن ذلك حديث أبي حميد الساعدي قال: «غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فلما جاء وادي القرى إذا امرأة في حديقة لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: احرصوا. وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق». الحديث^(٣).

وجه الدلالة: حيث دلّ الحديث على مشروعية الخرص، وهو من عمل أهل العلم والخبرة^(٤)، ومعلوم أن أهمية علم وخبرة الطبيب أعظم وأشدّ أثراً من الخارص في التمر.

٥- ما جاء من أدلة تدل على مشروعية القيافة^(٥)، ومن ذلك: حديث عائشة قالت: «دخل قائف ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد وأسامة بن زيد وزيد بن حارثة مضطجعان فقال: إن هذه الأقدام بعضُها من بعض. فسُرَّ بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأعجبه»^(٦).

وجه الدلالة: حيث دلّ الحديث على القيافة، وهي من عمل أهل العلم والخبرة^(٧)، وليست القيافة بأعظم من الطب.

ما سبق كانت أدلة عامة، وفيما يلي سأذكر أدلة خاصة تدل على الاعتداد بالخبرة الطبية:

٦- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تطيب، ولم يُعلم منه طبّ قبل ذلك، فهو ضامن»^(٨).

يقول الإمام الشوكاني: «فيه دليل على أن متعاطي الطب يضمن لما حصل من الجنابة بسبب علاجه، وأما من علم منه أنه طبيب فلا ضمان عليه وهو من يعرف العلة ودواءها وله مشايخ في

١- تفسير المنار ٥/٢٤٢.

٢- يقول ابن الأثير في النهاية ٢/٢٢: «حَرَصَ النخلة والكَرْمَةَ يَحْرُصُهَا حَرَصًا: إِذَا حَزَرَ مَا عَلَيْهَا مِنَ الرُّطْبِ تَمَرًا وَمِنَ العنْبِ زَبِييَا فَهُوَ مِنَ الحَرَصِ: الظَّنُّ لِأَنَّ الحَزَرَ إِنَّمَا هُوَ تَقْدِيرُ بَطْنٍ».

٣- رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم (١٤٨١).

٤- انظر: قول أهل الخبرة في الفقه الإسلامي (ص ٢٢).

٥- يقول ابن الأثير في النهاية ٤/١٢١: «القَائِفُ: الَّذِي يَتَّبِعُ الأَثَارَ وَيَعْرِفُهَا، وَيَعْرِفُ شَبَهَ الرَّجُلِ بِأَخِيهِ وَأَبِيهِ، وَالجَمْعُ: القَائِفَةُ».

٦- رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم (٢٧٢١)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم (١٤٥٩) واللفظ له.

٧- انظر: قول أهل الخبرة في الفقه الإسلامي (ص ٢٦).

٨- رواه أبو داود في سننه الحديث رقم (٤٥٨٦)، والنسائي في سننه المجتبى الحديث رقم (٤٨٢٠)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم (٣٤٦٦)، واللفظ له. وصححه الحاكم في المستدرک ٤/٢١٢ ووافقه الذهبي.

هذه الصناعة شهدوا له بالحدق فيها وأجازوا له المباشرة»^(١).

وفي رفع الضمان عنه اعتبار لخبرته وإعتدادٌ بها.

٧- حديث جابر رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً ثم كواه عليه»^(٢).

وهذا الحديث واضح في الاعتداد بخبرة الطبيب الذي تولى قطع عرقٍ وكيه.

٨- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مرضت مرضاً أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني، فوضع يده بين ثديي... الحديث، وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أئت الحارث ابن كدة أختيف»^(٣)، فإنه رجل يتطبيب، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة... الحديث^(٤).

وهذا الحديث كسابقه في اعتبار خبرة الطبيب والاعتماد عليها^(٥).

المبحث الرابع: صفات توصيف الطبيب؛

بناء على ما سبق ذكره من أهمية كبيرة لتوصيف الطبيب، فإنه ينبغي أن تتوفر فيه عدة صفات طبية وشرعية، وأحب أن أذكر هنا الصفات التالية:

١- العلم، فينبغي أن لا يصدر أي توصيف من الطبيب إلا وهو عالم به، وعنده المعرفة التامة بكل تفاصيله.

بل ينبغي أن يكون التوصيف صادراً من الطبيب المتخصص في المجال المراد توصيفه، كطبيب القلب يصف ما يتعلق بأمراض القلب، وهكذا في طبيب الأعصاب أو طبيب المسالك البولية وغيرها، ولا يُكتفى بالطبيب العام مثلاً.

وهكذا الأمر عندما تزداد التخصصات تعقيداً، فإنه يأخذ بتوصيف صاحب التخصص الدقيق والأدق، كطبيب الأعصاب مثلاً إذا وُجد تخصص أدق فإنه يُقدم عليه، كتخصص طبيب أعصاب

١- نيل الأوطار ٥/٣٣٢.

٢- أخرجه: مسلم في صحيحه الحديث رقم (١٢٠٧).

٣- هو: الحارث بن كدة بن عمرو بن أبي علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن قصي الثقفي، عاش في الجاهلية والإسلام، وبقي إلى عهد معاوية رضي الله عنه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر من به علة أن يأتيه فيسأله عن علة، رجح ابن حجر إسلامه، وذكر غيره أنه لا يصح إسلامه، وكان أظ العرب، وقد تعلم الطب في ناحية فارس، وأخباره في الطب كثيرة، وله كتاب المحاوراة في الطب بينه وبين كسرى أنوشروان.

انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى (٥٠٧/٥)، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص١٦١-١٦٧)، والاستيعاب (٢٨٣/١)، والإصابة (٥٩٤-٥٩٥).

٤- أخرجه: أبو داود في سننه الحديث رقم (٢٨٧٥). وصححه عبد الحق الأشبيلي في الأحكام الصغرى (٨٣٦-٨٣٧).
٥- ويدل لذلك أيضاً: كل ما يدل لمشروعية الختان والكي والحجامة، إذ فيها اعتماد على خبرة خاتن والكواء والحجّام، والله تعالى أعلم.

الدماغ أو طبيب أعصاب العين أو طبيب أعصاب الأذن وهكذا^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الصدد: «وأيضاً فإنه يجب الرجوع إلى قول أوثق الطبيبين والقائمين والمقومين، وكذلك في قول أوثق المجتهدين في القبلة؛ لأنها أمور جزئية ولا يشق تعيين الأقوى منها»^(٢).

٢- الصدق، فينبغي أن يكون توصيف الطبيب لا كذب فيه، مهما كانت المغريات التي تدعوه إلى التزوير أو التلفيق.

فالواجب على الطبيب أن لا يُقدِّم على توصيف غير مؤهل له، سواء لمرض أو علاج أو دواء أو طريقة علاج أو مآل استعمال العلاج بطريقة ما.

وإذا أقدم على توصيف ما فينبغي أن لا يذكر في التوصيف أموراً غير صحيحة، أو ينقص منه بعض ما هو مهم أو مؤثر.

٣- الإتقان، فينبغي أن يأتي توصيف الطبيب متقناً، فیتعني في إخراج توصيفه غاية الاعتناء ليكون تام الوضوح صحيح الأركان لا إهمال فيه.

حيث إن هذا التوصيف لم يعد خاصاً بالطبيب أو بالأطباء فحسب، بل إن توصيف طبيب ما في عصرنا الحاضر قد يصل إلى آلاف الناس يطلعون عليه ويقرؤونه، وقد تُبنى عليه أحكام شرعية، لذا ينبغي أن يعمل الطبيب على إتقانه وإحسانه.

٤- الحفاظ على أسرار وعورات المرضى، فينبغي أن يبتعد توصيف الطبيب عن كشف عورة أي مسلم وفضح أسراره.

ففيما عدا الأمور التي تتدخل فيها الدول للمصلحة العامة، فإنه ينبغي أن تبقى أسرار المرضى وما يتعلق بعوراتهم طي الكتمان، لأن ذلك لا يؤثر على معرفة أو فهم التوصيف الطبي.

٥- الواقعية، فينبغي أن يكون توصيف الطبيب مطابقاً للواقع، لا تهويل فيه ومبالغة على الواقع الفعلي، ولا مجحفاً أو منقصاً في توصيفه لذلك الواقع.

فقد تكون لطبيب ما مصلحة في إصدار الحكم أو الفتوى على كيفية معينة، فترى توصيفه منجاز جداً، وفيه تضخيم لبعض الحالات المرضية أو الآثار السلبية بشكل كبير.

وقد تجد عكسه تماماً، فترى فيه نقصاً أو إجحافاً لبعض الحالات المرضية أو الآثار السلبية ليكون الحكم أو الفتوى على الجهة المعاكسة.

١- انظر: وظيفة الخبير في النوازل الفقهية (ص ٤٢١).

٢- شرح العمدة - الصلاة - (ص ٥٦٩).

وكل ذلك يجب أن يُنزه عنه توصيف الطبيب، لذلك نجد في بعض الدول التي أجازت نقل الأعضاء من المتوفين دماغياً اشتراطها أن تصدر شهادة الوفاة من مجموعتين من الأطباء، يشترط في كل واحدة منها أن لا يكون لها علاقة ببرنامج نقل الأعضاء.

وما ذلك إلا اجتناباً لمثل تلك الأمور.

٦- الدقة والتفصيل، فينبغي أن تتوفر فيه الدقة اللازمة، لأن أية غموض أو إجمال قد يؤدي بحياة إنسان معصوم أو يكاد، أو يؤثر في الفتوى أو القضاء.

٧- التوثيق فيما يحتاج إلى ذلك، فحين يذكر الطبيب في توصيفه أموراً مدعمة بذكر وقائع وأشكال وأنواع وأعداد، فينبغي أن يكون ذلك موثقاً.

فلا يقول مثلاً: «تقول المصادر الطبية بكذا وكذا»، دون أن يوثق من هي هذه المصادر؟ وكم عددها؟

ولا يقول مثلاً: «تراجعت المراكز الطبية عن موضوع كذا»، دون أن يوثق من هذه هذه المصادر؟ وكم عددها؟

٨- أن يكون توثيق الطبيب لتوصيفه من مصادر موثوقة معتمدة، خاصة في المسائل الشائكة والتي يترتب عليها فض نزاع في مسألة ما.

الفصل الثاني:

بيان أثر توصيف الطبيب

في الحكم الشرعي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيان أثر توصيف الطبيب للمرض.

المبحث الثاني: بيان أثر توصيف الطبيب للدواء أو العلاج.

المبحث الثالث: بيان أثر توصيف الطبيب لطريقة عمل الدواء في المرض.

المبحث الرابع: بيان أثر توصيف الطبيب لمآل استخدام الدواء أو العلاج.

المبحث الأول: بيان أثر توصيف الطبيب للمرض:

من المسائل التي توضح أثر التوصيف للمرض أو للواقعة الطبية في الحكم الشرعي، هي مسألة:

«الموت الدماغى»، فموت جذع الدماغ، فقد اختلفت توصيفات الأطباء^(١) :

التوصيف الأول: يدل على أن الموت الدماغى موتٌ حتمى، كالموت بتوقف القلب والدورية الدموية التنفس، وهو قول أكثر الأطباء .

- يقول الدكتور خيرى السمرة: «ونحن فى مصر لا زلنا نترك المريض على جهاز التنفس حتى يتوفاه الله، ولا نعمل زراعة أعضاء، ولا توجد حالة قد شخصناها على أنها موت جذع دماغ وظهرت أنها خطأ، بل بالعكس إننا نتعذب عندما يستمر المريض ثلاثة أسابيع على جهاز التنفس وندخل له أنبوب لتغذيته ولا يحدث أى تحسن»^(٢) .

ويقول أيضاً «... وقد وجدنا ما وجدتموه من أنه: لم تعش أبداً حالة شخص موت دماغ، أو موت جذع دماغ...»^(٣) .

- ويقول الدكتور مختار المهدي: «إن توفر هذا العدد الكبير من الفحوصات التي تثبت توقف سريان الدم فى أنسجة المخ وبالتالي تلفها دون رجعة، دوناً عن الأعضاء الأخرى التي تستمر لفترة، لا تدع مجالاً للتشكيك فى وجود ما أطلقت عليه المقالات المعارضة «ما يسمى موت المخ» وأنها حقيقة وليست مفهومة عند بعض الناس دون غيرهم، لقد تجاوز الأمر الفحص الإكلينيكي والاختلافات فى تفاصيلها أياً كانت إلى اليقين من خلال هذه الفحوصات المتعددة والتي يمكن تسجيلها كوثائق للرجوع إليها لمن يشاء، ويمكن لمن يساوره الشك أن يجري أى عدد من هذه الاختبارات يرضيه ومعظمها تصل نسبة دقتها وصحتها إلى ١٠٠٪»^(٤) .

- ويقول الدكتور عصام الشرييني عن موت جذع الدماغ «وسواء كان حقيقة أو مفهوماً فإنه عند حدوثه بشرائطه المحددة، يصبح من المؤكد أن الإنسان قد استدير الحياة إلى غير رجعة. ولم يتقبل الأطباء بسهولة هذه الحقيقة إلا بعد سنين طويلة من التحري والبحث والتحصيص والمراقبة، ... وأجريت بعد ذلك دراسات للتأكد من صحة هذه الشروط:

فتمت مراجعة ملفات سبعمائة حالة، تم فيها تشخيص موت جذع المخ، ولكن أجهزة الإنعاش لم توقف لسبب أو لآخر، فوجد أن الحالات جميعها ماتت (موتاً أكيدا بأي مقياس من المقاييس المختلفة)، إذ توقف القلب بعد ساعات أو أيام قليلة رغم استمرار الأجهزة، ولم تعد حالة واحدة منها إلى الحياة رغم كل الجهود فهل نعد موت جذع المخ موتاً وإن استمرت بعض الأعضاء حية،

١- انظر: موت القلب أو موت الدماغ للدكتور محمد علي البار (ص ١٠٥-١٠٦)، والنظر في ثبت ندوة التعريف الطبى للموت الذي يقع في (٩٩١) ورقة، يتعرف على وجود هذا الخلاف بين الأطباء أنفسهم، وإن حاول بعض الأطباء نفي وجود هذا الخلاف.

٢- انظر: ثبت ندوة التعريف الطبى للموت (ص ٢٠٩).

٣- انظر: ثبت ندوة التعريف الطبى للموت (ص ٢١٤).

٤- مفهوم وفاة الإنسان من الناحية العلمية للدكتور مختار المهدي (ص ٢٦٣-٢٦٤).

كما نعد توقف القلب موتاً وإن استمرت بعض الأنسجة حية؟

ثم أعيدَ النظر في الموضوع من زاوية أخرى: روجعت ملفات ألف حالة أدخلوا إلى المستشفيات في حالة غيبوبة عميقة إثر إصابة بالغة بالرأس، وتمت معالجتهم، وكانوا جميعاً أحياء عند إجراء الدراسة، أي بعد ثلاثة أشهر من إصابتهم، وكان هدف الدراسة الإجابة عن سؤال واحد «هل كان من الممكن أن يشخص موت جذع المخ في أي من هذه الحالات؟» ولم يجد الباحثون حالة واحدة من الحالات الألف استوفت شروط هذا التشخيص حتى في أسوأ مراحل الإصابة فإذا اتضحت صحة التشخيص فيمن ماتوا، ولم يقع التشخيص خطأ فيمن عاشوا (أكثر من ألف حالة)، فهل يكون ذلك دليلاً مقنعاً على أنه تقدير صحيح، وأنه تشخيص يطمأن إليه؟^(١).

التوصيف الثاني: يدل على أن الموت الدماغي ليس قطعياً كالموت بتوقف القلب والدورية الدموية والتنفس، وهو قول لبعض الأطباء.

- يقول الطبيب أحمد شوقي إبراهيم: «ما هي علامات موت المخ؟ ليس لدينا من العلم في ذلك إلا رسم المخ الكهربائي، وهو قطعي في بعض الحالات، ولا يكون كذلك في بعض الحالات، كحالات التسمم بالأدوية المنومة مثلاً»^(٢).

- ويقول الدكتور رؤوف سلام: «إن الفحص المتأني للافتراضات الخمسة المبني عليها مفهوم «موت المخ» تظهر أن الاختبارات التي تُجرى للكشف عن وظائف المخ ليست قطعية الدلالة، وأنها لا تشمل كل وظائف المخ، وأنها إن شملت فإنها تعكس تعطل المخ وليس موته»^(٣).

- ويقول أيضاً: «بل هناك محاولات جادة بدأت في النجاح في علاج حالات موت المخ، كما تذكر المراجع الموجودة معنا»^(٤).

- ويقول كذلك: «فقد أكدت الأبحاث المقدمة إلى المؤتمر الدولي لموت المخ في «هافانا ٩٢» أن الفحوص الحديثة المذكورة وغيرها يمكن أن تعطي نتائج خاطئة، كما أوضحوا أن مجموعة الفحوص التي تعتمد على اختبارات النشاط الكهربائي لخلايا جذع المخ ... لا يمكن اعتبار نتائجها قاطعة؛ حيث يمكن أن تُعطي نتائج سلبية كاذبة بسبب عدم التزامن في النشاط الكهربائي ...»

وبالنسبة للمجموعة الأخرى من الفحوص التي تعتمد على سريان الدم، وتستهدف تشخيص توقف الدورة الدموية عن طريق الحقن بالمواد المشعة، وعمل المسح الإشعاعي والأشعة الملونة،

١- موت جذع المخ مراجعة ومناقشة للدكتور عصام الشربيني (ص ٦١٥-٦١٦).

٢- نهاية الحياة البشرية للدكتور أحمد شوقي إبراهيم (ص ٢٧٦).

٣- التعريف العلمي للطبي للموت للدكتور رؤوف محمود سلام (ص ٤٦٠).

٤- انظر: ثبت ندوة التعريف الطبي للموت (ص ٢١٦).

والمتابعة بالموجات فوق الصوتية وغيرها، فإن جميع هذه الفحوص أيضاً - كما أقر ذلك المؤتمر في هذا المؤتمر - يمكن أن تتعرض للخطأ نتيجة للنقص الكمي...»^(١).

- ويقول الدكتور صفوت حسن لطفي: «إن وسائل تشخيص موت الدماغ (م.ج.د) (BSD) تتعرض باستمرار يومياً - وفي كل أنحاء العالم - إما للتعديل أو لإحلال أخرى أحدث منها، مما يثير تساؤلاً قوياً عن مصداقية تلك الوسائل المتاحة اليوم»^(٢).

- يقول الدكتور مصطفى الذهبي: «وقد حدث في كثير من مراكز نقل وزراعة الأعضاء وبشكل متكرر، أن بعض موتى الدماغ (المخ) الذين تم إعادهم لانتزاع الأعضاء منهم، فوجئ الأطباء بظهور علامات تؤكد استمرارهم في الحياة، مثل الكحة، أو الاستعداد للقيء أو ثني الذراعين وضم اليدين إلى الصدر، مما دفع بالكثير من هذه المراكز إلى تعيين أطباء متخصصين في علم النفس لبث الطمأنينة في قلوب طاقم الجراحة.

ولا نخفي على أحد القول بأن هناك اختلافات شاسعة بين الدول التي تأخذ بموت المخ في تعريف الوفاة، فلكل دولة تعريفها الذي يختلف عن الدول الأخرى، وما يتم تشخيصه على أنه موت المخ في أمريكا، يتم علاجه في فرنسا، بل تختلف المراكز والمستشفيات من منطقة أو ولاية في البلد الواحد حول علامات ودلائل موت المخ، وكذلك الطرق المستخدمة في تشخيص تلك الحالة»^(٣).

فهنا توصيفان للأطباء متباينان، والناظر في الفتاوى والتوصيات والقرارات من المجمعات الفقهية والهيئات الشرعية والمجالس العلمية المختلفة، يجد فيها الاختلاف بناء على الاختلاف في توصيف الأطباء لهذه الحالة المرضية:

القول الأول: أن موت الدماغ يُعدّ موتاً شرعاً.

وهو ما تمثله التوصيات والقرارات التالية:

• توصية ندوة الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي^(٤)، حيث جاء فيها ما نصّه:

«... ونظراً لأن تشخيص الموت والعلامات الدالة عليه كان على الدوام أمراً طبياً يبني بمقتضاه الفقهاء أحكامهم الشرعية، فقد عرض الأطباء في الندوة الرأي الطبي المعاصر فيما يختص بحدوث الموت...»

١- انظر: ثبت ندوة التعريف الطبي للموت (ص ١٢-١٣ع).

٢- تحديد المفهوم الحديث لموت الدماغ للدكتور صفوت حسن لطفي (ص ١٨٧).

٣- نقل الأعضاء للدكتور محمد مصطفى الذهبي ص ١٠٩. وانظر: مفهوم وفاة الإنسان من الناحية العلمية للدكتور مختار المهدي (ص ٢٧٢).

٤- المنعقدة في الكويت في الفترة ما بين ٢٤-٢٦ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ، الموافق ١٥-١٧ يناير ١٩٨٥م.

خامساً: اتجه رأي الفقهاء تأسيساً على هذا العرض من الأطباء إلى أن الإنسان الذي يصل إلى مرحلة مستيقنة، هي موت جذع المخ، يعتبر قد استدبر الحياة، وأصبح صالحاً لأن تُجرى عليه بعض أحكام الموت، قياساً - مع فارق معروف - على ما ورد في الفقه خاصاً بالمصاب الذي وصل إلى حركة المذبوح.

أما تطبيق بقية أحكام الموت عليه، فقد اتجه الفقهاء الحاضرون إلى تأجيله، حتى تتوقف الأجهزة الرئيسية.

وتوصي الندوة بأن تُجرى دراسة تفصيلية أخرى لتحديد ما يُعجل وما يؤجل من الأحكام.

سادساً: بناء على ما تقدم، اتفق الرأي على أنه إذا تحقق موت جذع المخ بتقرير لجنة طبية مختصة جاز حينئذ إيقاف أجهزة الإنعاش الصناعية^(١).

• قرار مجمع الفقه الإسلامي^(٢)، حيث جاء فيه ما نصه:

«يعتبر شرعاً أن الشخص قد مات وتترتب جميع الأحكام المقررة شرعاً للوفاة عند ذلك إذا تبيّن فيه إحدى العلامتين التاليتين:

١- إذا توقف قلبه وتنفسه توقفاً تاماً وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.

٢- إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ دماغه في التحلل.

وفي هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص وإن كان بعض الأعضاء، كالقلب مثلاً، لا يزال يعمل ألياً بفعل الأجهزة المركبة^(٣).

قلت: واضح في هذين النقلين من التوصية والقرار، الاعتماد على التوصيف الطبي الصادر من الطبيب المعالج بأن موت الدماغ موت قطعي لا رجعة بعده.

القول الثاني: أن موت الدماغ لا يُعدّ موتاً شرعاً.

وهو ما يمثله التوصيات والقرارات التالية:

• فتوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية^(٤)، حيث جاء فيها:

«أما إذا لم يكن هناك أدنى أمل في شفائه، فيكون الأمر متروكاً للطبيب: إن شاء أبقاه تحت هذه

١- انظر: ثبت أعمال ندوة الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها (ص ٦٧٧-٦٧٨).

٢- القرار رقم ١٧ (٣/٥) في الدورة الثالثة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقدة في عمان - الأردن، في الفترة ما بين ٨-١٣ صفر ١٤٠٧هـ، الموافق ١١-١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٦م.

٣- انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٢ع، ٢ج، ٢ص، ٥٢٢).

٤- لجنة صادرة عن إدارة الإفتاء والبحوث الشرعية، وذلك في ١٨ صفر ١٤٠٢هـ، الموافق ١٤/١٢/١٩٨١م.

الأجهزة، أو صرفها عنه، ولا يمكن اعتبار هذا الشخص ميتاً بموت دماغه، متى كان جهاز تنفسه وجهازه الدموي فيه حياة، ولو ألياً.

وعلى هذا فلا يجوز أخذ عضو من أعضائه - ولا سيما إذا كان رئيسياً كالقلب والرئتين - لإعطائها لغيره، أو للاحتفاظ بها للطوارئ.

كما أنه لا تُجرى عليه أحكام الموت: من التوريث، واعتداد زوجته، وتنفيذ وصاياه، إلا بعد موته الحقيقي، وتعطيل كل أجهزته»^(١).

ثم صدر إثر ذلك فتوى من نفس هذه اللجنة، إلا أنه وقع فيها تردد في الحكم، كما يتضح في التالي:

• فتوى نفس اللجنة السابقة: لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية^(٢)، حيث جاء فيها:

«لا يحكم بالموت إلا بانتفاء جميع علامات الحياة، حتى الحركة والتنفس والنبض، فلا يحكم بالموت بمجرد توقف التنفس أو النبض أو موت المخ مع بقاء أي علامة من العلامات الظاهرة أو الباطنة، التي يستدل بها على بقاء شيء من الحياة، وذلك لأن الأصل بقاء الحياة، فلا يُعدل عن هذا الأصل بالشك؛ لأن اليقين لا يزول بالشك، هذا ما انتهت إليه اللجنة مبدئياً، وهي ترى أن الأمر يستحق مزيداً من البحث المشترك بين الأطباء والفقهاء، والله أعلم»^(٣).

• وبعد ذلك صدرت فتوى ثالثة للجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية^(٤)، حيث عادت لتؤكد أن الإنسان يُعد ميتاً بتوقف قلبه وورثته لا بتوقف دماغه^(٥).

• قرار المجمع الفقهي الإسلامي^(٦)، حيث جاء فيه ما نصه:

«المريض الذي رُكبت على جسمه أجهزة الإنعاش، يجوز رفعها إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً، وقررت لجنة من ثلاثة أطباء اختصاصيين خبراء أن التعطل لا رجعة فيه، وإن كان القلب والتنفس لا يزالان يعملان ألياً بفعل الأجهزة المركبة، لكن لا يُحكم بموته شرعاً إلا إذا توقف التنفس والقلب توقفاً تاماً بعد رفع هذه الأجهزة»^(٧).

١- انظر: أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي للدكتور محمد الأشقر (ص ٨٢-٨٤)، ونهاية الحياة له أيضاً (ص ٤٣٣).

٢- لجنة صادرة عن إدارة الإفتاء والبحوث الشرعية، الفتوى رقم ٢٧/١ ع ٨٤.

٣- انظر: مجموعة الفتاوى الشرعية الصادرة عن قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية الكويتية (٢٢١/٢).

٤- لجنة صادرة عن إدارة الإفتاء والبحوث الشرعية في الفتوى (٩٦/٤٤٠/١) ورقم (٣٩٤٤)، وذلك في العام ١٤١٥-١٤١٦هـ، الموافق ١٩٩٦م.

٥- انظر: مجموعة الفتاوى الشرعية الصادرة عن قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية الكويتية (٤٩٥/١٢-٤٩٦).

٦- القرار الثاني في الدورة العاشرة المنعقدة في مكة المكرمة، في الفترة ما بين ٢٤-٢٨ صفر ١٤٠٨هـ، الموافق ١٧-٢١ أكتوبر ١٩٨٧م.

٧- انظر: قرارات المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي لدورات ١٠، ١١، ١٢ (ص ٢١).

• فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، في المملكة العربية السعودية^(١)، حيث جاء فيها ما نصه:

«إذا كان الأمر كما ذكر، فلا مانع من نزع الجهاز التنفسي عنها، إذا قرر طبيبان فأكثر أنها في حكم الموتى، ولكن يجب أن ينتظر بعد نزع الأجهزة منها مدة مناسبة حتى تتحقق وفاتها»^(٢).

• وفتوى أخرى للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، في المملكة العربية السعودية^(٣)، حيث جاء فيها ما نصه:

«إذا كان الواقع كما ذكر، جاز إيقاف الأجهزة التي تشغل القلب وجهاز التنفس أوتوماتيكياً، إذا كان القلب لا ينبض والتنفس لا وجود له إلا بالأجهزة؛ لأنه على هذا يكون ميتاً، وحركة القلب والتنفس إنما هي بالأجهزة لا حياة الشخص، لكن يجب التأكد من موته بعد رفع الأجهزة، وقبل إعلان الموت لكمال أو احتياط»^(٤).

• وفتوى ثالثة لنفس اللجنة السابقة^(٥)، حيث جاء فيها ما نصه:

«إذا كان الأمر كما ذكر، فلا مانع من نزع الجهاز التنفسي عن ولدك، إذا قرر طبيبان فأكثر أنه في حكم الموتى، ولكن يجب أن ينتظر بعد نزعها منه مدة مناسبة حتى تتحقق وفاته»^(٦).

• ثم قرار لجنة البحوث الفقهية التابعة لمجمع البحوث الإسلامية^(٧)، حيث جاء فيه ما نصه:

«ثانياً: يمنع الاكتفاء بتوقف جهاز رسم المخ الكهربائي -وحده- دليلاً قاطعاً على الوفاة، بل لا بدّ مع هذا من ظهور تلك العلامات الجسدية على نحو ما قرره الفقه الإسلامي، مستمداً من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث أكدت ضرورتها - عند استعمال جهاز رسم المخ الكهربائي لاستكشاف موت المحتضر من عدمه- بحوث المؤتمرات الطبية»^(٨).

• قرار هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية^(٩)، حيث جاء فيه:

١- الفتوى رقم (١٥٩٦٤)، والموقعة باسم: عبد الله بن غديان، وصالح الفوزان، وعبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، وعبد العزيز بن باز.

٢- مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض، العدد رقم (٥٨) (ص١٠٢) ..

٣- الفتوى رقم (٦٦١٩) والموقعة باسم: عبد الرزاق عفيفي، وعبد العزيز بن باز.

٤- مجلة البحوث الإسلامية العدد رقم (٥٨) (ص١٠٥).

٥- الفتوى رقم: (١٢٧٦٢)، والموقعة باسم: عبد الله بن غديان، وعبد الرزاق عفيفي، وعبد العزيز بن باز.

٦- مجلة البحوث الإسلامية، العدد رقم (٥٨) (ص١٠٦-١٠٧).

٧- في الدورة (٢٨) المنعقدة برئاسة فضيلة شيخ الأزهر في ١٦ يونيو ١٩٩٢م.

٨- انظر: المحضر رقم (١٠) لاجتماع مجلس مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الدورة رقم (٢٨) (ص٢٠)، نقلته بواسطة نقل

الأعضاء الآدمية في ضوء الشريعة والطب والواقع للدكتور أبو الوفا عبد الآخر (ص ٧). وانظر أيضاً: نقل الأعضاء في ضوء

الشريعة والقانون للمستشار طارق البشري، عرض: صابر عبد اللطيف، كما في مجلة حصاد الفكر (١١٢ع، ص١٩).

٩- القرار رقم (١٨١) وتاريخ ١٢/٤/١٤١٧هـ. الموافق ٨/٢٦/١٩٩٦م.

«وبعد المناقشة وتداول الرأي في الموضوع، قرر المجلس: أنه لا يجوز شرعاً الحكم بموت الإنسان، الموت الذي تترتب عليه أحكامه الشرعية بمجرد تقرير الأطباء أنه مات دماغياً، حتى يُعلم أنه مات موتاً لا شبهة فيه، تتوقف معه حركة القلب والنفس، مع ظهور الأمارات الأخرى الدالة على موته يقيناً؛ لأن الأصل حياته، فلا يُعدل عنه إلا بيقين»^(١).

• وبعد ذلك صدر قرار ثانٍ لهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية^(٢)، يؤكد فيه قراره الأول، حيث جاء فيه ما نصه:

«وبعد البحث والمداولة قرر المجلس ما يلي:

جواب السؤال الأول: إذا قرر ثلاثة أطباء متخصصون فأكثر، رفع أجهزة الإنعاش عن المريض الموضحة حالته في السؤال الأول، فإنه يجوز اعتماد ما يقررونه من رفع أجهزة الإنعاش، ولكن لا يجوز الحكم بموته حتى يعلم ذلك بالعلامات الظاهرة الدالة على موته، أما موت الدماغ فلا يعتمد عليه في الحكم بموته»^(٣).

قلت: وفي هذه الفتاوى والقرارات نرى أنهم بنوا على التوصيفات الطبية التي ذكرت أن الموت الدماغى ليس موتاً قطعاً، لذلك لم تأخذ هذه الفتاوى والقرارات بمجرد موت الدماغ حتى تتحقق العلامات الجسدية الأخرى التي توصلنا إلى القطع بالموت. والله أعلم.

من هنا ينجلي الأثر الواضح لتوصيف الطبيب، واختلاف الحكم الشرعى بناء عليها.

وعليه فيمكن تلخيص ما سبق بالتالى:

المرض:	الموت الدماغى.
التوصيف الطبي (١):	الموت الدماغى موت قطعاً.
التوصيف الطبي (٢):	الموت الدماغى غير قطعى.
أثر التوصيف (١):	يحكم الفقيه بالموت من الجهة الشرعية، وتترتب عليه جميع أحكام الموت من الإرث وعدة الموت وسائر أحكام الموت.
أثر التوصيف (٢):	لا يحكم الفقيه بالموت، فلا تنطبق أحكام الموت حتى تنزع الأجهزة ويتوقف قلبه ورثته عن العمل.

المبحث الثانى: بيان أثر توصيف الطبيب للدواء أو العلاج:

من المسائل التي توضح أثر توصيف الدواء أو العلاج في الحكم الشرعى مسألة: «نقل الغدد التناسلية»، فقد يحدث عند بعض الرجال أن تُصاب خصيتيه بخلل ما، أو يُصاب مبيض امرأة

١- انظر: الفتاوى المتعلقة بالطب وأحكام المرضى (ص٢٣٨).

٢- القرار رقم (١٩٠) وتاريخ ١٤١٩/٤/٦هـ.

٣- انظر: الفتاوى المتعلقة بالطب وأحكام المرضى (ص٢٢٧).

بمرض فيُستأصل منها، مما يؤدي إلى حرمان أولئك من الإنجاب، ثم يتوق الرجل الذي تلفت خصيتيه أو تتوق المرأة التي تلف مبيضها إلى الأولاد، فمن أنواع العلاجات المتوفرة أن يُنقل له خصية من متبرع، أو يُنقل إليها مبيض من متبرعة.

وإذا نظرنا إلى التوصيفات الطبية لهذه العملية، من حيث احتواء الخصية أو المبيض على حُويّات المتبرع أو بويضات المتبرعة أو عدم احتوائها، نجد التالي:

التوصيف الأول:

تقول الدكتورة صديقة العوضي والدكتور كمال نجيب: «الغدد التناسلية ليست مثل باقي الأعضاء يمكن نزع التالف منها واستبداله بآخر سليم، بل إنها بما تحمله من الخلايا الأولية للبويضات والحيوانات المنوية، فإنها تقوم بنقل الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء، وإن أي محاولة لنقل هذه الأعضاء بين الرجال والنساء سوف يؤدي حتماً إلى خلط الأنساب»^(١).

ويقولان أيضاً: «ومهما كانت الإمكانيات والتجهيزات التي يقدمها الطب الحديث لهؤلاء الرجال والنساء، فلن يُتاح لهم الإنجاب من صلبهم، بل يكمن القول بأن نجاح نقل الغدد التناسلية ما هو إلا صورة من صور الإخصاب لبويضة من حيوان منوي ليس من الزوج، أو إخصاب حيوان منوي لبويضة ليست لزوجته»^(٢).

وأيضاً: «من هنا يتضح لنا أن المبيض يحتوي على بويضات تحمل الشفرة الإلهية التي حددها واختارها الله لهذا الطفل والذي تم تحديده قبل ولادة الطفلة من بطن أمها، والمستمدة من الصفات الوراثية للأب والأم، فإذا ما قمنا ونقلنا هذا العضو (المبيض) من أنثى إلى أنثى أخرى، فإننا بهذا قد نقلنا المبيض بما يحتويه من بويضات تحمل الصفات الوراثية التي ورثتها الأنثى المنقول منها المبيض من والديها إلى أنثى أخرى والتي تم نقل المبيض لها»^(٣).

وأخيراً: «من هذا يتضح أن الخصية تقوم بدور المصنع الذي ينتج الحيوانات المنوية بواسطة تأثير الهرمونات على المواد الأولية... فإذا ما نقلنا الخصيتين من شخص إلى آخر، فكأننا قد نقلنا المصنع بآلاته ومعداته والمواد الأولية التي يحتويها إلى الشخص الآخر، ويكون دور الشخص المنقول له الخصية لن يتعدى سوى تشغيل هذا المصنع فقط، أي أنه لن يكون له دور في نقل المورثات التي يحملها إلى أولاده، بل سوف يساعد على نقل الصبغيات الوراثية التي ورثها الشخص المنقول منه هذه الخصية إلى ذرية الشخص المنقول له الخصية»^(٤).

١- زراعة الأعضاء التناسلية والغدد التناسلية للدكتورة صديقة العوضي والدكتور كمال محمد نجيب (ص ٤٤٣).

٢- المصدر السابق (ص ٤٤٣).

٣- المصدر السابق (ص ٤٤٦).

٤- زراعة الأعضاء التناسلية والغدد التناسلية للدكتورة صديقة العوضي والدكتور كمال محمد نجيب (ص ٤٥٠).

وقال بنحو هذا التوصيف الدكتور مأمون الحاج^(١)، والدكتور عصام الشربيني^(٢)، والدكتور عبد المنعم عبيد^(٣)، والدكتور طلعت القصيبي^(٤).

التوصيف الثاني:

ينقل شيخنا الدكتور محمد الشنقيطي عن جريدة المسلمون توصيفاً طبياً^(٥) هو: «أن الحيوانات المنوية خارجة في الأصل من الرجل الثاني «المنقولة إليه الخصية»، وأن الخصية ليست إلا مجرد آلة منظمة لتلك الحيوانات، فلا وجه للشبهة في عملية نقلها»^(٦).

ويقول الدكتور محمد الأشقر: «... أني وقعت على مقال نشر هنا في الكويت لمقابلة مع الدكتور حسن عبد العال، أستاذ الأمراض التناسلية في جامعة الأزهر، وهي عبارة عن مقابلة... أنه يقول: إن سيمكن في عهد قريب أو في وقت قريب تفرغ الخصية من السائل المنوي نهائياً، وبذلك سيمكن نقل الخصية بيسر وسهولة، وبعد ذلك فلا يحدث اشتباه الأنساب أو ما إلى ذلك...»^(٧).

فهنا توصيفات متباينان للعلاج بنقل الخصية أو المبيض، وبناء عليه فإنه من تكلم في الحكم الشرعي انقسم إلى قولين:

القول الأول: يحرم نقلها.

ويمثله التوصيات والقرارات والبيانات المجمعية التالية:

- توصية ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية^(٨)، حيث جاء في توصيتها ما نصه: «انتهت الندوة إلى أن الخصية والمبيض بحكم أنهما يستمران في حمل وإفراز الشفرة الوراثية للمنقول منه، حتى بعد زرعهما في متلقٍ جديد، فإن زرعهما محرم مطلقاً؛ نظراً لأنه يفضي إلى اختلاط الأنساب، وتكون ثمرة الإنجاب غير وليدة من الزوجين الشرعيين المرتبطين بعقد الزواج»^(٩).

١- انظر: ثبت أعمال ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية (ص ٤٨٠، ٤٨٨).

٢- انظر: ثبت أعمال ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية (ص ٤٨٢-٤٨٣، ٤٨٨).

٣- انظر: ثبت أعمال ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية (ص ٤٨٦-٤٨٧).

٤- انظر: ثبت أعمال ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية (ص ٤٨٩، ٤٩٧).

٥- ولم يُبين الدكتور محمد الشنقيطي لمن يعود هذا التوصيف، وعلى كلِّ فهو توصيف طبي، سواء عاد إلى طبيب أم غير طبيب، وقد سبق النقل عن طبيب.

٦- أحكام الجراحة الطبية للدكتور محمد الشنقيطي (ص ٢٦٩) محيلاً إلى جريدة المسلمون الأعداد: ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥.

٧- انظر: ثبت أعمال ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية (ص ٤٨٣). وقد كان الدكتور الأشقر يميل إلى الجواز، إلا أنه بعد أن اتضح له التوصيف الطبي الأول، عاد فقال بالتحريم. انظر: ثبت أعمال ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية (ص ٥٥٤-٥٥٧).

٨- وهي الندوة الفقهية الطبية السادسة، التي انعقدت في الكويت في الفترة ما بين ٢٢-٢٦ ربيع الأول ١٤١٠ هـ الموافق ٢٢-٢٦ أكتوبر ١٩٨٩ م.

٩- انظر: ثبت أعمال ندوة رؤية إسلامية لزراعة بعض الأعضاء البشرية (ص ٦٤٩).

- قرار مجمع الفقه الإسلامي^(١)، حيث جاء فيه ما نصه:

«بما أن الخصية والمبيض يستمران في حمل وإفراز الصفات الوراثية (الشفرة الوراثية) للمنقول منه حتى بعد زرعهما في متلقٍ جديد، فإن زرعهما محرم شرعاً»^(٢).

قلت: هذا القول اعتمد أساساً على التوصيف الطبي للأطباء القائل بأن نقل الغدد التناسلية، يعني نقل الشفرة الوراثية للمتبرع، وهو أمر مرفوض قطعاً.

القول الثاني: يجوز نقل الخصيتين، وبه يقول أحد المعاصرين^(٣).

القول الثالث: يجوز نقل إحدى الخصيتين، أو أحد المبيضين. وهو قول بعض المعاصرين^(٤).

يقول فضيلة الشيخ عطية صقر: «من المقرر أن نقل الخصيتين معاً من شخص إلى آخر لا يجوز؛ لأنه خصاء للمنقول منه، والخصاء حرام... أما نقل خصية واحدة فهو كتنقل إحدى الكليتين يجوز بشرطين هما مطلوبان في نقل أي عضو من شخص إلى آخر، وهما عدم الضرر الكبير بالمنقول منه، وغلبة الظن في استفادة المنقول إليه به.

ولا شك أن الخصية هي المعمل الذي يفرز المادة المنوية ويتخلق منها الحيوان المنوي. وهذه المادة عندما تكثر لا بد من إفراغها بطريقة أو بأخرى، فإذا نقلت الخصية بما فيها من مادة مع افتراض أن الحيوانات المنوية بعد القطع ستبقى حية وزُرعت في شخص آخر، وباشرت عملها من توليد المادة من الجسم الجديد كان فيها خليط من مادة الشخص الأول ومادة الشخص الثاني، فلو فرض تلقيح زوجة الثاني من هذا الخليط فلا يعرف للحمل من أي الشخصين يكون، وتحليل الدم أو الشبهه في الخلقة قد يحدد ذلك. ولو ثبت أنه للشخص الأول كان الاتصال الجنسي حراماً، وتجيء هنا مشكلة نسبة المولود على فراش الزوجية وحق الزوج في ادعائه ونفيه وما قيل في التلقيح الصناعي.

ولذلك نختار منع عملية النقل أصلاً، وذلك لعدم الضرورة إليها، فليس عقم الرجل مفضياً إلى هلاكه أو إلى إلحاق الضرر الشديد به.

ولو تم النقل وجب أن تكون هناك فرصة لتفريغ المادة المخزونة فيها والاطمئنان إلى خلوها منها بمعرفة المختصين، وذلك أشبه بمدة الاستبراء والعدة حتى لا تختلط الأنساب بالزواج أو التمتع

١- قرار رقم ٦/١/٥٩ في دورة مؤتمره السادس بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٧-٢٢ شعبان ١٤١٠هـ الموافق ١٤-٢٠ آذار (مارس) ١٩٩٠م.

٢- انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٦٤، ج ٢، ص ٢١٥٥).

٣- نصّ على ذلك الشيخ سيد سابق، كما في جريدة المسلمون العدد رقم ٢٠٢، نقلاً من أحكام الجراحة الطبية للدكتور محمد الشنقيطي (ص ٢٦٨).

٤- انظر: أحكام الجراحة الطبية للدكتور محمد الشنقيطي (ص ٢٦٨).

قبل انتهائها وما يُقال في نقل خصية الرجل يُقال في نقل مبيض المرأة»^(١).

قلت: نجد أصحاب هذا القول يذهبون مع التوصيف الطبي الثاني، وتبقى مسألة نقل الغدد التناسلية في حيز المقبول من حيث المبدأ.

فنجد هنا التأثير الواضح أيضاً للتوصيف الطبي على مجرى الأحكام الفقهية.

ويمكن تلخيص ما سبق بالتالي:

المرض:	العقم بسبب خلل في الغدة التناسلية.
العلاج:	نقل الغدة التناسلية المصابة من متبرع.
التوصيف الطبي (١):	الغدة التناسلية تحتوي على الخلايا الجنسية للمتبرع، فإذا نقلت هذه الأعضاء لشخص آخر فإنه تنتقل معها الخلايا الجنسية لصحابها المتبرع.
التوصيف الطبي (٢):	الغدة التناسلية يمكن تفرغها من الخلايا الجنسية، ومن ثم تتكون خلايا جنسية تعود للشخص المنقولة إليه الغدة التناسلية.
أثر التوصيف (١):	يحرم نقل الخصية أو المبيض إلى شخص آخر قطعاً.
أثر التوصيف (٢):	لا يحرم نقل الخصية أو المبيض من حيث المبدأ إلى شخص آخر.

المبحث الثالث: بيان أثر توصيف الطبيب لطريقة العلاج:

من المسائل التي توضح أثر توصيف طريقة علاج المرض في الحكم الشرعي مسألة: «استخدام اللولب لمنع الحمل»، فقد ترغب بعض النساء كمن ضعف جسمها لتعدد الحمل والولادة أو لغيرها من الدوافع أن تقوم بتنظيم النسل، ومعلوم أن لتنظيم الحمل أو تحديده المؤقت عدة طرق، منها استخدام اللولب.

ومعلوم أن الحكم الشرعي لتلك الطرق له عدة نواح تؤثر فيه، والذي يهمنا هنا هو توضيح أثر توصيف الطبيب لطريقة عمل اللولب في تنظيم أو تحديد النسل.

وإذا نظرنا إلى التوصيفات الطبية لهذه الطريقة نجد التالي:

التوصيف الأول:

جاء في كتاب الطبيب أدبه وفقهه: «كذلك تقوم هذه الأجهزة بإعاقة وصول الحيوانات المنوية إلى قناة الرحم، وتقلل من قدرتها على التلقيح»^(٢).

ويقول الدكتور محمد خالد المنصور نقلاً عن عدة مصادر طبية: «اللولب (الأجهزة الرحمية لمنع الحمل): وهي أجهزة رحمية تُستخدم لمنع الحمل على شكل لولب، ووظيفتها: منع وصول

١- فتاوى دار الإفتاء المصرية الفتوى رقم (٧٤) بتاريخ: مايو ١٩٩٧م.

٢- الطبيب أدبه وفقهية للدكتور البار والدكتور السباعي (ص ٢٨٨).

الحيوانات المنوية إلى قناة الرحم، وتقليل قدرتها على التلقيح»^(١).

التوصيف الثاني:

جاء في كتاب الطبيب أدبه وفقهه: «وتعمل هذه الأجهزة على منع علق الكرة الجرثومية في جدار الرحم، وذلك لأنها تحدث تغييرات في بطانة الرحم تجعلها غير صالحة لانغراس الكرة الجرثومية (Blastula)، كما أنها لا تساعد على النمو إذا انغرست فيطردها الرحم»^(٢).

ويقول الدكتور البار: «ورغم أن الوسيلة التي يعمل بها اللولب مجهولة، إلا أن الدوائر الطبية تعتقد أن منع الحمل يتم بمنع انغراز البويضة الملقحة بالرحم (أي منع العلق) .. كما يعتقد بعضهم أن وجود اللولب يزيد في تقلصات الرحم وقناة الرحم، مما يؤدي إلى سرعة تحرك البويضة من قناة الرحم إلى الرحم ومن ثم إلى الخارج»^(٣).

التوصيف الثالث:

وهو ما يمكن أن نأخذه مما ذكرنا عن كتاب الطبيب أدبه وفقهه حيث جاء فيه توصيف عمل اللولب: «وتعمل هذه الأجهزة على منع علق الكرة الجرثومية في جدار الرحم ... كما أنها لا تساعد على النمو إذا انغرست فيطردها الرحم»^(٤).

فهنا ثلاثة توصيفات لطريقة عمل اللولب:

فالتوصيف الأول يذكر أنه يمنع وصول الحيوانات المنوية إلى البويضة، فهو بذلك شبيه بعزل الرجل عن زوجته.

والتوصيف الثاني يذكر أنه يمنع إنغراز البويضة الملقحة في الرحم، وهو بذلك نوع من أنواع الإجهاض قبل العلق في جدار الرحم.

والتوصيف الثالث: يذكر أنه يعمل على طرد البويضة الملقحة المنغرس في الرحم، فهو بذلك نوع من أنواع الإجهاض بعد العلق في جدار الرحم.

أما الأحكام الشرعية:

الاعتماد على التوصيف الأول (العزل):

يقول الدكتور محمد خالد المنصور بعد أن ذكر حكم العزل في الشريعة الإسلامية: «بناء على البحث الفقهي المتقدم، فإن حكم وسائل منع الحمل المؤقت الحديثة ينبغي أن يكون مقاساً على

١- الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء (ص ١٢٩).

٢- الطبيب أدبه وفقهه للدكتور البار والدكتور السباعي (ص ٢٨٨).

٣- خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص ٤٩٥).

٤- الطبيب أدبه وفقهه للدكتور البار والدكتور السباعي (ص ٢٨٨).

حكم العزل من حيث الجواز والحرمة؛ لأن هذه الوسائل تشترك مع العزل في منع الحمل مؤقتاً، وذلك بمنع وصول ماء الرجل إلى رحم المرأة، مع اختلاف وسائل وطرق منع الحمل.

وقد ترجح فيما سبق أن العزل جائز مع الكراهة التنزيهية، عند وجود سبب وحاجة معتبرة للعزل، وإلا فعلى الجواز مطلقاً.

وعليه فيجوز استخدام وسائل منع الحمل المؤقتة إذا كان ثمة سبب للمنع يؤدي بالمسلم إلى الحرج والمشقة^(١).

ومثله تماماً ما فعله الدكتور سيد حبيب بن أحمد، حيث اعتمد على هذا التوصيف الطبي، ووصل إلى نفس الحكم الشرعي^(٢).

قلت: فنرى هنا أنهما وصلا إلى حكم الكراهة بناء على حكم العزل المكروه عندهما، مع الاعتماد على التوصيف الطبي القائل بأن عمل اللولب يكون بمنع الحيوان المنوي من تلقيح البيضة.

الاعتماد على التوصيف الثاني (الإجهاض قبل العلق) :

أكثر من بحث مسألة استخدام اللولب إنما نظر إلى التوصيف الطبي الأول، وقيل من نظر النظر إلى التوصيف الثاني، وإن ذكره عند شرح طريقة عمل اللولب، ولكنه يعود ليطبق الحكم على العزل فقط، دون الإجهاض^(٣).

ومعلوم أن إعطاء الحكم الشرعي من خلال النظر إلى العزل، يختلف عن إعطاء الحكم الشرعي من خلال الإجهاض، إذ الخلاف في المسألة الأولى يختلف عن الخلاف في المسألة الثانية. وممن انتبه إلى ذلك:

قرار اللجنة الفقهية الطبية لجمعية العلوم الطبية الإسلامية الأردنية^(٤)، وجاء فيها ما نصه:

«ثانياً: الإجراءات الطبية قبل حدوث العلق: لقد توصلت هذه الندوة، كما توصل الكثير مما سبقها من أبحاث وندوات إلى اتفاق أن الحياة المحترمة للبيضة الملقحة إنما تبدأ بعد علوقها في جدار الرحم بين اليومين السادس والسابع بعد التلقيح.

وعلى ذلك فإن هناك اتفاقاً لدى غالبية العلماء على ما يلي:

١- الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء (ص ١٥٠).

٢- منع الحيض والحمل أو تأخيرهما (ص ٤٩).

٣- فني كتاب «الطبيب أدبه وفقته»: فني (ص ٢٨٨) ذكر أن من طريقة عمل اللولب منع البيضة الملقحة من الإنفراس، عند ذكرهما لوسائل موانع الحمل. ثم في (ص ٣٠٥-٣١٠) ذكر الموقف الشرعي من وسائل منع الحمل على أساس العزل فقط، فيما يتعلق بطريقة عمل اللولب، ولم يتطرق لتزليل الحكم على أساس إجهاض البيضة الملقحة.

٤- صدر هذا القرار في يوم الخميس ١٤١٣هـ، الموافق ٢٢/١٠/١٩٩٢م. انظر: قضايا طبية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية (٩٠/٩١-٩١)

١- أن استعمال اللولب الطبي لمنع علقو البيضة الملقحة في جدار الرحم هو أمر جائز^(١).
فرضى هنا أنهم انطلقوا إلى بيان الحكم من خلال الإجهاض قبل العلقو.

الاعتماد على التوصيف الثالث (الإجهاض بعد العلقو) :

ولم أر من بنى الحكم الشرعي عليه، إلا أنه إن كان صحيحاً هذا التوصيف الطبي، فإنه ينبغي أن يُقال بالتحريم عند من يرى تحريم الإجهاض بعد العلقو، كما سبق في الفتوى الأردنية السابقة. من هنا يتضح للقارئ أثر اختلاف التوصيف الطبي لطريقة عمل اللولب، فمن اعتمد على التوصيف الأول فإنه سيبحث المسألة من خلال حكم العزل، ومن اعتمد على التوصيف الثاني فإنه سيبحث المسألة من خلال حكم الإجهاض قبل العلقو في الرحم، ومن اعتمد على التوصيف الثالث فإنه سيبحث المسألة من خلال حكم الإجهاض بعد العلقو في الرحم. والله تعالى أعلم.

ويمكن تلخيص ما سبق في التالي:

المرض:	ضعف المرأة بسبب كثرة الولادة مثلاً.
العلاج:	تنظيم النسل باستخدام اللولب.
التوصيف الطبي (١):	اللولب يقوم بمنع الحيوانات المنوية من تلقيح البيضة.
التوصيف الطبي (٢):	اللولب يمنع البيضة الملقحة من العلقو في الرحم.
التوصيف الطبي (٣):	اللولب يمنع البيضة الملقحة المنغرسه في الرحم من البقاء في الرحم.
أثر التوصيف (١):	سيتم إعطاء الحكم الشرعي بناء على مسألة حكم عزل الرجل عن زوجته.
أثر التوصيف (٢):	سيتم إعطاء الحكم الشرعي بناء على مسألة حكم الإجهاض قبل العلقو.
أثر التوصيف (٣):	سيتم إعطاء الحكم الشرعي بناء على مسألة حكم الإجهاض بعد العلقو.

المبحث الرابع: بيان أثر توصيف الطبيب لمآل استخدام الدواء أو العلاج :

توصيف الطبيب لمآل استخدام الدواء أمر مهم لا يقل أهمية عن التوصيفات السابقة، فرب دواء أو علاج يمتنع الطبيب من وصفه أو استخدامه بسبب أنه يتصور أن مآل استخدامه في المستقبل يكون ضاراً أو يسبب أعراضاً جانبية أو يكون غير مجدٍ لأمر فنية أو تقنية.

كمثل دواء يسبب بأمر الله تعالى القضاء على ميكروب ما بسرعة مذهشة، إلا أنه يتسبب بعد ذلك بأعراض جانبية قد تكون أكثر ضرراً من ذلك الميكروب.

وكمثل آلة طبية حديثة، لها مزايا متطورة، تُعرض للبيع لإحدى المستشفيات، فتطلب توصيفاً لها من أحد أطبائها العاملين في المستشفى، فإذا كتب ذلك الطبيب في تقريره أن هذه الآلة مزاياها

١- قضايا طبية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية (٢١٢/١)

رائعة واستخدمها سهل وآمن، إلا أن نتائجها ليست دقيقة وتعطي نسبة خطأ معينة، فلن تقدم المستشفى على شرائها، وإذا كانت موجودة عند المستشفى فلن يرغب الأطباء في استخدامها. ومن المسائل التي توضح أثر توصيف المآل مسألة: «إنشاء بنوك الحليب»، فقد نشأت هذه البنوك في الدول الغربية للدواعي التالية:

أولاً: إنقاذ مجموعة من الأطفال الذين يحتاجون بصورة خاصة إلى اللبن الإنساني، ولا تستطيع أمهاتهم أن يقمن بالرضاعة^(١).

ثانياً: أن يكون الحليب الطبيعي وسيلة بديلة عن الحليب الصناعي، هدفها الاستفادة القصوى من مميزات حليب الأم، في حين لا تستطيع الأم إرضاع طفلها^(٢).
إلا أنها بعد انتشارها وذيوعها آلت إلى القلة والإنخفاض، وفي بيان سبب هذا المآل توصيفان هما:

التوصيف الأول:

يقول الدكتور ماهر حتوت في بحثه «بنوك الحليب البشري المختلط» المقدم إلى ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام:

«حجم المشكلة أصغر مما قد تم تصويره ابتداءً:

لأن الألبان الصناعية تكفي وانحصر الاستعمال لمن لهم حساسية خاصة للألبان الصناعية أو لمن لا يستطيعون هضمه.

ونسبة الأطفال الخدج حوالي ٧٪ من المواليد من هؤلاء أقل من ١٪ من الـ ٧٪، ولذلك انكمش حجم المشكلة.

وقد قمت بالاتصال ببنوك الألبان فلقد انكمش إلى ثلاثة في الولايات المتحدة ثم اتصلت بمستشفى الأطفال في لوس انجلوس للسؤال عن عدد المرات التي استخدموا فيها بنوك اللبن في العامين الأخيرين فكان العدد صفرًا.

ولذلك فإن المشكلة صغيرة ومنكمشة ولكن الاحتمال موجود ومطروح وقد تختفي المشكلة ثم تظهر بعد ذلك»^(٣).

١- انظر: بنوك الحليب دراسة طبية فقهية (ص ٨٠)، وبنوك الحليب للبار ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي (ص ٣٩٢-٣٩٣)، والطبيب أدبه وفقهه (ص ٢٤٩-٢٥٠)، والانتفاع بأجزاء الأدمي (ص ١٨٨)، والمسائل الطبية المستجدة (٢/٤٠٥)، وبنوك الحليب البشري المختلط للدكتور ماهر حتوت (ص ٣٥)، والموسوعة الطبية الفقهية (ص ٤٨٧).

٢- انظر: بنوك حليب الأمهات بدعة غريبة محرمة شرعاً، وبنوك اللبن للكلاوي (ص ١١)، والانتفاع بأجزاء الأدمي (ص ١٨٨)، والمسائل الطبية المستجدة (٢/٤٠٥)، وبنوك الحليب البشري المختلط (ص ٣٥)، ومجموعة فتاوى دار الإفتاء المصرية الفتوى رقم (٩٥٩)، والموسوعة الطبية الفقهية (ص ٤٨٨).

٣- بنوك الحليب البشري المختلط للدكتور ماهر حتوت (ص ٣٦).

التوصيف الثاني :

يقول الدكتور محمد علي البار في بحثه «بنوك الحليب دراسة طبية فقهية» المقدم إلى مجمع الفقه الإسلامي: «وكنتم قد قمت بسؤال مجموعة من أطباء الأطفال العاملين في الولايات المتحدة عندما كنت في زيارة لها في يناير ١٩٨٣ فذكروا لي أن بنوك الأطفال في الولايات المتحدة في مرحلة الاحتضار وذلك للأسباب التالية:

١- الحاجة إليها نادرة.

٢- تكلفتها عالية جداً.

٣- ندرة الأمهات المتبرعات باللبن.

٤- يتعرض اللبن المتجمع للفساد مع الزمن رغم حفظه في البنك فهو معرض لإصابته بالميكروبات كما أنه معرض لتحلل بعض المواد الموجودة فيه فيفقد بذلك بعض مزاياه وفوائده»^(١).

قلت: من خلال ما سبق نرى التفاوت بين التوصيفين؛ فالتوصيف الأول توصيف هادئ يجعل سبب ما آلت إليه البنوك من الإنحسار بسبب كفاية الألبان الصناعية مع قلة الذين يحتاجون إلى هذا الحليب من الأطفال الخُدج.

أما التوصيف الثاني فكان أشد وقعاً حتى جاء وصف حال البنوك بـ(الاحتضار)، مع ذكر مجموعة من الأسباب التي تُنفر من هذه البنوك ومن حليبها فالحليب فيها معرض للفساد مع الزمن رغم حفظه فيها، ومعرض للإصابة بالميكروبات، ومعرض لفقد مزاياه وفوائده.

وهذا التفاوت في توصيف سبب ما آلت إليه البنوك كان سبباً رئيسياً في تفاوت حكم الندوات والمؤتمرات على هذا النوع من البنوك، بحسب البحث الذي عُرض فيها والتوصيف الذي سمعه المشاركون، على الشكل التالي:

أولاً: توصية اكتفت بعدم التشجيع على إنشاء بنوك الحليب، وأنه إذا دعت الضرورة فلا بأس بإنشائها، وهي توصية ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام^(٢):

«عدم تشجيع قيام بنوك الحليب البشري المختلط، فإذا دعت الضرورة الطبية إلى ذلك تنشأ بنوك حليب بشري للأطفال الخُدج»^(٣).

لأنه تم عرض البحث الأول في هذه الندوة.

١- بنوك الحليب دراسة طبية فقهية للدكتور محمد علي البار (٢ع، ج١، ٣٩٤).

٢- المنعقدة في الكويت في ١١ شعبان ١٤٠٣هـ، الموافق ٢٤ مايو ١٩٨٢م.

٣- ثبت ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام (ص٣٤٩).

ثانياً: قرار بالمنع من إنشاء بنوك الحليب، وهو قرار مجمع الفقه الإسلامي^(١):

«أولاً: أن بنوك الحليب تجربة قامت بها الأمم الغربية، ثم ظهرت مع التجربة بعض السلبيات الفنية والعلمية فيها فانكشفت وقل الاهتمام بها.

ثانياً: أن الإسلام يعتبر الرضاع لحمة كحمة النسب يحرم به ما يحرم من النسب بإجماع المسلمين. ومن مقاصد الشريعة الكلية المحافظة على النسب، وبنوك الحليب مؤدية إلى الاختلاط أو الريبة.

ثالثاً: أن العلاقات الاجتماعية في العالم الإسلامي توفر للمولود الخداج أو ناقص الوزن أو المحتاج إلى اللبن البشري في الحالات الخاصة ما يحتاج إليه من الاسترضاع الطبيعي، الأمر الذي يغني عن بنوك الحليب.

وبناء على ذلك قرر:

أولاً: منع إنشاء بنوك حليب الأمهات في العالم الإسلامي.

ثانياً: حرمة الرضاع منها. والله أعلم^(٢).

لأنه تم عرض البحث الثاني، والله أعلم.

ويمكن تلخيص ما سبق في الجدول الآتي:

المرض:	وجود أطفال يحتاجون إلى الحليب البشري.
العلاج:	إنشاء بنوك للحليب البشري.
التوصيف الطبي (١):	آلت هذه البنوك إلى القلة بسبب توفر الألبان الصناعية، مع قلة الحاجة حالياً إليها.
التوصيف الطبي (٢):	آلت هذه البنوك إلى القلة وهي الآن في مرحلة الاحتضار لأسباب منها: ندرة الحاجة إليها، والتكلفة العالية، وندرة الأمهات المتبرعات، وتعرض اللبن للفساد مع الزمن رغم حفظه فيها، ولأنه معرض للإصابة بالميكروبات، ومعرض لفقد مزاياه وفوائده.
أثر التوصيف (١):	عدم تشجيع إنشائها ولا مانع منها إذا دعت الضرورة.
أثر التوصيف (٢):	منع إنشاء بنوك الحليب وتحريم الرضاع منها.

١- وذلك في دورة انعقاد مؤتمره الثاني بجدة من ١٠-١٦ ربيع الآخر ١٤٠٦هـ، / ٢٢-٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥م.

٢- قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي (ص١٦-١٧).

الخاتمة

بعد هذه الجولة القصيرة والومضات السريعة، في هذا الموضوع الشَّيقِّ والمسائل المثيرة، نصل بفضل الله تعالى وحده إلى نهاية المطاف وخاتمة التطواف، لأذكر للقارئ الكريم أهم ما تم بحثه والتوصل إليه في النقاط التالية:

١- توصيف الطبيب الدواء للمريض وطريقة الاستعمال يسبقه: وصف للمرض، ووصف للدواء أو للعلاج، ووصف لطريقة عمل الدواء أو العلاج، ووصف لمأل استخدام الدواء أو العلاج.

٢- وإذا وقع خطأ في أحد هذه التوصيفات، فالخطأ بطبيعة الحال راجعٌ وقوعه في وصف العلاج المناسب للمرض.

٣- وإذا كانت هذه التوصيفات صحيحة ودقيقة، كان وصف العلاج صحيحاً بإذن الله تعالى، من هنا ندرك أن توصيف الطبيب أبعد من مجرد وصفة طبية يأخذها المريض ليصرفها ويسير على طريقته، بل يسبق ذلك عدة توصيفات مهمة.

٤- توصيف الطبيب له أهمية كبرى لتعلقه ببدن وصحة الإنسان.

٥- لتوصيف الطبيب أهمية بالغة بالنسبة للمريض وذويه، وفي القضاء، وفي إعطاء الحكم الشرعي.

٦- الاعتماد على قول الأطباء أمر مشروع قد جاءت أدلة متعددة تدل عليه.

٧- ينبغي أن تتوفر في توصيفات الطبيب عدة صفات من أهمها: العلم، والصدق، والإتقان، والحفاظ على أسرار وعورات المرضى، والواقعية، والدقة والتفصيل، والتوثيق فيما يحتاج إلى ذلك، والعدل والإنصاف بعدم إغفال المعطيات التي قد تدل لغير ما يراه.

٨- من المسائل التي توضح أثر التوصيف للمرض أو للواقعة الطبية في الحكم الشرعي، هي مسألة: «الموت الدماغي»:

أ- فمن الأطباء من يصفه بأنه موت قطعاً، وعليه يحكم الفقيه بالموت من الجهة الشرعية، وتترتب عليه جميع أحكام الموت من الإرث وعدة الموت وسائر أحكام الموت.

ب- ومنهم من يصفه بأنه غير قطعي، وعليه فلا يحكم الفقيه بالموت، ولا تنطبق أحكام الموت حتى تُنزع الأجهزة ويتوقف قلبه ورتتيه عن العمل.

٩- ومن المسائل التي توضح أثر توصيف الدواء أو العلاج في الحكم الشرعي مسألة: «نقل الغدد التناسلية»، للعقيم بسبب خلل في الغدة التناسلية:

أ- فمن وصف له أن الغدة التناسلية تحتوي على الخلايا الجنسية للمتبرع، فإذا نقلت هذه الأعضاء

لشخص آخر فإنه تنتقل معها الخلايا الجنسية لصحابها المتبرع، فإنه يحرم نقل الخصية أو المبيض إلى شخص آخر قطعاً.

ب- ومن وُصف له أن الغدة التناسلية يمكن تعريفها من الخلايا الجنسية، ومن ثم تتكون خلايا جنسية تعود للشخص المنقولة إليه الغدة التناسلية، فإنه لا يحرم نقل الخصية أو المبيض من حيث المبدأ إلى شخص آخر.

١٠- ومن المسائل التي توضح أثر توصيف طريقة العلاج في الحكم الشرعي مسألة: «استخدام اللولب لمنع الحمل»:

أ- فمن وُصف له اللولب بأنه يقوم بمنع الحيوانات المنوية من تلقيح البويضة، سيعطي الحكم الشرعي بناء على مسألة حكم عزل الرجل عن زوجته.

ب- ومن وُصف له بأنه يمنع البويضة الملقحة من العلق في الرحم، فسيعطي الحكم الشرعي بناء على مسألة حكم الإجهاض قبل العلق.

ت- أما من وُصف له بأنه يمنع البويضة الملقحة المنغرس في الرحم من البقاء في الرحم، فإنه سيعطي الحكم الشرعي بناء على مسألة حكم الإجهاض بعد العلق.

١١- ومن المسائل التي توضح أثر توصيف المأل مسألة: «إنشاء بنوك الحليب»، فبحسب نوع الوصف سيكون الحكم كما سبق، إما بعدم التشجيع، أو بالقطع بالمنع.

والحمد لله الذي ينعمته تتم الصالحات.

١.٥.٥. سحر قدوري

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
الجامعة المستنصرية

توظيف تكنولوجيا المعلومات في ادارة المخاطر البيئية : دراسة تفويمية في الشركة العامة لصناعة الزيوت النباتية (مصنع الرشيد)

المستخلص

ادارة المخاطر البيئية شغلت اهتمام العديد من الباحثين من حقول معرفية مختلفة. وعتت هذه الادارة من قبل الأعمال ليست مهمة فحسب في مجتمع اليوم بل تمثل تحدياً امام المنظمات المختلفة. ومنحت عملية تحويل الاعتبارات البيئية الى فرص جديدة امام الاعمال الى اعتبار ادارة المخاطر البيئية عنصراً أساسياً في تحقيق التطور والنمو المستمر للدول الصناعية والنامية. ويعد عنصر الحصول على المعلومات البيئية الجيدة من متطلبات تحسين ادارة المخاطر البيئية. يرمي البحث الحالي الى وصف كيف يمكن لتقنية المعلومات ان تؤلف في ادارة المخاطر البيئية؟ وفي ضوء الاجابة على تساؤلات البحث، اتضح ان الانشطة البيئية تظهر معلومات عالية النوعية وهي بدورها تركز على كيفية تحسين الواقع البيئي او الحد من المخاطر البيئية، لكن الواقع البيئي اظهر مستوى توافر المعلومات البيئية متبايناً وعدم وضوح لسياسات ادارة المخاطر البيئية.

يشتمل البحث على جانبين: الاول، الجانب النظري وتم تغطيته من خلال الاطلاع على ما تيسر للباحثة من مصادر ومراجع علمية حديثة. والجانب الثاني، هو التطبيقي وتم جمع معلوماته من الشركة العامة لصناعة الزيوت النباتية بعدها مجال البحث. وقد اسفرت النتائج عن مجموعة من التوصيات ومنها:

- يتعين على القيادة الادارية ان تكون مدركة لما تتطلب عليه الاعمال من مخاطر بيئية وعليها ان تقرر التغيير في الانتاج والعمليات التصنيعية من اجل المواكبة مع النظم الحديثة

واستحداث عمليات بيئية للحد من المخاطر وتقييم الاثار البيئية .

- لتغطية متطلبات ادارة المخاطر البيئية فرضت الضرورة توافر قاعدة معلومات بيئية تتلائم مع انشطة الشركة المبحوثة وان هذه المهمة تقع على عاتق ادارة المخاطر.

Abstract

Risks Environmental Management engage an increasing number of persons from different fields .The management and safeguarding of our environment by business not only an important issue in today's society ,but also a challenge for the different enterprises to turn environmental concerns into new business opportunities .In this respect ,Risks Environmental Management is key element in achieving developing countries .Better access to good quality information and Environmental data is prerequisite for improved Risks Environmental Management .

This research aims to describe how information technology can be used in Risks Environmental Management ?

Through the answers based on the questions that research in Environmental activities produces high quality data and information .It focuses on how to improve the distribution and retrieval of such information ,but the environmental practice ,availability varies and unclear environmental policies for acc

The research has consists of two sides ,one is theoretical we collected it information form the new books resources .The second side ,is practical and the information about it is collected form the general company of vegetable oils industry .

The finding led to a number of recommendations same of them were :-

- The managerial leadership will have to be increasingly aware of the implications of environmental legislation on their business ,they will have to decide on product and process changes to comply with new regulation ,introduce environmental audits and impact assessment .
- A reach engine and database with all the relevant environmental information from the company ,and this activity must be do by the environmental risks management .

المقدمة

تعد حماية البيئة والمحافظة عليها من المخاطر البيئية من قبل المنظمات الصناعية ليس أمراً مهماً في مجتمع اليوم فحسب، بل تمثل تحدياً أمام مختلف المنظمات في أماكن تحويل الاعتبارات البيئية والالتزام بها الى فرص جديدة للمنافسة، وفي هذا الصدد عدت ادارة المخاطر البيئية عنصراً أساسياً في تحقيق النمو والتطور للمنظمات. واصبح يتعين على المدراء ان يكونوا مدركين او اكثر وعياً لما تنطوي عليه التشريعات والمحددات البيئية من اثر على الاعمال والمشاريع، وما تفرضه من اجراءات يجب اتخاذها تشمل التغيير في الانتاج والعمليات التصنيعية تمكنهم من المواكبة او الامتثال للنظم والتوجيهات البيئية الجديدة، فضلاً عن ضرورة استحداث فحوص بيئية قادرة على استيفاء المتطلبات البيئية في معظم الانشطة المسببة لمخاطر التلوث والمبادرة السريعة للتعرف والبحث عن المنافع البيئية ومواجهة التهديدات .

ان الاهتمام بادارة المخاطر البيئية جاء من حقول معرفية مختلفة ومتعددة وتجلى هذا الاهتمام في اعداد السياسات البيئية التي تتسق مع الاستراتيجيات الانمائية .وفي ضوء المبادرات العالمية التي أولت أهمية خاصة للظروف البيئية المحلية ، أعدت الإعداد الجيد لنوعية المعلومات والبيانات البيئية من متطلبات تحسين ادارة المخاطر البيئية .ومن هنا فان تكنولوجيا المعلومات اداة قوية لحفظ واسترجاع وتحليل وتقييم وتوزيع المعلومات البيئية ،وقد اسهمت التطورات التقنية السريعة للمعلومات والاتصالات في تسهيل الحصول على المعلومات بغض النظر عن مكان وجودها وزمانها .فضلاً عن تعزيز اثر المعلومات البيئية في القيام بالانشطة البيئية التي تشمل التخطيط، والتنظيم، والرقابة، والمراجعة، والتعليم، والتدريب، والوعي، والاتصالات، والتقييم للمخاطر البيئية .

ان تزايد التوغل في المعلومات البيئية واستخدامها يؤدي الى معرفة جيدة وتشخيص دقيق للمخاطر البيئية، وأن ذلك سوف يؤدي الى صنع قرارات معلوماتية جيدة ستعزز تلك النتائج، وفي الوقت نفسه قد تظهر مخاطر نتيجة إهمال توافر او إتاحة المعلومات مؤدية الى مشكلات صعبة وتتطلب صرف وقت وجهد كبيرين لتحقيق (الموثوقية) للمعلومات الموجودة في وسائل الخزن المتعددة .ويجب على العاملين في مجال ادارة المخاطر البيئية ان يمتلكوا وسائل /ادوات تمكنهم من إتاحة المعلومات البيئية ذات مستوى عالٍ من الجودة وبسر وتوزيع كميات كبيرة منها بتكاليف اقل .

وازاء التحديات التي ابرزتها ادارة المخاطر البيئية وتكنولوجيا المعلومات يتبادر السؤال الاتي:
«كيف اذن يكون رد فعل المنظمات الصناعية العراقية اتجاهها؟»

في حين تولي الدول الصناعية هذين المتغيرين (ادارة المخاطر البيئية، وتكنولوجيا المعلومات) بعض الاهتمام في برامجها .الا اننا لا نعلم الا القليل عن مبادرات المنظمات في الدول النامية

ومنها العراق في هذا المجال، فما زال هناك ضعف في بلورة صورة واضحة عن الحاجة الى ادارة للمخاطر البيئية في الأعمال، وضرورة تطوير البرامج البيئية، ونوع الإسناد الذي تحتاجه المنظمات من أجل تبني إمكان تأهيل ادارة مخاطر بيئية كنفوة، وتتمية قدراتها من اجل النهوض بمهامها وبال جودة المطلوبة التي تسجم مع نظم الجودة الشاملة للبيئة .

في ضوء ما تقدم يتصدى البحث الحالي لمشكلة جوهرية تتمثل في «كيف تحرز المنظمة الصناعية تقدماً وتحافظ وتحُدُّ من مخاطرها على البيئة في الوقت نفسه؟» وفي هذا السياق أثارت الباحثة تساؤلات عديدة تتطلب الاجابة عنها .ومن هنا تنطلق اهمية البحث في تكوين رؤيه موضوعية واضحة عن إدارة المخاطر البيئية وتدعيمها وتطويرها من خلال توظيف أدوات تكنولوجيا المعلومات فيها، ومن ثم التعرف على ما جاءت به منظمتا عن هذين المتغيرين، ومعرفة مدى التوافق بين الواقع النظري والتطبيقي. ومن هنا فإنَّ البحث يهدف إلى تحقيق مجموعة من الاهداف منها تقديم عرض تعريفي وتقييمي لمفهوم ادارة المخاطر البيئية وتكنولوجيا المعلومات، وبلورت اهم الدلالات النظرية والتطبيقية لهذين المتغيرين التي يمكن إعدادها للإسهام في دفع الادارة الصناعية المحلية في إدخال الاعتبارات البيئية ضمن كافة الانشطة التنظيمية، وذلك عن طريق مراجعة الأدب الإداري من اجل تقديم الافكار والآراء النظرية من جهة، ثم الوقوف على الواقع البيئي والمعلوماتي في الإطار التطبيقي العراقي من جهة أخرى ووقع الاختيار على مصنع الرشيد أحد مصانع الشركة العامة لصناعة الزيوت النباتية مجالاً للبحث لما تتمتع به هذه الصناعة من اهمية للمستهلكين او للاقتصاد المحلي على حدٍ سواء.

ولغرض تقديم الأفكار والطروحات تم بناء هيكلية البحث على اساس المحاور التالية: اختص المحور الاول، بتقديم منهجية البحث، أما المحور الثاني فاخذ على عاتقه تقديم التاثير النظري للبحث، ثم المحور الثالث الذي تناول تحليل وتقييم متغيري البحث، واخيراً اختتم البحث بالمحور الرابع الذي ضم الاستنتاجات والتوصيات.

المحور الاول: منهجية البحث

مشكلة البحث

تشكلت مشكلة البحث الأساسية وفقاً لمقتضيات الحاجة إلى بلورة مفهوم إدارة المخاطر البيئية وآليات تطبيق تكنولوجيا المعلومات في تنفيذها، ومحاولة الإجابة على السؤال الرئيسي التالي الموجه لمدير منظمة اعمال: «كيف تحرز المنظمة تقدماً وتحافظ وتحُدُّ من مخاطرها على البيئة في الوقت نفسه؟» ويتفرع من هذا السؤال مجموعة أسئلة أخرى فرعية هي:

- ما مدى توافر العناصر الاساسية لنظام ادارة فعال للحد من المخاطر البيئية بما لا يتناقض مع السياسات الإدارية للمنظمة ؟

- هل تمتلك منظمتنا أنموذج عمل إداري بيئي يعمل على تعزيز ثقة المنتجين بالحاجة الى توافر الخبرات في هذا المجال؟
- ما مدى الالتزام بالمتطلبات البيئية لدى المنظمة الصناعية المبحوثة؟
- كيف يمكن لتكنولوجيا المعلومات ان تقدم خيارات أوسع نطاقاً من اجل تحقيق ادارة مخاطر بيئية كفاءة؟
- ما طبيعة التأثيرات المحتملة لاستخدام تكنولوجيا المعلومات الحديثة في ادارة المخاطر البيئية في المنظمة المبحوثة؟

اهداف البحث

يهدف هذا البحث الى بناء إطار شامل حول الوضع الحالي لادارة المخاطر البيئية في مصنع الرشيد وسيكون هذا الإطار نقطة الاطلاق نحو بحث امكان توظيف ادوات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في ادارة المخاطر البيئية. وفي ضوء مشكلة البحث تم تحديد الاهداف التالية التي يسعى البحث الى تحقيقها :

- ١- تقديم عرض تعريفي وتقييمي لمفهوم ادارة المخاطر البيئية في الواقع النظري وبيئة المنظمات الصناعية العراقية.
- ٢- تحديد نقاط الضعف التي تعاني منها ادارة المخاطر البيئية في المصنع المبحوث والمشكلات التي تواجهه على الصعيد المحلي.
- ٣- معرفة الخيارات التي تقدمها تكنولوجيا المعلومات وسياسة تطوير هذه الخيارات في مواجهة المخاطر البيئية.
- ٤- بلورة اهم الدلالات النظرية والتطبيقية لمتغيري البحث التي يمكن اعدادها للاسهام في دفع الإدارة الصناعية المحلية في ادخال الاعتبارات البيئية ضمن وظائف الانتاج في الانشطة كافة.

اهمية البحث

تتسابق المجتمعات في وضع خطط تنموية تهدف الى النهوض بالبنية الاقتصادية والاجتماعية. إلا أن النمو السريع وغير المتوازن غالباً ما يؤدي الى مخاطر بيئية تاركة آثاراً سلبية على المجتمع نتيجة الزيادة المتنامية لاستنزاف الموارد، وانواع التلوث في خضم الاستمرار في اقامة المشاريع التنموية وتأثير ذلك على صحة ونوعية الحياة. وفي ضوء ذلك حظي مفهوم ادارة المخاطر البيئية باهتمام المختصين والدارسين في مختلف المجالات وأخذت تظهر منظمات عالمية تأخذ على عاتقها وضع استراتيجيات تشمل نشر الوعي البيئي للإقلال من المخاطر البيئية من خلال برامج ومشاريع وخطط.

ان إدارة المخاطر البيئية تقترح أنه يكون من المناسب إعادة تنظيم المنظمات بحيث تعكس الاولويات البيئية، وهذا من شأنه أن يمنح الجهة المسؤولة عن البيئة في الجهاز الاداري والتنظيمي للدولة عامة وفي المنظمة خاصة مزيداً من السلطة لإعادة توجيه السياسات التي تؤدي الى التعارض او التدهور البيئي فضلاً عن توظيف التقنيات الحديثة للمعلومات.

مجتمع البحث

اختير مصنع الرشيد أكبر مصانع الشركة العامة لصناعة الزيوت النباتية في بغداد واقدمها وهو أول مصنع والوحيد في القطر يقوم بانتاج الزيوت السائلة مجالاً للبحث. ومن مبررات هذا الاختيار هو سعي المصنع نحو ايجاد الفرص التي تؤهله لاعتماد ادارة للمخاطر البيئية. كذلك يستأثر قطاع الصناعات الغذائية عموماً وصناعة الزيوت النباتية خصوصاً بعناية متزايدة في العقود الاخيرة لاسباب متعددة من ابرزها ارتفاع مستويات المعيشة وازدياد تعداد السكان والطلب المصاحب لذلك على الزيوت النباتية، فضلاً عن نشوء استخدامات جديدة للزيوت النباتية منذ المرحلة الاولى لتصنيعه ولغاية المرحلة الاخيرة. وقد شهدت هذه الصناعة تطوراً تكنولوجياً ملموساً ونجم قسط كبير منه على فهم أعمق للمخاطر البيئية المصاحبة للعمليات الإنتاجية التي تمر بها مكونات هذه الصناعة ابتداءً من مصادر المواد الاولية ومروراً بالمراحل المختلفة التي تسبق الاستهلاك. بدأت شركة استخراج الزيوت النباتية -مصنع الرشيد حالياً- عام (١٩٤٠) وينتج الزيوت بنوعها الصلبة والسائلة، والصوابين بنوعها التواليت والغسيل، والمنظفات، مع انتاج العبوات والفوارغ الخاصة بها.

طرائق جمع البيانات

تمت دراسة متغيري البحث (ادارة المخاطر البيئية وتكنولوجيا المعلومات) من خلال اعتماد طرائق متعددة سعت الباحثة من خلالها الى بناء البنى التحتية لهما وتم اعتماد الطرائق الاتية :

- الجانب النظري : فقد تم بناؤه عن طريق جمع البيانات والمعلومات المنشورة في المؤلفات والابحاث العربية والاجنبية .
- الجانب التطبيقي : المعروف ان لطبيعة موضوع البحث اثراً كبيراً ومؤثراً في اختيار طريقة دراسته في الواقع التطبيقي ،وعليه فان ما تم طرحه في الجانب النظري ليكون الركيزة الاساسية المعتمدة في دراسة الحالة لمصنع الرشيد وقد تم استخدام ادوات متعددة منها المقابلة ،والملاحظة المتعمقة ،والمعايشة الميدانية ،والتقارير البيئية ،وتقارير وسجلات السلامة الصناعية.

المحور الثاني: ادارة المخاطر البيئية وتكنولوجيا المعلومات

تأطير نظري

اولاً : المخاطر البيئية

١.١. الاطار العام للخطر

تمتد التفاعلات بين النشاط الصناعي والبيئة الطبيعية والاجتماعية عبر طيف فسيح من المراحل يبدأ عند استخراج الخامات والمواد الاولية المستخدمة في الصناعة ثم معالجتها بالشكل الملائم لتكون مدخلات للعملية الصناعية ثم عمليات التصنيع نفسها بكل تنوعاتها واشكالها ومعداتها لانتاج سلعة او توفير خدمة ثم استخدام السلع والخدمات وحتى لفظها كمخلفات بعد انقضاء دورة حياتها. وفي كل واحدة من هذه السلسلة من الانشطة يلفظ كل منها الى البيئة المحيطة كميات متفاوتة في الحجم والنوع والصفات والآثار من الغازات والسوائل والمواد الصلبة الخطرة^(١).

يعد الخطر من الظواهر المعقدة والمحيرة، لذا يصعب اعتماد مفهوم محدد وموحد متفق عليه من قبل الباحثين لتفسيره والوقوف على ابعاده مما حدا بالباحثين الى تبني عدد من التوجهات الفكرية عبر دراساتهم لهذه الظاهرة. فهناك من يحصر الخطر بانه «عدم التأكد الموضوعي الذي يحدث عندما يكون هناك حدث غير مرغوب فيه»^(٢). بمعنى آخر هو عدم التأكد الذي يسبب خسارة. وهناك دراسات اتخذت من نتائج الحدث مجالاً لوصف مفهوم الخطر والاهتمام به. فقد وصف الخطر بانه «الاختلاف او التباين في النتائج الممكنة في الطبيعة او في موقف معين»^(٣).

ان المخاطر كان منظوراً اليها على انها من قبيل ما يحتمل وقوعه بصورة منتظرة او غير منتظرة. لذلك كان التحوط لها قابلاً للتخطيط ان صح التعبير اذ هي موضوع حماية مطلوبة. لقد تم رصد مخاطر قطاعات كثيرة من الحياة الاجتماعية من زوايا مختلفة: اجتماعية وثقافية واقتصادية.. الخ لكن ابرز المخاطر التي تم تحليلها بعمق كانت المخاطر البيئية المتأتية من التحولات التكنولوجية. فالمجتمعات الغربية بعد ان بنت حداثتها وصاغت المفاهيم والقيم المرتبطة بها ومنها التقدم اصبحت تعيش مخاطر البيئة الناتجة عنها وانها لمفارقة ان التقدم الذي يواجهه المخاطر يقوم بانتاج مخاطر اخرى^(٤).

١- نيكل، كريسين، «الخطر البشري»، مجلة العالم والبيئة، ع الثالث، مج ٧، ١٩٩٦، ص ٩-١١
٢- حسن، عائدة عبدالحسين، «علاقة ادراك الخطر بالمتغيرات التنظيمية واثرها في اداء المنظمة: دراسة ميدانية في عينه من الشركات النفطية العراقية»، اطروحة دكتوراه في ادارة الاعمال، كلية الادارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦، ص ١٦.
3- Dolan, Alf M., "Risk Management and medical device", ISO Bulletin, July, 2002, P:54.
4- Paul Makin, "Applying the principles of risk management to the supply and use of machines", ISO. Bulletin, January, 2001, P:66.

٢.١ مفهوم ادارة المخاطر البيئية ومهامها

بالرغم من ان ادارة المخاطر البيئية بمفهومها الحديث من الموضوعات الحديثة نسبياً بين موضوعات وفروع الادارة الا ان ادراك المخاطر وماتمته من قيد على النمو الاقتصادي وتأمين مواجهتها وتغطية خسائرها ليست مسألة حديثة وانما هو ادراك قديم قدم علم الادارة نفسه^(١). شهدت ادارة المخاطر تطوراً مفهوماً مهماً، حصل منذ دراسات (هنري فايول) عام ١٩١٦ عن دور الادارة الآمنه واهدافها في حماية ممتلكات المنظمة البشرية والمادية من الحوادث التي تهدد تقدم المنظمة ومصير اعمالها. وهذا المنظور اعاد البحث فيه الباحث نفسه ليعيد ادارة المخاطر جزءاً من الوظائف الاساسية في المنظمة والموازية للوظائف الادارية والفنية والتجارية فيها وتمثل هذه المساهمات بداية الاهتمام بهذا النشاط الذي يهدف الى تفهم طبيعة المخاطر التي تتعرض لها المنظمات لكي تحدد ما يجب عمله ازاءها واتخاذ التدابير لمواجهتها وتخفيف حدتها واثارها^(٢).

وخلال العقد الاخير من القرن العشرين طرأ توسع تدريجي على موضوع هو جزء من ادارة المخاطر عامة الا وهو ادارة المخاطر البيئية الذي كان محدوداً بنواتجه حيث اتخذ هيئة استراتيجية عن «كيفية تسجيل ومعالجة المخاطر الملوثة للبيئة» بمعنى اخر، ان ادارة المخاطر البيئية تعنى بوضع الخطط والسياسات البيئية من اجل رصد وتقييم المخاطر البيئية للمشروع الصناعي على ان تتضمن جميع المراحل الانتاجية بدءاً من الحصول على المواد الاولية وصولاً الى المنتج النهائي والجوانب البيئية المتعلقة به^(٣). وتعرف ادارة المخاطر البيئية بنفس الاتجاه على انها «العملية المسؤولة عن تسجيل ومعالجة المخاطر الملوثة، وتستند على عدة عوامل منها القانونية والسياسية والاقتصادية والاخلاقية»^(٤). اما اهم المهام التي تنهض بها ادارة المخاطر البيئية فيمكن حصرها بالاتي^(٥):

١- تحليل المخاطر: هذا النوع من التحليل يتضمن استخدام بعض التقنيات الفنية والادارية التي تسهم في تشخيص العوامل المساهمة في حدوث المخاطر. فعلى سبيل المثال المعلومات الفنية لها دور كبير وضرورة ملحة في تحليل المخاطر الهندسية والفنية التي قد تصيب البيئة بالضرر وخصوصاً في المنظمات الكبيرة لتعدد العمليات الانتاجية والمنتجات والخطط

1- Fischhoff, Baruch, «Ranking risks», www.pic.edu/risk/vol.7/Summer/ Fischhoff htm-k, P:13.

٢- الخولي، اسامه، «البيئة وقضايا التنمية والتصنيع»، الكويت، مطابع السياسة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٧.

3- Simon, Mark, Houghton, Susan M. & Aquina, Karl, «Cognitive bases risk perception and venture formation. How individual decide to start formation companies», www.robinson.gsu.edu/rec/papers/paper 4-doc, 2002, P:4.

4- Jemison, David B., «Risk and relationship among Strategy Organizational process and performance», Management Science, N.33, Vol.9, 1998, P:213.

٥- سالم، عبد الرحمن، «ماذا تعرف عن المخاطر البيئية؟»، مجلة البيئة والمجتمع، ٦١، ٢٠٠٠، ص ٢١.

الانتاجية وحتى مواقع العمل مما يجعل خسائر خطر معين غير منظورة .

٢- خيارات السيطرة على المخاطر: تتضمن تحديد طرق السيطرة على المخاطر ويتم ذلك من خلال اعتماد مؤشرات تساهم في الاستعداد والتهيئة لمواجهة المخاطر ،اذ تقدم خيارات السيطرة طرقاً قانونية لتخفيض وتحليل وتقويم المخاطر .وفي ضوء نتائج التحليل يتم تخصيص الكلف المباشرة وغير المباشرة والموارد المطلوبة أي اعتماد ميزانية للمخاطر ضمن ميزانية المنظمة العامة .وفي منظمات اخرى اقل مستوى بالاهتمام بذلك الامر تقوم باعتماد مجموعة من الاجراءات للسيطرة والمتابعة وهذه تعطي اطار عقلائي يتم بواسطته وصف المخاطر على اساس معرفي فيكون تحليل المخاطر عملية موجهة علمياً تتكامل مع الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية لوضع سياسات قرار المواجهة والتنفيذ.

٣- قرار التنظيم: وهي مهمة التنفيذ فتعمل المنظمة من خلال أنشطة ادارة المخاطر على التأثير في تدنية فرصة حدوث الخسائر او تخفيض شدتها .ولا بد من الاشارة الى ان ادارة المخاطر عموماً تبحث في جميع المواقف التي تتضمن حدوث الخسائر فيها ولا تقف عند المخاطر البيئية. كما ان الترابط بين هذه المهام يشكل اطاراً شاملاً ومتكاملاً لمعالجة المخاطر البيئية في عموم المنظمة^(١).

٢.٢ .اهمية ادارة المخاطر البيئية

نعرف حق المعرفة ان التحديات البيئية التي يعيشها عالمنا الحديث تتجاوز بكثير مسألة بقاء نوع من الانواع في الطبيعة دون تأثر ،فالأضرار الناجمة عن التصحر ،والتلوث على انواعه ،وتغير المناخ العالمي ،وعدم الاستقرار الاجتماعي ،والحروب تؤثر كثيراً في نوعية حياة الناس .اننا نواجه تحديات هائلة ويتطلب الامر في سياق هذه المواجهة ان يتم التعامل مع الاعتبارات البيئية بالاحترام الذي تستحقه ومع وجود تكنولوجيا المعلومات اصبحت الظروف مؤاتية للنجاح في تنفيذ سياسات متكاملة لادارة البيئة ،لهذا يجب ان نعمم الوعي العميق للبيئة ويجب ان يصبح انهماك المجتمعات المحلية الفاعل في ادارة بيئتها شاملاً يومياً^(٢).

ان المهم أن نشير إلى ضرورة الاهتمام بالشق الوقائي الذي يغيب عن تفكير الادارة وفي استراتيجيات المنظمات الحالية وفق ما اتفقت عليه نتائج دراسات سابقة عديدة .إن الاستراتيجيات في معظمها بوضعها الراهن تقتصر إلى المضامين البيئية ،كما أنها تركز على الحقائق العلمية المجردة دون ربطها بالواقع المحلي ومخاطره البيئية .ومن هنا نؤكد على أن الاهتمام بالشق الوقائي قد يكون السبيل لتلافي العديد من المخاطر والأمراض^(٣) . ومع التسليم

1- Rosenbloom, Jerry S., "A case study in Risk Management", prentice-Hill, INC, 1997, P:148.

٢- «المعايير البيئية والقدرة التنافسية للقطاعات الاقتصادية الرئيسية»، الامم المتحدة ،نيويورك ،٢٠٠٥ ، ص٩.

3- Starr ,Channcey, «Social Benefit versus Technological risk», Mc Graw-Hill, 1996, P:165 .

بأن الوعي بالمخاطر البيئية مسؤولية مشتركة بين المنظمة والمؤسسات الأخرى في المجتمع، وباعتبار أن تسمية ذلك الوعي للأفراد والجماعات يمثل خطوة محورية لازمة للحصول على معلومات أكثر عمقاً عن المشكلات البيئية وما تسببه من مخاطر وأضرار؛ فإن خطط المنظمات تتعاظم مسؤوليتها في القيام بدور أكثر فعالية في تحقيق ذلك الوعي من منطلق ارتباط ادارة المخاطر بكثير من القضايا البيئية وما حظيت به مؤخراً تلك القضايا من اهتمام واسع. كل هذا يفرض على المنظمات أن تركز اهتمام العاملين على تلك القضايا التي أصبحت شديدة التأثير على حياة الإنسان والإخلال باتزان البيئة وتهديد مكوناتها وعناصرها^(١).

٣.١. أنواع المخاطر البيئية

لعل النشاط الصناعي هو أكثر الأنشطة البشرية حساسية في آثاره على البيئة الطبيعية والاجتماعية. وهناك قيود ثلاثة رئيسية تفرضها البيئة على أي نشاط انساني يقتضي الامر تاييدها وهي: ^(٢)

(١) حسن استغلال الموارد غير المتجددة لتحقيق أكبر فائدة ممكنة من استهلاك رصيد البشرية منها (الاقتصاد وترشيد الاستهلاك من المواد والطاقة).

(٢) عدم تجاوز قدرة الموارد المتجددة على تجديد نفسها حتى لا تفتنى .

(٣) عدم تجاوز قدرة البيئة على هضم ما نلفظه اليها من النفايات بانواعها (التلوث الشديد للهواء والماء والتربة) .

توجد المخاطر البيئية على شكلين، الاول المخاطر البيئية الطبيعية القصيرة المدى كالعاصرات والزلازل والفيضانات. والشكل الثاني هي المخاطر البيئية الكبرى مثل الحوادث الصناعية وحرق ابار النفط كما تشمل المخاطر غير المقصودة لنشاطات بشرية مثل بناء السدود^(٣). وهناك تصنيف وضعته (EPA) الامريكية في تحليل المخاطر على اساس نوعيين اساسيين: الاول يركز على مخاطر الصحة البشرية، والنوع الثاني يركز على المخاطر البيئية (الطبيعية) وتخص النباتات والحيوانات والنظم البيئية^(٤).

ففيما يخص المخاطر البيئية يمكن شرحها من خلال الشكل (١) بصورة مبسطة تبدأ بالخطوة الاولى وهي صياغة المشكلة ويتم تحديدها من جهات عدة منه اصحاب الاهتمام والمصالح والعلماء والمهتمين وجميعهم ينطلقوا من نقطة وهي تحديد المسبب الرئيسي للضرر او التلف

1- Dickson ,G.C. ,«Corporate Risk Management»,Wetherby &sons Co.,Ltd.,London ,1998 ,P:88

2- Steiner, George A. & Steiner, John F., «Business Government and Society A managerial perspective», McGraw-Hill Com.INC.,2003,P:52.

٣- العامري، عباس علي ظاهر، «قياس اتجاهات الخطر للمديرين العراقيين: دراسة ميدانية في القطاع الصناعي العراقي»، رسالة ماجستير في ادارة الاعمال، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد، ١٩٩٢، ص٥٥.

٤- عزيز، فؤاد عبدالله، «نظرية الخطر: ادارة الخطر والتامين»، مجلة التامين العربي، ع٣٦، ١٩٩٩، ص٤٠.

الذي يصيب النظام البيئي والذي اغلب الاحيان يحصل بسبب النشاطات البشرية الملوثة. ثم تاتي الخطوة الثانية وهي التحليل التي تركز على دراسة كل الضغوط التي تدخل على البيئة، وكيف يمكن تشتيتها، ونقلها لجعلها بصيغة قادرة على التعامل معها وفق الاساليب البيولوجية. وبعد دراسة كيفية توظيف الافكار التي يقدمها العلماء وتجريبها لتحديد الضرر او الخطر البيئي تاتي الخطوة التي تاخذ على عاتقها تشخيص اهم الخصائص لكل نوع من انواع المخاطر التي تم تسجيلها وتحليلها، واخيراً تاتي الخطوة التي يتم فيها بلورة مهمة ادارة المخاطر البيئية حيث تعمل على توصيف لكل المخاطر المسجلة، ومناقشة كل الخيارات المقابلة لمعالجتها، وتفسير درجة الثقة بتقديرات المخاطر المحتملة والبعيدة. هذه الصورة هي الاساس للقرارات التي تضعها الجهات التي تعتمد ادارة لمخاطرها البيئية^(١).



شكل (١) : تحليل المخاطر البيئية

Source :Steiner & Steiner,2000,P:532

ثانياً : تكنولوجيا المعلومات

١.٢ مفهوم تكنولوجيا المعلومات

ان المعلومات هي السبيل لزيادة الوعي بطائفة الخيارات المتاحة، فضلاً عن انها تجعل الفرد يمتلك القدرة على ان يقرُّ ما يكون افضل الخيارات، ولكون المعلومات تمثل عصباً هاماً في المجتمعات الحديثة فتقنياتها غيرت طبيعة النشاط الاقتصادي، ووتيرته وانها اوجدت منتجات واسواقاً ومؤسسات وقيماً جديدة، علماً انه لمدّة وجيزة كان تداول المعلومات ومعالجتها حكراً على العقل البشري لان ذلك يتطلب جهداً ذهنياً لتصنيفها وتنسيقها والانتقاء منها ثم نقلها الى الجهة المستفيدة^(٢). ومما لاشك فيه ان للابداع التقني دوراً مهماً للتقدم البشري فمن خلال التطورات ابتكر الانسان أدوات لتحسين مختلف مجالات الحياة، وقد حدث داخل في تحولات اليوم لتكنولوجيا المعلومات مع تحول اخر للاتصالات ومعاً يخلقان انموذجاً جديداً هو عصر

1- Bannister, Jim, «Practical Guides :How to Manage Risk», London ,1999, P: 68 .

٢- عبد الهادي، محمد فتحي، «المعلومات وتكنولوجيا المعلومات على قرن جديد»، القاهرة، مكتبة الدار العربي للكتاب، ٢٠٠٠، ص١٢٠.

وقد ادى التقدم التقني المذهل في تكنولوجيا المعلومات الى طلب متنام على ضرورة تأطيرها من قبل الباحثين والدراسين وهو ما حولها الى مجال خصب للدراسة والتحليل وعليه هناك تعريفات متعددة لتكنولوجيا المعلومات لكن الجوهر واحد. فقد عرفت بانها «الحصول على المعلومات الصوتية والمصورة والرقمية والتي هي بشكل نص مدون وتجهيزها او اختزانها او بثها وذلك باستخدام توليفة من المعدات الالكترونية»^(٢). وعرفت ايضاً بانها «تضم كل التقنيات المتطورة التي تستخدم في تحويل البيانات بمختلف اشكالها الى معلومات تستخدم من قبل المستفيد منها في كافة مجالات الحياة»^(٣).

من خلال التعريفات لتكنولوجيا المعلومات اعلاه تضع الباحثة مفهوماً تراه شاملاً لتكنولوجيا المعلومات وهو انها المصطلح المعبر عن امتزاج نتائج وخلصات ثلاث ثورات وهي: ثورة المعلومات، وثورة وسائل الاتصال وثورة الحواسيب الالكترونية وجوهر ذلك الامتزاج هو تخزين المعلومات بشكل منظم ومنسق يسهل عملية استرجاعها بوساطة اي مستخدم وتوصيلها للمهتمين ومتخذي القرارات في اسرع وقت وبأقل جهد .

مع دخول المنظمات مرحلة عمل جديدة تجسد الرؤيه المستقبلية ومع تزامن ذلك لمتغيرات وتحديات يواجهها العمل الاداري بشكل عام فقد ادركت الادارات العليا للمنظمات بان التنظيم المعمول به خلال السنوات الماضية وبالرغم من صياغته سجلاً ناجحاً في تاريخها في تلك المرحلة الزمنية فقد اصبح الان ويفضل تكنولوجيا المعلومات التي اوجدت مجالات جديدة غير قادر بسماته وخصائصه على مواجهة التحديات المرتقبة وان كان ذلك التنظيم ومنذ البداية قد اعتمد التخطيط الاستراتيجي الدائم^(٤).

٢.٢. فوائد تكنولوجيا المعلومات

ان العوامل البيئية والتنظيمية والتقنية يمكن ان تتغير بسرعة وفي بعض الاحيان بطريقة غير متوقعة. وهكذا فان المنظمات بحاجة الى الاستجابة وبشكل متكرر وسريع على المشكلات الناشئة، والفرصة الناتجة عن البيئات الجديدة لمجالات العمل. وفي معظم الحالات يمكن ان

1- united Nation,«The Application of Advanced Information and Communications Technologies in the Transport Sector in the ESCWA Region»,Economic and Social Commission for Western sia, Newyork, 2001,P:6.

2- Laudon,Kenneth C.&Laudon, Jan P.,«Essentials of Management Information Systems :Organization and Technology in the networked nterprise»,U.S.A.,prentice Hall International,INC,2001,P:34.

٣- «استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتمكين المرأة في دول الاسكوا»، الامم المتحدة، نيويورك، ٢٠٠٥، ص١٣.

4- Lupton,Robert A.&Court, Birgit, «Strategic Environmental Marketing Management. Managing the Unmanageable:The role of Information Technology», Newmexico State University, 2002, P:82.

تكون ادارة المعلومات تكنولوجياً هي الحل وقلب هذه التكنولوجيا هو مستوى المعلومات^(١).

يتيح مفهوم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التفاوض بين القوى الفاعلة حول المبدأ القائل: إنه مهما بدا القرار فردياً فهو قبل كل شيء احد اثار الشبكة الاجتماعية والتصورات التي تكونها القوى الفاعلة تتشكل انطلاقاً من تفاعل المعلومات المتداولة في الشبكات. ويمكن ان نجمل الفوائد المتحققة من توظيف تكنولوجيا المعلومات في انجاز الاعمال بالاتي:^(٢)

١. تسريع تطوير آليات فعالة للنمو الاقتصادي: فتشجيع التنمية المستدامة يتم من خلال تحولات اليوم لتكنولوجيا المعلومات في دول العالم. ولادوات تكنولوجيا المعلومات استخدامات مهمة تتراوح بين تحسين نوعية الحياة، وزيادات ضخمة في الانتاجية الاقتصادية، وخفض في نفقات التبادلات والمعاملات التجارية.

٢. تحسين اتخاذ القرارات: فغالبا ما تحسن تكنولوجيا المعلومات عمليات الأعمال وتخلق مناخاً يلبي طموحات كافة الاطراف وتجسد علاقات عمل اكثر ديناميكية وطويلة المدى مبنية على المصلحة المشتركة وتراعي متطلبات الألفية الثالثة التي تشهد صناعه المعلومات خلالها المزيد من المنافسة.

٣. ادارة المخاطر: حيث تعمل تكنولوجيا المعلومات على تمكين المنظمة من ادارة العديد من المخاطر المحتملة، وخفض احتمالاتها من خلال البحث العلمي والتنظيم والقدرات التنظيمية، فحينما تكون هذه القدرات مبنية على اساس معلوماتي قوي تتمكن الدول الى حد بعيد من ضمان ان تصبح تكنولوجيا المعلومات قوة ايجابية من اجل التنمية.

٤. ادارة المستقبلات: يشغل موضوع المستقبلات حيزاً كبيراً من الجهد الفكري والانساني في عالمنا المعاصر وتتنافس الدول والمجتمعات فيما بينها من اجل ابتكار الآليات والتكنولوجيا للمعلومات التي تتيح لها افتراض الصيغ المستقبلية الاكثر قرباً من الواقع والذي سيمكنها من ايجاد موطىء قدم لها في عالم الغد وستكون هناك حاجة ماسة لاسناد دور رئيسي لتراكم المعرفة والابتكار التكنولوجي خلافاً للدور الثانوي الذي كانا يقومان به في ظروف السوق المعزولة.

٥. السيطرة على المعلومات: تحسن تكنولوجيا المعلومات الطريقة التي يمكن البحث فيها عن البيانات، وجمعها، واختيارها، وتصنيفها لزيادة سرعة تعلم المنافسين المحتملين، وقد اصبح باستطاعة تكنولوجيا المعلومات المتقدمة اليوم ان تجعل من الممكن جمع كميات هائلة من المعلومات المستقاة من اماكن شديدة الاختلاف والتباعد.

١- «الشراكة في قياس اثر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من اجل التنمية»، نشرة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للتنمية في غربي اسيا، الامم المتحدة، ٢٤، ٢٠٠٤، ص ٢٧-٢٩.

٢- «نظم معلومات لتحديث عمليات المؤسسات المالية الرفيعة في الدول الاعضاء في اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا»، الامم المتحدة، نيويورك، ٢٠٠٢، ص ١.

ثالثاً: ادارة المخاطر البيئية وتكنولوجيا المعلومات

١.٣ . تكنولوجيا المعلومات في ادارة المخاطر البيئية

تشكل ادارة المخاطر البيئية احدى ابرز القضايا التي تواجه المنظمات في مصيرها ومصير المحيط الطبيعي المائل الى تدهور مستمر نتيجة التقدم الاقتصادي والاجتماعي الذي وضع التوازن الطبيعي في خطر لعدم الاخذ بالحسبان وبالجدية اللازمة النتائج السلبية المرتقبة من التطور غير المنظم .وقد يكون للضغوط التنظيمية والمالية تأثير على ادارة المخاطر البيئية متمثلاً في العمل على رضوخها لمتطلبات الموائمة او الازعان بشكل يعكس سلبياً على دمج الاعتبارات البيئية بفرص الاعمال^(١).

لذلك وانطلاقاً من هذا الواقع الحديث الذي يشغل العالم برمته، يمثل استخدام تكنولوجيا المعلومات املاً مضيئاً للمعنيين بالبيئة فلا جدال ان مثل هذا الاستخدام يتيح انتفاعاً افضل للموارد، واقتصاداً في التكاليف، فضلاً عن سرعة هائلة ودقة كبيرة في انجاز العمل .ويمكن حصر اهم الاضافات التي قدمتها تكنولوجيا المعلومات لادارة المخاطر البيئية: ^(٢)

(١) تستخدم ادوات تكنولوجيا المعلومات في تسهيل وظائف البحث والتطوير من خلال المعالجة الدقيقة والسريعة في مراقبة المعلومات البيئية الضخمة وادارتها بشكل منظم وحيوي مما يسمح لمتخذي القرارات من تقديم قرارات رصينة وفاعلة.

(٢) ان الاستخدام الصحيح لتكنولوجيا المعلومات سيمكن المدراء من ان يصبحوا اكثر قدرة على احتواء المخاطر البيئية والانسجام مع التطورات المستجدة في بيئة العمل وذلك بسبب ان الوقت الذي كان يصرف سابقاً على قضايا معالجة المخاطر اصبح يصرف بفضل تكنولوجيا المعلومات على التحليل والبحث والمقارنة والتنبؤ بالمخاطر.

(٣) ان تكنولوجيا المعلومات والتقدم في الاتصالات العالمية منحت المنظمات المزيد من المرونة لغرض قيامها بصياغة استراتيجياتها لادارة المخاطر البيئية العالمية، فضلاً عن مستوياتها التنظيمية وان احد الاسباب هو ان متطلبات ادارة المخاطر قد اصبحت اكثر ديناميكية وسرعة.

(٤) ان تكنولوجيا المعلومات يمكن ان تدمج او تؤثر على برامج الحماية من المخاطر البيئية من خلال التأثير على عواملها الاساسية وهي التخطيط والتنظيم، وجمع المعلومات، وتقييمها، وتحليلها ثم التنفيذ.

1- Shrivastave, Paul,«Eccentric Management for A risk Society», Academy of Management Review, N.20 ,Vol. 1 ,1995 ,P:18 .

2- Davidson, Ken & Pfennigstorf ,Werner ,«Insuring Environmental Risks», Witherby &sons Co., Ltd., London ,1999 ,P:29 .

٥) تسمح تكنولوجيا المعلومات للإدارة العليا ان تتفاعل مع العاملين وتخلق توجهات مشتركة، وتمكين العاملين أيضاً من ان يشاركوا في ادارة المخاطر البيئية اضافة الى المشاركة في اعداد وتنفيذ البرنامج الخاص بالرصد البيئي والاستفادة من بياناته .

٦) تعد تكنولوجيا المعلومات المسؤولة عن جمع وتبويب وتوثيق المعلومات ونشرها عن المنظمات المستهدفة بالرقابة البيئية وعن المخاطر المسجلة وعن نشاطات البرامج التنفيذية اداة مهمة تتيح ادارة المخاطر البيئية بطريقة فعالة^(١).

٣.٢. الانشطة المعلوماتية في ادارة المخاطر البيئية

العالم يعيش في عصر المعلومات وهذه الحقيقة يلمسها كل فرد يحيا احوال المجتمع الحديث السريع التغيير. ومن يملك المعلومات الصحيحة في الوقت المناسب يستطيع التحكم في موارد الطبيعة والسيطرة عليها والحد من المخاطر البيئية لتحقيق صالحه وصالح مجتمعه. ان ادارة المخاطر البيئية تعتمد اساساً على اربعة أنشطة مترابطة لادارة معلوماتها وهي:^(٢)

١- ادارة المعلومات والمعرفة: وقد كان احد الضغوط الرئيسة على المنظمات هو الكم المفرط للمعلومات، ولغرض التعامل مع هذا الضغط برزت الحاجة الى بناء بنية اساسية مناسبة لتكنولوجيا المعلومات واستخدام مناهج فعالة ل تخزين الكميات الكبيرة من المعلومات والدخول اليها وتوجيهها واستخدامها بشكل مناسب. وان ادارة المعلومات اشتملت على المعرفة ايضاً لكون تكنولوجيا المعلومات هي نظم اتصالات مصممة لتسهيل المشاركة في المعرفة والبحث عنها ومراقبة الاطلاق المستمر للمعلومات والمعرفة وتسعى برامج ادارة المخاطر البيئية الى تطوير القدرة على التقييم البيئي عبر اقامة شبكات معلومات عن المخاطر البيئية ومصادرها والهدف من ذلك هو اكتشاف حاجات المنظمات ومساعدتها لتوسيع قدرات شبكاتها المعلوماتية.

٢- تخزين المعلومات: لتخزين الكميات المتزايدة باستمرار من المعلومات فان المنظمات تقوم بإنشاء مخازن عملاقة للمعلومات منظمة بشكل تمكن المستخدم من الوصول اليها بسهولة وتتم مكالمة هذه المخازن المعلوماتية مع شبكة الانترنت بحيث يمكن الوصول اليها من أي موقع وفي أي وقت .

٣- تجهيز المعلومات: وتشمل عملية الاختيار، والتصنيف، والتفسير المناسب للمعلومات المتوافرة في مخازنها. وخلال اغلب عقود القرن العشرين كانت تتم العملية بالعمل اليدوي او اذا ما تمت الاستعانة بالحاسوب فقد كان ذلك من خلال بعض برامجها البسيطة بينما التقنيات

١- «دور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تحقيق الاهداف الانمائية للالفة الثالثة»، نشرة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للتنمية في غربى اسيا، الامم المتحدة، ع٤، ٢٠٠٥، ص٢٠-٢٢.

2- Doherty, Neil A., «Corporate Risk Management», Mc Graw – Hill Co., 1997, P: 94 .

الحديثة المتعلقة باستخراج وتجهيز المعلومات تمكن حتى الافراد ذوي المعرفة المحدودة بالقيام بهذه العملية بصورة جيدة .

٤- الاتصالات: تعد المفاهيم الاساسية عن الاتصالات نقطة انطلاق ضرورية لتحليل العديد من انواع تطبيقات تكنولوجيا المعلومات .فحينما يكون هناك عدم تلاؤم بين التكنولوجيا واحتياجات الموقف قد تعيق الاتصالات بدلاً من ان تساعد لأنها ادوات مسؤولة عن توصيل المعلومات وتوزيعها .وقد جعل الاستخدام الواسع للانترنت العديد من المنظمات تطبق مفاهيم المشاركة بالمعلومات للبرامجيات الجماعية على نطاق واسع عن طريق خلق نوع من نظم الاتصالات وهي الشبكات الداخلية والشبكات الخارجية^(١)

المحور الثالث: تحليل وتقويم متغيري البحث

الجهة المسؤولة عن ادارة المخاطر البيئية

تأكد من خلال الاطلاع على الهيكل التنظيمي لمصنع الرشيد وجود شعبة مختصة بالبيئة والحوادث والمخاطر تعمل تحت قسم التفتيش الهندسي والسلامة الصناعية (انظر الشكل ٢) . اما مهام ومسؤوليات المدير المسؤول فانها مقتصرة على التحقق من امتثال المصنع للمحددات الواردة في التشريعات واللوائح والقرارات عن انبعاث الملوثات ومعالجة المخلفات ودراسة المخاطر التي تتطلب تدخل القسم ،وبيان المعالجات التي ينبغي اتخاذها . من ناحية اخرى نجد ضعفاً في تأثير هذه الشعبة نحو تبني آليات وامكانيات ادارة المخاطر البيئية، لا بل لا يوجد وعي او ادراك لمفهوم هذه الادارة لا لدى الادارة العليا ولا الدنيا بل الخطورة محصورة عندهم بالحوادث التي قد تحصل في اثناء العمل .

مدير المصنع			
شعبة البيئة	الفحص والتفتيش الهندسي	الطبابة	السلامة الصناعية

شكل (٢) :موقع ادارة المخاطر البيئية

المصدر : الهيكل التنظيمي لمصنع الرشيد

التشريعات البيئية الخاضع لها المصنع

تعد صناعة الزيوت النباتية حسب قانون حماية وتحسين البيئة ذو الرقم(٣) لعام ١٩٩٧ من الصناعات الملوثة (صنف أ) لانها ذات عمليات انتاجية متكاملة تبدأ من المواد الاولية مروراً بالمرحل التحويلية وانتهاءً بالتعبئة والتسويق مما فرض عليها وإنتهاءً محددات موقعية ومتطلبات بيئية الاطار (١) .زيادة على ذلك يخضع المصنع انشطته الى محددات نظام صيانة الانهار من

١- منى، عامر احمد غازي، «سبل حماية وتحسين بيئة المصانع»، ط ثانية، بغداد، مطبعة دار الحرف العربي، ٢٠٠١، ص ٢٥، ٢٢، ٥٦.

التلوث رقم ٢٥ لعام ١٩٦٧ والتعليمات الملحقة به الجدول (١) .

الجدول (١)

المحددات الفيزيائية والكيميائية والبايولوجية المطلوبة للمياه المتخلفة والمصرفة الى المصادر المائية او المجاري العامة (التراكيز المذكورة ادناه محسوبة بالملغم/لتر عدا ما ذكر إزاءها)

ت	المادة	ب - ١ •	ب - ٢ ••
١	اللون		
٢	الحرارة	اقل من ٣٥	٤٥
٣	المواد العالقة	٦٠	٧٥
٤	تركيز أيون الهيدروجين	٩,٥-٦	٩,٥-٦
٥	الاوksجين المذاب		
٦	B.O.D	اقل من ٤٠	١٠٠٠
٧	CO.D.CR	اقل من ١٠٠	
٨	السيانيد	٠,٠٥	٠,٥
٩	الفلور	٥	١٠
١٠	الكلوريدات	٦٠٠	
١١	الفينول	٠,٠٥-٠,٠١	١٠-٥
١٢	الكبريتات	٤٠٠	
١٣	النترات	٥٠	
١٤	الفوسفات	٣	
١٥	الامونيوم		
١٦	الرصاص	٠,١	٠,١
١٧	الهيدروكربونات	١٠-٣	
١٨	الكبريتيد		٣
١٩	ثاني اوكسيد الكبريت		٧
٢٠	الكحول النفطي		غير مسموح به
٢١	كاربيد الكالسيوم		
٢٢	المذيبات العضوية		

• ب-١ : المياه المصرفة الى المصدر المائي

•• ب-٢ : المياه المصرفة الى المجاري العامة

المصدر : التشريعات البيئية، ١٩٩٨، ص: ٢٥-٢٨.

يتابع الامتثال للقوانين والمحددات والمتطلبات البيئية في المصنع لجان تفتيشية تقوم بعملية

التفتيش البيئي فتوجه الاهتمام للمخاطر البيئية التي يحتمل حصولها. ومن خلال الملاحظة اتضح للباحثة ان المصنع لديه جملة من نقاط الضعف منها نقص الوعي البيئي لدى جميع العاملين فيما يتعلق بالمخاطر البيئية للأنشطة الانتاجية التي يقوم بها المصنع عامة، وكذلك ان البنى التحتية للمراقبة والرصد والتفتيش البيئي وتنفيذ الالتزام والمتطلبات البيئية من قبل الجهة المسؤولة عن ادارة المخاطر البيئية هي اما متواضعة او غير كافية أبداً.

الاطار (١) : المحددات الموقعية والمتطلبات البيئية لصناعة الزيوت النباتية وفقاً للتعليمات البيئية للمشاريع الصناعية ١٩٩٠

المحددات الموقعية

- ١- تخصص مواقع هذه المشاريع خارج التصاميم الاساسية بمسافة لا تقل عن (٣) كم .
- ٢- يجب ان يتم تصريف مياه الفضلات الصناعية للمصنع بعد تصفيتها الى المصادر المائية الكبيرة او الى شبكات المجاري العامة او الى محطات الضخ او التصفية بموافقة الجهة المعنية من حيث نوعية وكمية التصريف النهائي .
- ٣- في حالة التصريف الصناعي بعد التصفية الى المصدر المائي يكون هذا التصريف اسفل المدينة بالنسبة الى مجرى التيار مع مراعاة حجم التصريف للمصدر المائي للمصنع .

المتطلبات البيئية

- ١- انشاء محطة معالجة متكاملة وذات كفاية عالية لمعالجة الفضلات السائلة بما يضمن مطابقتها لنظام صيانة الانهار وتحدد تفاصيل المحطة ونوعية المعالجة مع الدراسات الاولية للمشروع.
- ٢- تضاف وحدات معالجة الانبعاثات الغازية والذرات الصلبة الى الهواء بما يضمن ومطابقتها لنوعية الهواء خارج حدود المشروع مباشرة للمواصفات المحلية المعتمدة.
- ٣- معالجة الفضلات الصلبة وشبه الصلبة الناتجة عن العمليات الانتاجية او محطة المعالجة وتمتاز هذه الفضلات بقابليتها على التحلل العضوي وعدم سميتها المباشرة للبيئة وامكان استغلالها كمواد اولية لصناعات اخرى مفيدة ،لذا ينصح بالسعي لاعادة تجهيزها الى مؤسسات صناعية او معامل حرفية اخرى وبالعكس ذلك يتم طمرها في مواقع تخصص رسمياً لهذا الغرض ووفق الطرق الاصولية المتبعة.

٣- انواع المتطلبات البيئية في المصنع

يعد نظام السيطرة والتحكم من المتطلبات البيئية الأساسية والخطوة الاولى الى تعزيز الحماية

من المخاطر البيئية. وفيما يلي مناقشة لأنواع المتطلبات البيئية المستخدمة في مصنع الرشيد.

• **متطلبات معايير نوعية المحيط:** تعد معايير نوعية المحيط اهدافاً لنوعية البيئة المحيطة يمكن من خلالها وضع الحدود القصوى المسموح بوجودها للملوثات الموجودة في الماء والهواء والتربة. ويلزم ان يكون هناك اتفاق واضح على الاهداف المرجوة وتحديد معايير نوعية يقبل بها المجتمع لايجاد بيئة نوعية جيدة. ولدى مصنع الرشيد هذه المعايير ولا سيما ما يتعلق بالمياه وتركيز اقل على التربة والهواء.

• **متطلبات معايير الاداء:** يشجع استعمال هذه المعايير فيما يتصل بمتطلبات المراقبة والترخيص والتنظيم. فهي تحد من كمية او معدل تصريف المياه العادمة والملوثات من قبل المصنع قي مدة معينة. ويعد اخذ العينات والرصد هما الوسيلتين الوحيدتين لمعرفة الالتزام بمعايير الانبعاث والتصريف.

• **متطلبات ابلاغ المعلومات:** ان هذه المتطلبات تعمل على تقديم المعلومات اللازمة لمتابعة الالتزام بالتشريعات واللوائح البيئية وتقديم التقارير عن نتائج المراجعة للسلطات البيئية المعنية. اما طرق الحصول على المعلومات فيوجد لدى المصنع استمارات مصممة ومفروضة من قبل مجلس حماية وتحسين البيئة.

٤- البنى التحتية للمصنع

للموقع المكاني تأثير واضح في تحديد نوع الصناعة المزمع اقامتها ووقوع المصنع في الجزء الجنوبي الشرقي من مدينة بغداد على الضفة اليسرى لنهر دجلة له مبررات لايزال اثر بعضها ماثلاً حتى الوقت الحاضر فيما كانت مبررات اخرى محدودة الاثر على هذا الاختيار، ومن اهم المبررات هي:

أ) الحاجة للطاقة والوقود

وتعد من اهم البنى التحتية لصناعة الزيوت النباتية فالمصنع يحتاج الى طاقة تزيد على (١٠) الاف ميغاواط سنوياً وكميات ضخمة من الوقود لتشغيل الآلات الموجودة في الاقسام الانتاجية تزيد على (١٤) الف طن من النفط الاسود سنوياً وحوالي (٦٠٠٠) طن من زيت الغاز سنوياً. وهذه الحاجة الضخمة للطاقة والوقود جعلت قرار ادارة المصنع ينصب على ان يكون بجوار المصادر الرئيسية للتجهيز بها (مصفى الدوره ومحطة كهرباء جنوب بغداد في الجهة المقابلة لها).

ب) توافر المياه

تستخدم المياه في صناعة الزيوت النباتية لأغراض عدة منها دخولها في عمليات الانتاج وتمثل

نسبة استهلاك المياه فيها ما يقرب من (٢٠٪). وعمليات التبريد وتمثل نسبتها القدر الاعظم من استهلاك المياه حيث تصل الى ما يقارب (٧٥٪) واخيراً تستخدم المياه في تنظيف الاقسام الانتاجية وتمثل نسبة استهلاكها (٥٪) من حجم الاستهلاك .

وتقدر الحاجة للمياه الى اكثر من (٩٠٠) م^٣/ ساعة وهذه الكمية لا يمكن ضمان الحصول عليها الا عند وقوع المصنع على نهر كبير مثل نهر دجلة .وتطرح يومياً ايضاً كميات كبيرة من المياه العادمة كمعدل (٦٦,٥) م^٣/ساعة لا بد من ضمان تصريفها الى النهر ثانية .

ج) الاختيار الموقعي

كانت تعد المنطقة التي اقيم فيها المصنع قبل اكثر من نصف قرن من الزمن من المناطق التي تقع على حافة المنطقة الحضرية لمدينة بغداد وتحيطها اراضي زراعية مزروعة خاصة بالبدور الزيتية وبالتالي فان مخاطره البيئية لم تكن بالحجم المؤثر انذاك ،ولكن التوسعات الكبيرة في كل من النمو العمراني لمدينة بغداد والطاقت الانتاجية للمصنع عملت على استفحال المخاطر البيئية والمتمثلة بالملوثات الغازية (كمية كبيرة من الابخرة والغازات وهي عبارة عن مواد كيميائية ودهنية يتعذر تكثيفها) وملوثات سائلة (المياه العادمة) ومخلفات صلبة (التراب القاصر وورق الترشيح والعب البلاستيكية والمعدنية والكارتونية النافثة).

٥- الوضع التقني لخطوط الانتاج

تصنف خطوط الانتاج الاساسية في مصنع الرشيد الى نمطين هما الانتاج المستمر ويستخدم هذا النمط في حالة ورود وجبات كبيرة من الزيت الخام (تبلغ الوجبة الواحدة من الزيت الخام المستلم ٢٠٠ الف طن يومياً) .اما النمط الثاني فهو الانتاج بالدفعة ويستخدم عندما تكون الوجبة المستلمة تبلغ ٤٥٠ الف طن اسبوعياً التي تصل على مدار الاسبوع بكميات غير متساوية وانواع مختلفة من الزيوت الخام .والمعاينة المباشرة للخطوط الانتاجية أفصحت على حقيقة ان المصنع تمتاز خطوطه الانتاجية بالقدم ويعود تاريخ تاسيسها الى الاربعينيات والخمسينيات ولم يتم منذ ذلك التاريخ تجديداً او تحديثاً للالات الرئيسية ما عدا تجديد بعض الات التعبئة ولصق العلامات التجارية اما سائر الآلات فانها تعاني من كثرة العطلات والعمل على صيانتها بمعدات محلية الصنع التي في احيان كثيرة لا تتوافق مع هذه الات التي هي سويدية المنشأ .الصيانة هنا لغرض استمرارية تشغيل الخطوط الإنتاجية رغم الاضرار والمخاطر البيئية الناتجة عنها .

٦- تشخيص المخاطر البيئية في المصنع

ان اجهزة الاقسام الانتاجية في الشركة قديمة الصنع وتعاني من التآكل والنضوح والعطلات المستمرة مما يسمح بعضها بتسرب الناتج مسببة التلوث ومخاطر صحية وبيئية .ويحصل المصنع على مياه الاستخدام العام والداخلية في عمليات الانتاج من اسالة الماء ،ولا تخضع هذه المياه لفحوص جرثومية او كيميائية في المصنع قبل استخدامها في الانتاج او في غسل معدات

الانتاج. وهناك هدر واضح للمياه في كثير من المواقع وفي نفس الوقت يتم التخلص من المياه الصناعية العادمة بالقائها في المجاري مباشرة من دون معالجة وهذه المياه تحتوي على مواد خطيرة كيميائية وبيولوجية. كذلك وجود اكوام المواد البلاستيكية والكارتونية التالفة، فضلاً عن اكوام التراب القاصر المستعمل في الصناعة وورق الترشيح المجمعة في الاقسام الانتاجية فاصبحت منطقة تجميعها محط لتجمع الحشرات والاورساق والروائح الكريهة مسببة مخاطر كبيرة. ناهيك عما يطرح من ابخرة في الجو محملة بالمواد الزيتية المتطايرة والتي لا تمر باي عملية تنقية .

ان الاجراءات المتعلقة بالحفاظ على البيئة بدائية وتقليدية ان وجدت فهي لا تتضمن استخدام الاساليب الحديثة في معالجة المخلفات على سبيل المثال. وتفتقر ايضاً ادارة المصنع الى الادارة السليمة للموارد البيئية بشكل عام والى نظام مفاهيمي متكامل يعتمد مبادئ تنمية مستدامة مثل الانتاج النظيف وحماية الموارد البيئية. كذلك هناك عدم وضوح لأبعاد المخاطر البيئية الناجمة عن اشكاليات الهدر للموارد الطبيعية والتلوث لدى العاملين على المدى القريب والبعيد مما يجعل أياً من اساليب ادارة المخاطر المتبعة في التصدي لهذه الظواهر قاصرة عن تقديم الحلول وتقييم الخيارات وكذلك صعوبة تحديد الأولويات في أي من المعالجات المتبعة آنياً .

٧- الواقع المعلوماتي الحالي في المصنع المبحوث

رسمت المعايشة الميدانية للباحثة في مصنع الرشيد صورة للمسار المعلوماتي فيه، وتم تشخيص النقاط التالية :

أ- يؤدي تسارع التغييرات البيئية الى ازدياد الطلب على المعلومات مما عكس عجز الاسلوب التقليدي (اليدوي) المتبع في المصنع المبحوث عن تلبية المتطلبات من المعلومات الحديثة والفورية التي هي الاساس في اتخاذ القرارات ذات الاثر الاستراتيجي مما فرض ضرورة التحول الى الاسلوب الحديث المتمثل بالاستعانة بتكنولوجيا المعلومات (الحواسيب والشبكات) نظراً لما تقدمه من سرعة في انجاز الأعمال، ودقة في المعلومات، وقدرة فائقة على تخزينها، واسترجاعها في الوقت المناسب .

ب- الاداة المتاحة لادارة المعلومات الوحيدة في المصنع هي الاستثمارات المعتمدة لجمع وتبويب وتوثيق المعلومات عن العمليات الانتاجية والفحوص البيئية وعن المخالفات المسجلة، وعن المعالجات المستخدمة. لذلك فانه من الضروري ان يوفر المصنع برنامجاً محوسب لادارة المعلومات، ومن الضروري ايضاً العمل على تشجيع تبادل المعلومات بين المصنع والشركة التابع لها وبقية المصانع التابعة للشركة ايضاً وهذا ما توفره شبكات الاتصال بين الحواسيب، ومن الضروري توزيعها بين الاقسام الانتاجية والادارية في المصنع .

ج- ان المصنع المبحوث يعتمد المحددات البيئية التي اقترتها الجهات المسؤولة عن حماية

البيئة ووفق ما ترضه المحددات العالمية لتحديد الملوثات وكمياتها التي تطرحها الأنشطة الانتاجية للمصنع، وان أي خلل في ادراك اهمية المعلومات الصحيحة التي تعتمد عليها هذه المحددات يولد نتائج ليست في صالح المصنع .

المحور الرابع : الاستنتاجات والتوصيات

اولاً : الاستنتاجات

١- تشكل انطلاقة ادارة المخاطر البيئية في السنوات الاخيرة ميزة فريدة من نوعها، اذ ان الحاجة الى تقويم انعكاسات الاعمال الاقتصادية والادارية على البيئة بصورة عامة حملت اصحاب الاختصاص الاداري والتنظيمي المحلية والدولية الى الاهتمام بهذه الادارة، وهي تشمل في معظم الاحيان انشطه متعدده تعود الى قطاعات ومجالات مختلفه. ولكن الرؤيه الجديده المستندة الى البيئة والتنمية، جعلت المختصين والباحثين والاداريين ينظرون الى هذه الانشطه نظرة جديده ومتجددة.

٢- على الرغم من اهمية دراسة المخاطر البيئية في برامج السلامة وحماية البيئة إلا انها لم تحقق تراكماً نظرياً كافياً لبلورة اطار مفاهيمي متكامل يستوعب فلسفة هذه المخاطر واهميتها في قرارات وخيارات العديد من المنظمات .

٣- يؤدي ادراك المخاطر البيئية دون المستوى المطلوب الى تعرض المنظمة الى مواقف اخطر اذا ما تم التعامل مع المخاطر بصورة غير مناسبة .

٤- قد تزايدت المخاطر البيئية لصناعة الزيوت النباتية نتيجة اعوام طويلة من الاهمال، فليس هناك الاقلة من الخطط تولي اهتمام اللازم للمخاطر البيئية. وقد انشغلت هذه الصناعة بموضوعات الحصص الانتاجية والمكاسب قصيرة الاجل ولم تستثمر الا قليلاً في اجراءات الحماية البيئية، كما ان هناك ضعف في الامتثال للنظم البيئية ونادراً ما تطبق هذه النظم بالطريقة الملائمة

٥- تلمست الباحثة اثناء وجودها في المصنع المبحوث ضعف الممارسات الادارية في مجال ادارة المخاطر البيئية وضعف الاهتمام في الجوانب الفنية عند التعامل مع المخاطر، في الوقت الذي اكدت فيه معظم الادبيات على اهمية ودور برامج ادارة المخاطر في تقليل الحوادث المحتملة وتقليل وازالة اثارها اعتماداً على التقنية، وامكانيات تشخيص المخاطر، وتحليلها، ثم استخدام الوسائل الملائمة للسيطرة عليها .

٦- انخفاض الوعي البيئي لدى معظم العاملين في الاقسام الانتاجية وادى ذلك الى تصريف كميات من الزيوت الى شبكات المياه الصناعية القديمة دون اكرات باستعادتها وجمعها داخل الاقسام للاستفادة منها والحفاظ عليها كمادة اولية من جهة، ولتقليل التلوث من جهة اخرى .

٧- ان المعايير والمحددات البيئية التي يتبناها المصنع وضعت باعتماد التراكيز العظمى المسموح بها من قبل منظمة الصحة العالمية ،مما ادى الى حدود غير واقعية للانبعاثات المسموح بها وبالتالي عدم امكان الالتزام الكامل بتطبيق هذه المعايير الامر الذي تطلب الحاجة لدراسة الشروط البيئية ومصادر المخاطر البيئية واسبابها وتكاليف اجراءات التحكم بالملوثات ونتائجها وذلك قبل وضع معايير فضلاً عن اعتماد طريقة مرحلية لتطبيق المعايير وذلك بالاعتماد على نتائج هذه الدراسات .

٨- يمتاز تدفق المعلومات المحددة المخاطر البيئية في مصنع الرشيد بنقص حاد في كثير من الاحيان، وهذا ما يؤدي عادة الى انماط استثمار هي دون النمط الامثل من وجهة نظر محلية .

٩- يفتقر المصنع الى تكنولوجيا الاتصالات الحديثة كالانترنت وكذلك تقنيات حفظ المعلومات ونشرها .

١٠- خلال التجوال في اقسام المصنع وجد ان هناك نقصاً في اجهزة قياس انبعاث وتصريف المياه الملوثة التي لها دور كبير في تسجيل المعلومات البيئية الضرورية.

١١- تعاني الاقسام الانتاجية من نقص في المعلومات الموثقة عن اسس تداول المواد الخطرة على البيئة وتصنيفها وتخزينها ونقلها واتلافها والتخلص منها وتحديد كمياتها وفقاً لالية معينة .

١٢- نقص الكوادر المؤهلة للعمل في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتشغيلها والاستفادة من خدماتها .

١٣- نقص وتشتت وفقدان المعلومات البيئية يعد ظاهرة واضحة في المصنع مع وجود ضعف في التنسيق والتعاون فيما بين المصنع المبحوث والشركة ومصانعها الاخرى في استمرارية تغذية بعضها بالمعلومات لغرض استخدامها في اعداد الخطط والتقارير .

ثانياً: التوصيات

١- ان المسؤولية تحتم على مصنع الرشيد عدم الاكتفاء بوجود شعبه للسلامة الصناعيه وانما اقامة ادارة للمخاطر البيئيه اسوة بالادارات الاخرى ويفترض الوضع المقترح لادارة المخاطر البيئيه تعزيزها بمستلزمات القيام بالدور الفاعل وتبني استراتيجيات وسياسات ونشاطات مرتبطة بشكل اساسي بالبيئه والحد من المخاطر التي تتعرض لها.

٢- تحسين تقنيات صناعة الزيوت النباتيه من الوجهة البيئيه وحجم متطلباتها من المياه بصوره خاصه ،ومقدار ما تولده من نفايات ونواتج ثانويه.

٣- ايجاد الوسائل الكفيله برفع الوعي البيئي لدى العاملين والتركيز على طرح المواضيع المتعلقة

بمعالجة المخلفات والملوثات (وبخاصة فيما يتعلق بالمياه) وسبل تطويرها من خلال الوسائل السمعية والمرئية والمكتوبة.

٤- التأكيد وبصوره مشدده على العاملين في الاقسام الانتاجيه بالالتزام بمستلزمات السلامه والحمايه البيئيه في العمل التي هي جزء من المستلزمات البيئيه.

٥- دعوة مصنع الرشيد لاستخدام مواد اوليه نظيفه والتأكد تبني سياسة الانتاج النظيف لإدارة البيئه الداخليه للمصنع الموجوده حالياً، بهدف المحافظه على سلامة البيئه والمشاركة الفعاله في تعزيز الحمايه البيئيه ضماناً للتنميه المستدامه.

٦- توجيه الاهتمام نحو عمليه جمع المعلومات البيئيه لدورها الفعال والكبير، حيث يعكس الواقع ويبين مدى التطابق او الاختلاف للانشطه الانتاجيه ومقارنتها مع المحددات المفروضه ومن خلال الاستمارات المرافقه لكل عمليه انتاجيه يمكن الاستفاده منها في بناء قاعده معلومات قيمه.

٧- تكثيف جهود اداره المصنع لبناء شبكه معلومات وتوجيه الجهود لاقامة قواعد للبيانات البيئيه المشتركه مع كافة الاقسام ومع الجهات والمنظمات المحليه والدوليه.

٨- من الضروري ان توفر اداره المصنع نظاماً لإدارة المعلومات البيئيه وضروره تشجيع تبادل المعلومات بين الاجهزة الرقابيه على المستوى العام والخاص، ويشمل النظام: نوعية المعلومات التي يجب الحصول عليها، ومدة حفظ المعلومات في الملفات، وأنواع التحاليل التي يجب اجراؤها والمعلومات الميدانيه التي يلزم رصدها.

٩- على المصنع احراز تقدم تقني سريع في مجال النظم المعلوماتية الخاصة ببرامج التحكم في العمليات الانتاجيه النظيفه، فمن الممكن استعمال الحاسوب الشخصي للتواصل مع اجهزة التحكم المختلفه، وكذلك من الممكن احداث صلة بين نظم التحكم في العمليات ونظم المعلومات الاداريه والبيئيه والنظم الخاصه بالصيانه.

١٠- لا وجود لحلول عجائبيه ولا يظهر في المدى الطويل بديل لاستعادة التوازن بين الموارد والسكان والبيئه والعمل من اجل مجتمع مستقر نسبياً، الخطوة الاولى نحو الحل هي وعي المخاطر، والخطوة التاليه هي عمل مايمكن عمله استعداداً لمواجهةها وعلى الحكومه ان تعمل باديء ذي بدء على معالجة المخاطر داخل اراضيها.

١١- استخدام الانترنت في نشر الاعلانات البيئيه للاستفادة من المعلومات الموجوده في المؤسسات العامه او التي لها علاقة بنشاط المصنع كالصحة والامن الغذائي

١٢- يمكن ان تؤدي المعايير البيئيه الى زياده في تكاليف الانتاج وان تشكل حواجز تعوق النمو، لكن يمكنها ايضاً ان توفر اطاراً للتنميه الاقتصاديه المستدامه بيئياً وان تعزز ادارة

المخاطر. ويتوقف استيفاء الناتج الايجابي من هذه المعايير على التحديد المناسب لها في المصانع المحلية والدولية وتطبيقها بفعالية وتنفيذها بوضوح. وتستند هذه المعايير عادة الى مبادئ علمية ترمي الى التخفيف من المخاطر التي قد تلحق بالبيئة والمخاطر التي قد تلحق بالصحة والسلامة العامة .

١٣- اصبح من الضروري ان تكون لدى المجتمع المحيط بالمصنع دراية بما يجري داخله وبالمخاطر البيئية التي تنشأ عنه وبالسبل المثلى لمواجهتها. كما يصبح من الضروري ايضاً ان يكون هناك تنسيق جيد ومسبق لجهود الاستجابة من داخل المصنع وخارجه حتى تتكامل هذه الجهود وتزيد فاعليتها في مواجهة المخاطر من دون تناقض او تنازع .

د. كربالي بغداد

جامعة وهران

كلية العلوم الاقتصادية، علوم التسيير والعلوم التجارية
مخبر البحث في الاقتصاد وتسيير المؤسسات (LAREGE)

نظرية الإتفاقيات والمحاسبة قراءة حالة الجزائر

ملخص :

تعتبر المحاسبة كنظام للمعلومات يهدف إلى تزويد المؤسسة والأطراف المشاركة بالمعلومات لمساعدتهم على اتخاذ قراراتهم. غير أن تصور المعلومات الناجمة عن هذا النظام، هل تكون هي نفسها بالنسبة إلى جميع المستخدمين؟ وهل هذا التصور يتطور؟
في هذه الورقة، نقترح فهم منهجية المحاسبة من خلال نظرية الاتفاقيات. وفي هذا السياق، سنقدم في الخطوة الأولى نظرية الاتفاقيات ثم نتطرق إلى مسألة استبدال الاتفاقية، وننتهي مع عرض تطور النظام المحاسبي في الجزائر.

الكلمات الأساسية : المحاسبة، نظام المعلومات المحاسبي، نظرية الاتفاقيات.

The theory of the conventions and the accountancy: a reading of the Algerian case

Abstract :

The accountancy is considered as an information system with the purpose of supplying the company and the stakeholders with information to guide their decision-making. However, it is worthwhile knowing whether the information ensuing from this system is equally disclosed to all stakeholders?

In this paper, we suggest approaching the accountancy from the viewpoint of the theory of conventions. First, we shall present the theory of conventions. Then, we shall approach the question of substitution of the conventions, and we will end with a presentation on the evolution of the accountancy system in Algeria.

Keywords: accountancy, accountancy information system, theory of the conventions.

المقدمة :

تعتبر المحاسبة من حيث هي نظام للمعلومات يهدف إلى تزويد المؤسسة والاطراف المشاركة بالمعلومات لمساعدتهم على إتخاذ قراراتهم. هذا التصور للمعلومات الناجمة عن هذا النظام، تكون هي نفسها بالنسبة إلى جميع المستخدمين المعنيين؟ وهل هذا التصور تطوري؟ في هذه الورقة، فإننا نقترح فهم منهجية المحاسبة من خلال نظرية الاتفاقيات. وفي هذا السياق، سنقدم في الخطوة الأولى نظرية الاتفاقيات ثم نتطرق إلى مسألة استبدال الاتفاقية، وننتهي مع عرض تطور النظام المحاسبي في الجزائر.

١ - نظرية الاتفاقيات :

إن اقتصاد الاتفاقيات هو تيار فكري ظهر في منتصف الثمانينيات تحت تأثير الاقتصاديين وعلماء الاجتماع الذين فكروا في أشكال تنظيم العمل، وسلوكيات الاسواق المالية، والقواعد التي تحكم العلاقات بين المؤسسات.

أخذاً بعين الاعتبار المساهمات في التحليل الكلاسيكي الجديد، يقترح المؤلفون^(١) «بعض التعديلات الهيكلية التي تعيد النظر في بعض الفرضيات التي كانت تعتبر ضمنية من قبل»، ويقترحون إعداد أو إعادة صياغة مفاهيم من خارج إطار النيو كلاسيكية (Favereau, 1989).

وقد قام هؤلاء المؤلفون بتحديد هدف يتمثل في بناء «إطار جديد نسبياً للتحليل»، «دون التشكيك

1- Un numéro spécial de la revue économique, 1989, N° 2 était consacré à l'économie des conventions. Les auteurs sont :

Laurent Thévenot, «Équilibre et rationalité dans un univers complexe»; Robert Salais, «L'analyse économique des conventions du travail» ; André Orléan, «Pour une approche cognitive des conventions économiques»; Olivier Favereau, «Marchés internes, marchés externes» ; François Eymard-Duvernay, «Conventions de qualité et formes de coordination»; Jean-Pierre Dupuy, «Convention et Common knowledge »

في اقتصاد السوق الذي أدى إلى تعويض هذه المفاهيم بفئات مستعارة مباشرة من تخصصات أخرى». إن الإقتصاديين في الاتفاقيات يعاتبون الكلاسيكيين الجدد بعدم إعطاء مكانة كافية للمؤسسات، والتركيز أكثر على مبدأ العقلانية.

يعتقد Olivier Favereau إن إقتصاد الاتفاقيات يمكن أن يوصف كخلاصة للتصور النيوكلاسيكي للعقود وفرضية العقلانية المحدودة.

يكتب Gense (٢٠٠٢) أن النهج الإتفاقي يطمح إلى تحسين فهم الآليات الاقتصادية والاجتماعية بدراسة عملية الاعداد؟ والإرتباط وتوضيح معنى القواعد التعاقدية. فإن الإفتراض في هذا الإطار النظري هو أن السلوك الفردي يتأثر «بما يحدث» في تنظيم وليس فقط من نظم الحوافز الفردية في منظور تعاقدية، حيث يمكن أن تتمثل الفرضية المركزية لإقتصاد الإتفاقيات في «الاتفاق بين الأفراد، وحتى عندما تقتصر على عقد التبادل السوقي، لا يمكن أن تكون دون وجود إطار مشترك، ودون إتفاقية مؤسساتية».

يمكن أن تعرف الإتفاقية بأنها «نظام التوقعات المتبادلة حول الكفاءات والسلوكات، والمصممة من النفس والعودة إليها». وهي أيضا «التنظيم الإجتماعي الذي من خلاله يعتمد المجتمع على مرجعية مشتركة، التي تنتج تمثيلاً جماعياً يعتمد على التوقعات الفردية» (André Orléan).

تقوم نظرية الإتفاقيات على فهم كيفية مواجهة الأفراد لحالات عدم اليقين بإتباع سلوك متأقلم، وكيفية تقارب تلك القرارات الفردية المتعددة بالقيام ببعض التعديلات في سلوك بعضها البعض.

١-١ تعريف الإتفاقية :

تهتم نظرية الإتفاقية بالسلوكات المتكيفة للأفراد عندما تواجه لحالات عدم اليقين. ولتحديد السلوك الواجب تكيفه عليهم الإعتداد على عدد من المعايير التي تصف تلك الحالة وتشكل الإتفاقية على وجه التحديد. وتبعاً لما تقدم، فإن الإتفاقية هي «مجموعة من المعايير الضمنية أو الواضحة التي من خلالها يرجع إليها الفرد عند إتخاذه للقرار» P.Y. Gomez, 1996

ولذلك، فإن مجموع المعايير المشتركة تسمح بإتخاذ الفعل الذي يحدد السلوكات العادية، وهذا يعني، الخيارات المنفذة من قبل بعض الأفراد من المفترض ان تتم بصورة مماثلة، M. Bollecker Pierre Mathieu 2008.

نرى أن هناك عدة معايير يمكن أن تساهم كل واحدة بطريقتها الخاصة في القرار. وبعبارة أخرى، توفر هذه المعايير معلومات معتبرة، يجب أن تؤخذ في الوقت المحدد عند إتخاذ القرار. نقول أنها تشكل إتفاقية عند كل حالة مطروحة. يمكن أن نمثل ذلك من خلال الشكل التالي:

«دائرية» الاتفاقيات

المعالم (= المستوى الجماعي)

القرارات (= المستوى الفردي)

المصدر : Jean Nizet, La théorie des conventions :

يبين هذا الشكل، المعالم المكونة للإتفاقية المؤثرة في القرارات الفردية، حيث هذه الأخيرة تؤثر في المعالم. يمكن القول أن القرارات الفردية هي مسببة ونتيجة للإتفاقية في آن واحد وبصورة مجردة، نتكلم عن الدائرية (الاستدراة) بين المستوى الفردي المكون لعدة قرارات من جهة، والمستوى الجماعي المتكون عن طريق الإتفاقية.

٢-١ مكونات الإتفاقية :

قد بينا فيما سبق، أنه في إطار الإتفاقيات نواجه حالة عدم التأكد، حيث توجد صعوبة في إتخاذ قرار عقلائي. حيث ان الأفراد يكونون محتاجين بالضرورة لمعالم لتأسيس قراراتهم، إذ تكون ذات طبيعة مختلفة: عبارات واضحة مع معالم تكون مرتبطة بحضور بعض الأشخاص مع تبني سلوكات معينة. وزيادة على ذلك، معالم مرتبطة بوجود أشياء ذات خصائص بالتنظيم، خاص بالمكان والزمان.

المكونات هي كالتالي:

• العبارات (البيانات)

• الأشخاص

• الأشياء

• المعالم المكانية والزمانية

إن النوع الأول من المعالم والمكون للإتفاقية يتمثل في العبارات المنتجة في إطار المنظمة، حيث تفكر بطبيعة الحال في البيانات الرسمية.

من الضروري في نظرية الإتفاقيات، ومن الوجهة المنهجية، التركيز على البيانات التي من خلالها تبرر الأطراف الفاعلة سلوكاتها المتبناة والأفعال المتخذة.

يعتقد منظري الإتفاقيات أنه لا ينبغي اعتبار العقلانية موجودة لدى الأفراد، ولكن يجب الإصغاء بدلا من ذلك، وتسجيل الأسباب التي تأخذ بعين الإعتبار من قبل الأفراد عند تصرفهم. يفهم من ذلك، أنه يجب ان يؤخذ في عين الإعتبار ترشيد القرارات من قبل الأفراد بدلا من إعتبارها عقلانية.

إنطلاقاً من مختلف البيانات التي تصادفنا في وضعية معينة، إنه من الممكن عادة تحديد مبدأ واحد أو عدد قليل من المبادئ الأكثر تجرداً، التي يمكن أن تسمح بأن تكون ملخصاً لإتفاقية خاصة للمنظمة لمؤسسة (من أجل أن تكون أكثر تنافسية، تتحصل على أفضل علاقة بين الجودة والسعر،...)، ويطلق عليها عدد كبير من الباحثين بالمبادئ العليا. بالإضافة إلى التصريحات الشفهية، تتضمن الإتفاقية معايير أخرى تسمى بالضمنية.

أ. الأشخاص:

من المكونات الضمنية، علينا أن نتطرق إلى المعايير التي تكون مرتبطة تلك التي ترتبط بالأشخاص. فإن الأفراد الذين أخذوا قرارات في وضعية عدم التأكد اعتمدوا على معالم بحضور من صنف معين منهم، بحيث تبنوا سلوكيات وأنظموها بطريقة معينة.

أولاً، تتميز الإتفاقية بحضور أفراد لهم ميزات كالسن، الجنس، والتأهيل المهني، إلخ.

ثانياً، هؤلاء الأشخاص يتبنون بطبيعة الحال سلوكيات وتصرفات معينة. هذه يمكن أن تناسب المبدأ الذي يحكم الوضع، وقد تفترق عنه أو تتناقض معه.

في الحالة الأولى، نقول أن أشخاص يحتكمون إلى المبدأ الذي يحكم الوضع يعتبرون «كباراً»، والذين لا يحتكمون إليه و يعتبرون «صغاراً».

وفي الحالة الثالثة، فإن الأفراد لا يكونون منعزلين عن بعضهم البعض، وإنما تربطهم علاقات خاصة (حسب الإتفاقيات: روابط الأقدمية أو السلطة أو التكامل في تنفيذ بعض الأنشطة، الخ).

ب. الأشياء:

هناك أصناف أخرى من المعالم الضمنية، التي يعتمد عليها الأفراد في إتخاذ قراراتهم لإعداد أشياء، وهذا المفهوم يجب أن يفهم بمعناه الواسع: مثل المبنى المفروش أو المزخرف بطريقة معينة، الآلة، برامج الحاسوب، القانون، إلخ.

أولاً، أن الإتفاقية بوجود عدد أكبر أو أقل وفرة من الأشياء التي تمثل بعض المميزات الأكثر تخصيصاً.

ثانياً، بعض هذه الأشياء لها ميزات أكثر، كما لها إمكانية الوجود بالنسبة للمبادئ العليا التي تحكم الوضعية، والبعض الآخر لها ميزات أقل وإمكانية وجود بدرجة أقل. حيث الأول جدير بأن يحقق المبدأ ببساطة، وفي الحالة الثانية يتحقق المبدأ بدرجة أقل. وتبعاً لما تقدم نقول أن الصنف الأول من الأشياء هو الذي يشغل الحيز الأكبر في حين الثاني الحيز الأصغر.

تتمثل الفكرة الثالثة، بأن تلك الأشياء ليست منفصلة عن بعضها البعض، وإنما مندمجة بدرجات

متفاوتة، حيث الروابط الموجودة فيما بينها يمكن أن تكون ذات طبيعة مختلفة (إمكانية أن يحل واحد محل الآخر، ويمكن أن يسبق أو يلحق بعضها البعض وما إلى ذلك).

ج. المكان والزمان:

نقوم بمعالجة المكون الأخير للإتفاقية الذي يمكن أن يكون قد أهمل إلى حد ما من قبل الباحثين، حيث أنه مرتبط بالزمان من جهة، وبالمكان من جهة أخرى.

وبالأحرى، في كل وضعية إجتماعية وحالة تنظيمية تتميز ببعض الترتيب وبعض التنظيم، وأكثر تجريدا لتصور معين للفضاء الذي يشغله الأفراد. فالفضاء يمكن أن يكون أكثر إتساعا أو أقل، ويكون منظما حول موقع مركزي أو أكثر تجانسا، مفتوح أو مغلق، إلخ.

وبالتوازي، يمكن أن نقول أن كل وضعية إجتماعية تتميز ببعض التنظيم وبعض التصور للوقت: التركيز على الفورية والآنية، والتوجه نحو الماضي أو المستقبل...

٣-١ تطور الإتفاقيات:

بعد أن تطرقنا بإختصار إلى نظرية الإتفاقيات، وقبل النظر في كيفية فهم المحاسبة عن طريق هذه النظرية، يجب النظر في كيفية تطور هذه النظرية لدراسة ديناميكية الإتفاقية. يجب أن نتساءل في البداية عن العوامل المشجعة لبروز البديل. إذ ان البديل يعتبر إتفاقية مغايرة حيث تماسك وملأمة الخطاب من شروط إبهار؟ الجمهور (M. Amblard ، 1999). وفي هذا الإتجاه، يجب أن يعتبر كعنصر محرك وفعال لسيرورة تطور الإتفاقيات.

وفي غياب البديل، لا يمكن إثارة حالة عدم اليقين إذا لا يجد الفرد أي خيار. في ظل هذه الظروف، لا يمكن أن نتحدث عن الإتفاقية ولكن عن الإلتزام. في حين أن البديل هو إجراء ينتج عنه خطاب غير متوافق مع تلك الإتفاقية، والتشكيك في شرعيتها؛ وبالتالي البديل يخلق الشك (M. Amblard). ومنه وإستطرادا، فإن البديل يخلق الشك الذي في حد ذاته يعدل السلوك ويعطي القدرة على الإقتناع بالإتفاقية المفترضة.

إذا لكي يحق تعديل للإتفاقية يجب أن يكون هناك بديل. فما هي العوامل التي تؤثر على الإتفاقية وتشجع على ظهور البديل؟ عموما، يمكن تحديد هذه العوامل في نوعين: خارجية، داخلية.

أ- العوامل الخارجية:

تعرف العوامل الخارجية بالعناصر الخارجية عن الإتفاقية التي تساهم في إنتاج البديل. وهنا نستخرج عاملين: الإتصال والتشريع العمومي.

أ-١ الإتصال:

الإتصال هو عامل يساهم بإستمرار في ظهور البديل. وعندما تكون هناك مجموعتان تسعيان إلى التقارب لأي سبب كان تبرز من الممكن أن تتلامس عدة إتفاقيات، كل واحدة منها و تصبح بديلا

للأخرى ضمن سلسلة من الإحتكاكات ذات المخارج المختلفة. هكذا عندما تتبنى المجموعة G1 الإتفاقية C1 تدخل فجأة في المنافسة مع المجموعة الثانية G2 المتبينة للإتفاقية C2. المخرج من الصراع يعتمد على نسبة كل مجموعة G1 أو G2 بالنسبة للمجموعة الكلية المعطاة (G1 + G2). إنطلاقاً من مستوى معين، يواجه الأفراد الذين تبنوا الإتفاقية الآن في إنحداراً عددياً، يتحولون تدريجياً من الفرضية C1 إلى C2.

أ- ٢- التشريع العمومي:

التشريع العمومي هو العامل الخارجي الثاني. فالنصوص التي يظهرها هذا التنظيم تكون ملائمة عادة لتوجه سلوكيات الأفراد نحو الأفضل. فالإتفاقيات التي تم إعدادها عدلت بسبب البديل الناتج. إذا ينبغي علينا أن نفهم جيداً بأن التشريع العمومي يساهم في ظهور البديل، بيد أنه لا يخلق توافقاً. إن التقيد بسلوك معين لا ينجم عن الطاعة العمياء للسلطة العليا، وإنما ينتج عن إيمان بأن هذا السلوك متبنى من قبل جميع مجموع الجمهور. هذا الإيمان يرتكز على عدة عوامل منها:

- القدرة على التنبؤ برد فعل الآخرين في مواجهة متطلبات التنظيم، حيث أن سلوك الأفراد مرتبط بنسبة كبيرة بتوقع سلوكيات الآخرين. إن هذا التوقع مرتبط بمعرفة الشركاء والمسافة التي تفصل بينهم.
- شرعية السلطة التي تشرع القانون، حيث فلا تفرض السلطة نفسها على الإطلاق وإنما تستعمل صلاحيتها في سن القوانين، ويلتزم السكان بعقوبة وبدرجات متباينة بهذه القوانين، مما يساهم بتوكيد شرعية السلطة.
- كفاءة أداء القانون هي قدرته على إبراز المنفعة الاجتماعية للملائمة المتمثلة في هذا العامل الثالث، الأمر الذي يساهم في تعزيز ثقة الجمهور عند تبنيهم للقانون الصادر.

ب. العوامل الداخلية:

هناك ثلاثة عوامل هي: الانشقاق، التناظر والنية الإستراتيجية.

ب-١ الانشقاق:

وهو العامل الداخلي الأول، ويعرف بأنه «سلوك مجموعة كبيرة من الأفراد (الذين نصفهم بالمنشقين) C2 الذين قرروا عدم التوافق مع الاتفاقية القائمة C1، ومع ذلك نعتبر هذا العمل غير هدام لأنه ليس في نية المجموعة المنشقة إسقاط الاتفاقية المعمول بها، ولكن ببساطة إعتقاد إتفاقية أخرى» (M. Amblard ، 1999).

هذه الظاهرة قد تحدث في ظروف معينة وتحت تأثير مفسر ما قد تنتشر بقوة أكثر أو أقل.

والشك يمكن أن يبرز في حال كان هناك اعتقاد بأن الجماعة المتمردة هي مؤثرة بما يكفي لإغراء بقية المجتمع G1؛ وبالتالي تصبح الإتفاقية المتفق عليها في خطر. في الواقع، من المحتمل أن يتساءل كل واحد عن الموقف الذي أتمدته بقية المجتمع تجاه الإتفاقية البديلة C2 المستعملة من قبل المجموعة المنشقة. وقد ينتشر الشك حول الإعتماد الدائم على الإتفاقية القائمة.

هناك معياريين أساسيين يحددان بنسبة كبيرة مقاومة أو فشل الإتفاقية C1. من جهة، ملائمة C2 (بالنسبة للمنفعة الإجتماعية أو المهنية) بالمقارنة مع C2؛ ومن جهة أخرى، الجودة والوزن السياسي اللذان يعترف بهما الناس لدى المجموعة الانفصالية.

ب-٢ التنافر:

وهو العامل الداخلي الثاني، ويعرف بعدم ملائمة الخطاب الصادر عن الإتفاقية تجاه التحولات الظرفية (M. Amblard ، 1999). يكون هناك إنشقاق عندما تكون الملائمة مشكوك فيها لعدة أسباب. ملائمة إتفاقية ما تعرف بمجموعة من العوامل التي تعطيها الشرعية لدى المتفقين. الإنشقاق يتم في نهاية المطاف حسب الظروف، ويساهم من جديد في ظهور تطبيق جديد هو البديل.

ب-٣ النية الإستراتيجية:

تعرف بالسلوك الواعي والمطلوب من قبل بعض الفاعلين الذين يكون لهم تأثير على واقع الإتفاقية المعمول بها. في هذه الحالة، هناك سيناريو إستراتيجي يتعمد بث الشك لدى المتفقين بنية دفعهم تدريجيا نحو الإتفاقية البديلة. إذا القصد الإستراتيجي يشكل عاملاً آخر من العوامل التي تحفز ولادة الشك، وبالتالي تفتح الطريق أمام ظهور قوانين معاكسة.

٤ - ١ ردود الفعل إتجاه البديل :

تساهم مختلف العوامل المذكورة سابقا في ظهور البديل، وهو بدوره يهدد الإتفاقية المعمول بها، وهذه الأخيرة يمكن أن تقدم نوعين من ردود الأفعال:

• ردود أفعال سلمية، تسمى بردود أفعال تعاونية. وهذه الافعال يمكن أن تأخذ إتجاهين: إعادة التأطير أو التعايش.

• ردود أفعال عدائية، وتدعى ردود أفعال المواجهة التي تؤدي إلى المقاومة أو الإنهيار.

أ - ردود الفعل التعاونية:

يترجم رد الفعلي التعاوني بتلطيف وتعديل الخطاب الصادر عن الإتفاقية المعمول بها، وهذه الأخيرة يمكن أن تعيد تأطير محتواها بغية الإستجابة للطلبات الجديدة، وإبراز بعض إغراءات البديل. ويمكن لها أن تمنح جزء من قوامها إلى الإتفاقية المنافسة.

أ- ١ إعادة التأطير:

تأتي إعادة التأطير كرد فعل على التشكيك الواقع. وهذا يعتبر تحولاً في المضمون المعلوماتي الذي تصدره الاتفاقية لأطرافها، وبذلك يصبح التأقلم مع خطاب البديل ممكناً.

أ- ٢ التعايش:

الحالة الثانية، التعايش، يمكن تعريفه كأنفصال الجمهور من G1. بعد ذلك تظهر مجموعة جزئية G2 تتبنى الاتفاقية الجديدة C2 على حساب الاتفاقية القديمة C1.

إن الصورة الثانية من ردود الفعل التعاونية تتمثل في التعايش. يمكن أن تؤدي هذه الأخيرة إلى تقسيم المجتمع: بعد G1 تظهر مجموعة جزئية G2 تتبنى الاتفاقية الجديدة (C2) على حساب القديمة (C1). في هذه الحالة يحصل تعايش بين G1 و G2. هذه الوضعية لا تتحقق إلا بشروط: السلوك الجديد تحدده الاتفاقية C2 على أن لا يكون متداخلاً مع ما تمليه الاتفاقية C1. في هذه الحالة، العوامل الخارجية السلبية الصادرة من الاتفاقية C2 تؤدي إلى ردود أفعال مباشرة من قبل المجتمع المجموعة G1.

ب- ردود الأفعال المواجهة:

وفي المقابل، فإن ردود الأفعال المواجهة تتميز بالعداء الذي يغذي الاتفاقية المهددة بالنسبة للبديل فلا تسعى إلى تعديل هيكلها تبعاً للخطاب الصادر من الاتفاقية الثانية. تتجم عن ذلك وضعية نزاع بين الحالتين، حيث تحاول كل واحدة أن تفرض ملائمتها الخاصة. إن الاتفاقية المعمول بها يمكن أن تقاوم، ومن المحتمل أن تعزز مكانتها أو تنهار، مما يعطي الحياة للاتفاقية الجديدة.

ب- ١ المقاومة:

هناك مقاومة عندما لا يستطيع البديل البارز C2 إغراء الجمهور المنتمي لـ C1. وبشكل أدق، فإن المحتوى المعلوماتي للخطاب المنقول بـ C2 لا يسعى بشكل حقيقي لملائمة الخطاب الصادر من قبل الاتفاقية المعمول بها C1.

ب- ٢ الإنهيار:

يقصد بالإنهيار الوضعية التي تناسب إختفاء الاتفاقية المعمول بها وإبرام إتفاقية جديدة يظهر فيها خطاب أكثر ملائمة، أي أكثر تجاوباً مع إنتظارات المتعاقدين، وأكثر إقتناعاً بالأخص في حالة تبين هذه الإتفاقية الجديدة بشكل أشمل.

- ٢ المحاسبة كنظام معلومات:

من المسلم به أن المحاسبة هي «فن تجميع وترجمة وتقديم المعلومات الإقتصادية أو المالية بأشكال مختلفة (الجدول، الحسابات...)». ما نستنتجه من هذا التعريف، هو أن الوظيفة

الأساسية للمحاسبة هي الإعلام عن وضعية المؤسسة. إذن تعتبر المحاسبة نظام معلومات يركز على ثلاثة أنظمة فرعية:

- التقييد والتسجيل،
- التخزين والمعالجة،
- الإخراج والتشكيل.

النظام الفرعي الأول «التقييد والتسجيل» يتعلق بتصنيف الوقائع والعناصر المحاسبية والإحتفاظ بها، وكذلك قاعدة تقييمها.

النظام الفرعي الثاني "التخزين والمعالجة" يستعمل تقنيات كأدوات الإعلام الآلي، وكذلك المنهجية المتبعة. وأخيرا النظام الفرعي الثالث فيتمثل في "الإخراج والتشكيل" للمعطيات المحصل عليها على شكل وثائق محاسبية مثل: ميزانية المؤسسة، حساب النتائج، الملاحق، اليومية، أو الوثائق الأخرى.

كذلك، فإن نظام المعلومات المحاسبية يجب أن يقوم بعدة مهام أهمها إقامة محاسبة مالية موجهة للجهات الخارجية، ومحاسبة التسيير الموجهة نحو تسيير الإحتياجات الداخلية. وهاتان المهمتان الأساسيتان تهدفان إلى الإجابة على متطلبات المحاسبة بغية إحترام القواعد المعيارية، إعداد وتقديم الحسابات من جهة، وإعداد نموذج محاسبي يستجيب لإحتياجات تسيير المحاسبة من جهة أخرى.

٣- تنظيم نظام المعلومات المحاسبية:

يدور نظام المعلومات المحاسبي داخل المؤسسة حول التنظيم المادي، بمعنى الوسائل والطرق المحاسبية لتسجيل العمليات وفق المبدأ المحاسبي لـ "صورة صادقة وواقية" للوضعية المالية، الإقتصادية، والمحاسبية للمؤسسة. نظام المعلومات هذا يجب ان يتضمن:

- التقييد الكامل للوثائق الأساسية،
- الإحتفاظ بها،
- توفير كل المعلومات الضرورية لإعداد الوثائق الإجمالية،
- التحقق من صحة البيانات والإجراءات الداخلية.

إن النقاط الثلاثة الأساسية الواجب الإحتفاظ بها فيما يتعلق بنظام المعلومات المحاسبية تتمثل في:

- إختيار الدعائم المتمثلة في الوثائق، الكتب وتجهيزات الإعلام الآلي،

- تبني مخطط محاسبي ملائم لطبيعة عمليات وأنشطة المؤسسة،
- تحديد إجراءات المعالجة مع إحترام محتوى الحسابات وإثبات الوضعيات.

٤ - النظام المحاسبي في الجزائر:

ورثت الجزائر المخطط المحاسبي العام الفرنسي (PCG) لسنة ١٩٥٧. وبعد الإستقلال في العام ١٩٦٢، واصلت الجزائر العمل بالقانون ٦٢-١٥٧ الصادر في ٣١ ديسمبر، الفرنسي المنشأ، بإستثناء النصوص والبنود التي تتعارض مع السيادة الوطنية.

٤ - ١ الإصلاح المحاسبي:

أسندت وزارة المالية مهمة إعداد مخطط محاسبي جديد للمجلس الأعلى للمحاسبة بعد إنشائه رسمياً سنة ١٩٧٢. صدر المخطط المحاسبي الجديد، الذي عرف بالمخطط الوطني للمحاسبة (PCN)، في سنة ١٩٧٥، وبدأ تنفيذه في سنة ١٩٧٦ .

أ.المخطط المحاسبي الوطني ١٩٧٥:

بدأت الجزائر منذ ١٩٦٩ أول محاولة لتغيير للمخطط المحاسبي العام (P.C.G). وفي العام ١٩٧٢ جرت محاولة ثانية لتغيير هذا المخطط. وفي سنة ١٩٧٥ تم إعداد أول مخطط محاسبي وطني في إطار الإستراتيجية العامة للتنمية. تم إنجاز هذا المخطط من قبل المؤسسة الوطنية للمحاسبة (S.N.C) بمعاونة خبراء محاسبة فرنسيين من المجلس الوطني للمحاسبة والمعهد الوطني للإحصاء و الدراسات الاقتصادية الفرنسيين و جامعة براق (Prague). هذا، وقد قام واضعو المخطط المحاسبي الجديد في إطار عملهم بدراسة واستلهام المخططات المحاسبية المشتركة للمنظمة الإفريقية، مالقاش (Malgache)، ومورسيان (Mauricienne) وشيكوسولفاكيا (Tchécoslovaquie).

١-١ : موجات الوطني للمحاسبة ١٩٧٥ (PCN) وإرشاداته:

كان المخطط المحاسبي العام لـ ١٩٥٧ يستجيب لاحتياجات تنظيم إقتصاد السوق الحر. هذه المنهجية لم تعد تلبى احتياجات المعلومات لسياسة الإقتصاد المخطط. فمن منظور الإختيارات الإقتصادية المتخذة من قبل الجزائر، فإن المخطط للمحاسبي العام يتضمن نقائص كان يصعب معها الحصول على المعلومات القابلة للإستغلال من قبل المسيرين، والمؤسسات المالية والمخططين.

الموجات المتعلقة بإعداد المخطط المحاسبي الوطني تتلخص في النقاط التالية:

- الأخذ بعين الإعتبار احتياجات مستعملي المعلومات المحاسبية : المؤسسات البنكية والهيئات المركزية للتخطيط.

- تحديد وتبسيط المصطلحات المحاسبية وتحديد معايير إنتاج الوثائق.
- إعداد مخطط محاسبي يمثل أداة ملائمة لإحتياجات التخطيط الجزائي، وكذا إحتياجات التسيير للمؤسسات.
- توفير معلومات للمحاسبة الوطنية سهلة الإعتماد، وذات معنى واضح من أجل هدف إحصائي وتقديري. هذه المعلومات يجب الحصول عليها دون إعادة تصنيف ودونما حاجة لخبراء محاسبة.
- المخطط المحاسبي يجب أن يكون أداة تسيير لمسؤولي المؤسسات. هذه الأداة يجب أن تسمح بإتخاذ القرار ومراقبة تطبيقه من أجل القيام بالتصحيح في الوقت المناسب، وبالتالي توفير قاعدة للتقديرات الجديدة من أجل تمكين المؤسسات من معرفة التكاليف وتكلفة الخدمات والسلع المنتجة من قبل المؤسسة، وقياس مستوى المخزونات في أي وقت كان.

في سياق تجديد أدوات السياسة الإقتصادية والمالية، تسجل المهمة التي أسندت إلى المجلس الأعلى للمحاسبة (CSC)، والتي تتمثل في مراجعة المخطط الوطني الموجود، من أجل منح الدولة أدوات تسيير ملائمة لسيرورة التخطيط الإقتصادي والمالي.

إذن، فنحن بصدد البحث عن بديل وطني (PCN) للإتفاقية الفرنسية المنشأ (P.C.G) وتنفيذ هذا البديل الذي يستجيب للوضع المستجد غداة الإستقلال.

أ-٢ الإطار القانوني للمخطط الوطني للمحاسبة :

صدر المخطط الوطني للمحاسبة بموجب مرسوم تنفيذي، وملاحق ذات طابع توضيحي.

أ-٢-١ المرسوم التنفيذي ٧٥-٣٥ :

صدر المرسوم التنفيذي ٧٥-٣٥ في ٢٩ أفريل ١٩٧٥، وهو يتضمن نص المخطط الوطني للمحاسبة الذي يتحدث عن مجال تطبيق ال(PCN) من قبل المؤسسات العمومية ذات الطابع الصناعي والتجاري، والمؤسسات الإقتصادية المختلطة، والمؤسسات الخاضعة لنظام الضريبة مهما كان شكل هذه المؤسسات.

يتضمن أيضا المخططات المحاسبية القطاعية المعدة وذلك بتكييف ال(PCN) بشكل يلائم مختلف أنشطة القطاعات والمحاسبة التحليلية. بالإضافة الى قائمة الحسابات.

أ-٢-٢ الملاحق التطبيقية :

صدرت في ٢٣ جوان ١٩٧٥ ملاحق تطبيقية تتعلق بطرق تطبيق المخطط الوطني، وتحدث عن التنظيم وتسيير المحاسبة، وتقييم الإستثمارات، والمخزونات، والوثائق التركيبية.

إصدار البديل (PCN) بموجب تشريع قانوني.

٣-١ إضافات للمخطط الوطني للمحاسبة:

شهد المخطط الوطني للمحاسبة أربعة إضافات منذ ١٩٧٥. صدر المرسوم F/DC//185 047/CE/89 بتاريخ ٢٤ ماي/أيار ١٩٨٩، وهو يتعلق بحساب العمليات المرتبطة بإستقلالية المؤسسات ويعالج:

- الفصل بين المساهمات للإكتتاب العام وغير العام، وحساب «الشركاء» بالترقية، والتفريق بين الشركاء بالمساهمة النقدية وشركاء بالمساهمة العينية وشركاء العاجزين؟
- الموثق؟ الذي له حساب فرعي من حساب السيولة فيه تسجل الأموال المودعة لديه؛
- السلفيات السنوية التي هي حساب فرعي من حساب دائني الإستثمار.
- عمليات سندات المساهمة بتقسيمها إلى حسابات متعددة بحسب طبيعتها؛
- قيد الأرباح الموزعة بتوقع في حسابات فرعية تخصص لقسائم الدفع وأرباح الأسهم، وحصص الربح المتعلقة بالمستخدمين، ومساهمة العمال في أرباح المؤسسة، علاوة الحضور والإتاوات المستحقة.

وفي ١١ مارس ١٩٩٠ صدر المرسوم 046/635F/DC/CE/90 المتعلق بحساب مشاركة العمال في أرباح المؤسسة، وفيه توضيح للسجلات اللازمة لهذه العملية.

وفي ٢ أكتوبر ١٩٩٥ صدرت التعليمية رقم ٩٥/٠٠١ المتعلقة بتوفيق؟ محاسبة شركات المساهمة، وهي تعالج طرق التسجيل المحاسبي للعمليات الخاصة بشركات المساهمة^(١)، والتي تشمل:

- الأسهم المتحصل عليها من المؤسسات العمومية الاقتصادية.
- الأموال المتحصل عليها من الدولة للتدخل في المؤسسات : نفقات لتنمية المؤسسات العمومية الاقتصادية ولتطهيرها ماليا.
- الأرباح الناتجة عن الاسهم.
- النواتج المالية للأموال المودعة (مساهمات الدولة و الأرباح)،
- الحسابات الجارية للشركاء.

وأخيراً، صدرت التعليمية MF/DGC/518 في ٢١ أفريل ١٩٩٧، وهي تتعلق بحساب إعادة دمج فروقات إعادة التقييم، وتوضح الحسابات الفرعية للحساب ١٥: «فرق إعادة التقييم والإجراءات المحاسبية».

١- هي شركات أسندت لها مهمة تسيير أموال الدولة في الشركات العمومية.

يجب التنويه إلى انه تم إصدار خمسة (٥) مخططات محاسبية للقطاعات الآتية :

• الفلاحي (١٩٨٧)

• التأمين (١٩٨٧)

• البناء و الأشغال العمومية (١٩٨٨)

• السياحة (١٩٨٩)

• البنوك (١٩٩٢) .

هذه المخططات المحاسبية الخمسة تقدم بصورة عامة قائمة الحسابات، المصطلحات التفسيرية، وقواعد عمل الحسابات والوثائق الشاملة، غير أن أي واحد منها لم يعالج المحاسبة التحليلية.

هنا، نحن أمام تعديل للاتفاقية الخاصة بـ (PCN) عن طريق تفريع المخطط المحاسبي (PCN) وتطويعها لملائمة الاحتياجات القطاعية المختلفة.

ب- خصائص المخطط الوطني للمحاسبة 1975 PCN :

ب-١ على المستوى التصوري :

يسمح الإطار التصوري بتحديد المبادئ التي قامت عليها القواعد المحاسبية وقواعد نشر الحسابات، والأهداف التي تتوخى تحقيقها.

ب-١-١ مرجعية الإطار التصوري :

إن غياب الإطار التصوري، حتى وإن كان ضمناً، يسبب ركود في المحاسبة، وبدون مرجعية، تظهر المشاكل الجديدة والوضعيات غير المنتظرة التي لم يكن المخطط الوطني للمحاسبة (PCN) يتوقعها، حيث وهذه لا يمكن حلها بإجتهدات شخصية من قبل المهنيين، فالتفسيرات لا تتفق بالضرورة.

ب-١-٢ الأهداف ومستعملي المعلومات المحاسبية :

تشكل المعلومات الخاصة بالإقتصاد الكلي والإحصائيات أولوية للتصور للمخطط الوطني للمحاسبة. وتنتج هذه المعلومات من خلال تصنيف الأعباء حسب طبيعتها وإعدادها. ويمكن أن تؤدي الأهداف الإقتصادية الكلية المخصصة للمحاسبة إلى معلومات لا تهتم المستعملين الآخرين أو المؤسسة نفسها.

ب-٢ على المستوى التقني:

يتعلق بالإطار المحاسبي، تصنيف الحسابات، الوثائق الشاملة، قواعد التقييم، معالجة بعض العمليات، الدعائم، والوثائق المحاسبية.

ب-٢-١ الإطار المحاسبي:

يلاحظ أن قائمة الحسابات للمخطط الوطني للمحاسبة لا تتضمن حسابات بعينها.

ب-٢-٢ تصنيف الحسابات:

تصنف الديون والذمم حسب طبيعتها وليس حسب السيولة، مما لا يسهل التحليل المالي. تعريف أقسام الإستثمار (٢)، المخزون (٣) والذمم (٤) يستند على تصور قانوني للمؤسسة (ممتلكات المؤسسة) لا يسمح بتقديم أداة الإنتاج، ولا يميز بين أصول الإستغلال وخارج الإستغلال، ولا تقديم الممتلكات المستعملة غير المملوكة للمؤسسة.

ب-٢-٣ الوثائق الشاملة:

الوثائق الشاملة عديدة منها سبعة عشرة جدولاً؛ وهذه الجدول هي هي نفسها مهما كانت حجم المؤسسة ونشاطها.

ب-٢-٤ طرق التقييم:

لا توجد أي طريقة معتمدة لتقييم مدخلات ومخرجات المخزون. وقد أعطيت المؤسسات حرية إختيار طرق تجميع أكثر ملائمة مع خصوصية المخزونات.

ب-٢-٥ معالجة بعض العمليات:

المخطط الوطني للمحاسبة لا يعالج بعض العمليات، نذكر منها مثلاً: القرض الإيجاري، العمليات بالعملة الأجنبية... الخ.

ب-٢-٦ الدعائم والوثائق المحاسبية:

لم يكن ممكناً للمخطط الوطني للمحاسبة أن يتوقع التطور المتمثل بمكننة المحاسبة، كما ولم يلحظ تنظيم مسك الدفاتر المحاسبية، وإعداد دليل لإجراءات المحاسبة ودعائم ووثائق محاسبية، فترك أمر التنظيم المحاسبي لتقدير المؤسسة.

٤-٢ إصلاح المخطط الوطني للمحاسبة:

بدأت أعمال إعادة النظر بالمخطط الوطني للمحاسبة في سنة ١٩٩٨. في بداية الأمر أسندت

هذه المهمة إلى هيئة وطنية، ثم كلفت هيئة خارجية بهذا العمل.

أ- أعمال لجنة المخطط الوطني للمحاسبة :

في إطار الإصلاحات المحاسبية، حددت للهيئة الرسمية للمعايير المحاسبية، المتمثلة في المجلس الوطني للمحاسبة (CNC)، مهمة أولية هي مراجعة المخطط الوطني للمحاسبة وتعديله بما يتلاءم مع التغيرات الحاصلة في الإقتصاد الوطني بإعتباره أداة ملائمة للتسيير.

إعتمدت اللجنة المذكورة المنهجية التالية:

- تقييم وضعية التطبيق ونقائص المخطط الوطني للمحاسبة (PCN) من خلال أداة التقييم؛
- إعداد مشروع مخطط محاسبي؛
- جمع ملاحظات وتوصيات المهنيين والمستعملين حول المشروع.
- إعداد مخطط جديد للمحاسبة مع أخذ الملاحظات المجمعة بعين الإعتبار.
- تقديم المشروع إلى المجلس للفحص.

أ-١ التقييم :

في إطار أعمالها، قامت اللجنة بإعداد إستبيانين لتقييم المخطط الوطني للمحاسبة (PCN). يتكون الإستبيان الأول من قسمين: القسم الأول مخصص للإعتبرات العامة، ويعالج المبادئ المحاسبية، المعايير والمرجعيات. ويهتم القسم الثاني بأحكام PCN (التنظيم ومسك الحسابات، المصطلحات، قواعد العمل، والتقييم).

أما الإستبيان الثاني، فقد احتوى على أسئلة مفتوحة تتعلق بالمصطلحات، الإطار المحاسبي، تقديم الميزانية، تقديم جدول حساب النتائج (TCR)، ملاحق الوثائق الشاملة، وطرق التقييم.

توصلت اللجنة في تقريرها التقييمي للمخطط الوطني للمحاسبة الى النتائج التالية:

- تخصيص فصول خاصة للمبادئ، قواعد التقييم، والمصطلحات المحاسبية؛
- إعادة النظر في عدد، شكل و محتوى الوثائق الملحقة .
- إعادة النظر بقاءة الحسابات وإثرائها للإستجابة بشكل أفضل لإحتياجات المستعملين.

أ-٢ خيارات اللجنة :

إحتفظت اللجنة بخيار مراجعة المخطط الوطني للمحاسبة وبمبادئ المراجعة.

أ-٢-١ مراجعة المخطط الوطني للمحاسبة :

أخذت اللجنة إجابات الإستبيان الأول بعين الإعتبار، وأختارت مراجعة المخطط الوطني للمحاسبة

PCN واستبعدت خيار الاستبدال. ومن الدوافع التي حضرت للجنة على تبني هذا الإختيار تسهيل الاستخدام من قبل المطبعية والتكلفة المرتفعة الناجمة عن الإصلاح. كذلك، فإن اللجنة ترى أن استبدال المخطط الوطني للمحاسبة PCN يضر بالمهنيين.

أ- ٢-١-٢ المبادئ التوجيهية للمراجعة:

حددت اللجنة المبادئ التوجيهية التالية:

- المبادئ المحاسبية، قواعد التقييم وعمل الحسابات يجب أن تشغل مكانة مهمة داخل المخطط المحاسبي؛
- يجب أن تكون المصطلحات كاملة، واضحة، و معدة بطريقة أفضل من أجل تلبية إحتياجات المستعملين؛
- البيانات الموجزة يجب أن تحسن، وتبسط، وتكمل تماشياً مع متطلبات القانونية والمعالجة المعلوماتية؛
- الملاحق يجب أن تكون مبسطة وغنية وتلعب دوراً مكملاً بالنسبة للميزانية ولجدول حساب النتائج (TCR)، وأن لا تكرر ما جاء في هذه الأخيرة؛
- المحاسبة التحليلية يجب ألا تكون مدونة في المخطط المحاسبي الجديد وستترك لمبادرة المؤسسة.

ب- الإقتراحات التي قدمها المجلس الوطني (الفرنسي) للمحاسبة إلى الجزائر:

تم وقف أنشطة لجنة المخطط الوطني للمحاسبة سنة ٢٠٠١ وأسندت مهمة تغيير المخطط المحاسبي إلى المجلس الوطني الفرنسي للمحاسبة بعد ما فاز بالمناقصة التي جرى تمويلها من قبل البنك العالمي.

بعد دراسة المخطط الوطني للمحاسبة في الجزائر، قدم المجلس الوطني (الفرنسي) للمحاسبة ثلاثة خيارات:

ب-١ السيناريو الأول: تعديل بسيط للمخطط الوطني المحاسبي

بحسب هذا السيناريو، يتم الإحتفاظ بالهيكل الحالي للمخطط الوطني المحاسبي PCN، ويقتصر الإصلاح على التحسينات التقنية مع الأخذ بعين الإعتبار تغيرات المحيط الإقتصادي الجزائري.

ب-٢ السيناريو الثاني: تكييف المخطط الوطني للمحاسبة والانفتاح على الحلول الدولية

في هذا السيناريو، يبقى هيكل للمخطط الوطني المحاسبي PCN على حاله مع إدخال بعض الحلول التقنية المطورة حسب المعايير المحاسبية الدولية. فإن هذا السيناريو يسمح للمؤسسات

بتقديم حسابات مفهومة من قبل المستثمرين الأجانب كما ويتيح الإطلاع على معلومات عن الشركات بشفافية أكبر انسجاماً مع متطلبات الحوكمة.

ب- ٣ السيناريو الثالث: إعداد نظام محاسبي مطابق للمقاييس المحاسبية الدولية
يرمي هذا السيناريو إلى إنتاج نسخة جديدة محدثة من المخطط الوطني للمحاسبة بحسب المفاهيم، المبادئ، القواعد، والحلول المستنبطة من المعايير المحاسبية الدولية (مع إحترام الخصوصية الجزائرية). في هذه الصيغة الجديدة للمخطط الوطني المحاسبي PCN، ستكون المعالجات بالنسبة للأهداف المنسوبة للمحاسبة، وسيجد المستثمرون الأجانب سيجدون المعالجات المستعملة على المستوى الدولي.

٤- ٣ الخيار الجزائري من أجل الإصلاح المحاسبي:

بعد تقديم السيناريوهات الثلاثة المقترحة من قبل المجلس الوطني (الفرنسي) للمحاسبة (CNC)، فضّل المجلس الوطني (الجزائري) للمحاسبة تبني الإختيار الثالث. ينبغي التأكيد على أن البنك الدولي والصندوق النقدي الدولي يفضلان أن تطبق الدول التي تلجأ إليهما لتمويل مشاريعها المعايير المحاسبية الدولية. وحيث أن إصلاح المخطط الوطني المحاسبي PCN تم بتمويل من البنك الدولي، فربما أثر ذلك على تبني الجزائر للسيناريو الثالث؛ وهو ما يفسر توجه نحو التغيير الجذري. يشمل هذا المرجع المحاسبي الجديد للمؤسسة جزءاً معتبراً من المعايير IAS-IFRS التي تم إصدارها في إطار تقديم الوثائق المالية. وفي الواقع، فقد حصل تغيير في الثقافة المحاسبية يتجاوز مجال المحاسبة نحو السعي لتقريب القواعد المحاسبية المطبقة من قبل المؤسسات الجزائرية من معايير IFRS.

التغيير في الإتفاقية تم تحت تأثير الإتصال والنية الإستراتيجية؛ فتعزيز الإتصال مع مختلف الشركاء تم نتيجة تحرير الإقتصاد، في حين نتجت النية الإستراتيجية عن الدور الذي لعبه البنك الدولي والصندوق النقدي الدولي في الدفع بإتجاه هذا الخيار، وخاصة على مستوى قرار التمويل.

الخاتمة:

انفتاح الإقتصاد الجزائري على العولمة هو كذلك فرصة لإصلاح أو تعديل المجال المحاسبي الموجود بعمق. وللإشارة، فإن المخطط الوطني المحاسبي PCN طبق منذ ١٩٧٥ واستمر حتى العام ٢٠٠٩، وكان ملائماً للاقتصاد المركزي إلا أنه أصبح لا يلبي انشغالات المهنيين والمستثمرين، وذلك للأسباب التالية:

- المقاربة من حيث الملكية وليس من الناحية الاقتصادية.
- كان مناسباً لانشغالات إدارة الضرائب والإدارات الأخرى.

• عدم اخذ المعطيات الجديدة وبعض المفاهيم المستحدثة (مثل القيمة الحقيقية، القيمة النفعية...) بعين الاعتبار

من خلال التفكير وإعداد المرجع المحاسبي، دخلت الجزائر في مرحلة تطبيق المعايير الأساسية لـ IAS-IFRS. إن الإطار التصوري حدد المبادئ والفرضيات التي تسمح بإعداد الوثائق المالية للمؤسسات: الميزانية وحساب النتائج وغيرها من الوثائق والمعلومات التي بات إعلانها ونشرها مطلوباً بموجب المخطط الوطني المحاسبي PCN المحدث. يسمح ذلك بإعطاء الأولوية للجانب الإقتصادي والمالي للعمليات بدلا من المظاهر القانونية، كما يسمح بوجود نظام معلومات جداً مبسط معتمداً على محاسبة الخزينة بالنسبة للمؤسسات الصغيرة. إن النظام المحاسبي الجديد للمؤسسات يجب أن يتكيف مع التحولات في المحيط البيئي للمؤسسة، والذي يستعمل حالياً في إطار الإقتصاد ليبرالي حيث توجد عمليات وتبادلات خاصة.

علاوة على ذلك، وخلال التطور التاريخي للإصلاحات المحاسبية في الجزائر (التحول من P.C.G إلى PCN، والتحول من PCN إلى SCF، النظام المحاسبي والمالي الجديد)، فإننا نلاحظ بوضوح مكانة الإتفاقيات في التحولات.

محمد أحمد العثمان

مدرس لمادة التربية الإسلامية في ثانويات حلب

استثمار أوقاف الجمعيات الخيرية الإسلامية أحكام وضوابط

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين، والأئمة الأربعة المتبوعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

تعد الجمعيات الخيرية الإسلامية المتوزعة في أصقاع بلدان الدول الإسلامية من أهم الروافد التي تغذي الفقراء وذوي الحاجات وكذا المرضى وأهل الإعاقة، ولكن الأمر الوحيد الذي يضمن لها دوام بقائها واستمرار عطاءاتها هو تنامي مواردها، ولا يكون ذلك إلا عن طريق استثمار مواردها القابلة للاستثمار، والبحث يهتم بجانب من موارد الجمعيات الخيرية ألا وهو الأوقاف.

أهمية البحث: إن أهم ما يطرق أبواب الجمعيات الخيرية الإسلامية هو عملية استثمار الأوقاف الموقوفة عليها أو على غاياتها، وهي بدورها أيضاً قد أقلقنا القائمين على الجمعيات لأسباب كثيرة: منها اختلاف ألفاظ الواقفين الأمر الذي يوجب العمل بألفاظهم وصيغ وقفياتهم، ومنها أيضاً تحديد صيغ الاستثمار الصحيحة والنافعة شرعاً واقتصاداً، وأخيراً كثرة الاحتياج للنفقات من قبل المستحقين، ومن هنا يكتسب هذا الموضوع أهمية خاصة.

الغرض من البحث: إن الغرض من البحث هو إيضاح المسائل المشككة التي تؤثر في الاستثمار من قريب أو بعيد هذا من جهة، ومن جهة أخرى بيان الضوابط الشرعية ممزوجة بالضوابط الاقتصادية التي تكفل الاستثمار الآمن لأوقاف الجمعيات الخيرية الإسلامية.

مشككة البحث: تكمن المشككة في تنوع الأحكام المؤثرة في عملية الاستثمار، وفي غياب الضوابط الشرعية والاقتصادية التي تحدد للقائمين على الجمعيات الخيرية مساهم الاستثماري لأوقاف الجمعية.

منهج البحث: لقد سلكت في بحثي منهج المقارنة بين المذاهب الأربعة قدر الإمكان، كما اعتمدت

في تصحيح الأحاديث على مظانها، فإن كان الحديث مخرجاً في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان مخرجاً في غيرهما ذكرت حكمه عند المعتمدين من أهل هذا الفن. الدراسات السابقة: لم اضفر على بحث تناول هذا الموضوع بالخصوص، إلا ما كان مكتوباً في بعض الكتب التي تتناول أحكام الوقف عموماً، وهي لا تغني المقام، ولا تأتي بالمرام. خطة البحث: تتجلى الخطة فيما يلي:

مطلب تمهيدي :

الفرع الأول: تعريف استثمار الأوقاف لغة واصطلاحاً.

الفرع الثاني: مشروعية الأوقاف على السبل المختلفة.

الفرع الثالث: حكم الاستثمار لأموال الأوقاف من قبل القائمين على الجمعيات الخيرية الإسلامية.

المطلب الأول: الأحكام الفقهية المؤثرة في عملية الاستثمار:

الفرع الأول: أقسام الأوقاف من حيث إمكانية استثمارها.

الفرع الثاني: حكم شرط الواقف.

الفرع الثالث: دور المصلحة في مخالفة شرط الواقف.

الفرع الرابع: ضابط سلطة الدولة في التصرف بالموقوف.

الفرع الخامس: أثر الغبطة الظاهرة في جواز التصرف بالموقوف من قبل القائمين على الجمعية الخيرية.

المطلب الثاني: ضوابط استثمار الأوقاف من قبل الجمعيات الخيرية :

الضابط الأول: ضابط الحلال والحرام.

الضابط الثاني: تكييف نوع الاستثمار حسب الحاجة في الأموال الموقوفة للاستعمال.

الضابط الثالث: ترتيب الاستثمارات حسب الأكثر تحقيقاً للمصلحة في الأموال الموقوفة للاستغلال.

الضابط الرابع: البعد عن المخاطرة في الاستثمار.

الضابط الخامس: مراعاة شرط الواقف ما أمكن.

الضابط السادس: دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع الاستثماري.

الضابط السابع: الاعتماد على الإدارة الصالحة للمشروع الاستثماري.

مطلب تمهيدي :

الفرع الأول : تعريف استثمار الأوقاف لغة واصطلاحاً :

أولاً: معنى الاستثمار في اللغة: مصدر استثمر يستثمر، وهو للطلب، وأصله من الثمر، ويقال ثمر الشجر ثموراً: أي أظهر ثمره، وثمر الشيء: أي نضج وكمل، ويقال ثمر ماله: أي كثر، وأثمر الشجر: أي بلغ أو ان الإثمار، ويقال استثمر المال وثمره: أي استخدمه في الإنتاج^(١).

ثانياً: معنى الوقف في اللغة: الوقف في أصل اللغة هو سوار من عاج، يقال وقفت المرأة توقيفاً، إذا جعلت في يديها الوقف، يعني أن السوار حبس يدها.

ويقال: فرسٌ موقّفٌ، إذا أصاب الأوظفة منه بياض في موضع الوقف ولم يعدها إلى أسفل ولا فوق، فذلك التوقيف، أي احتبس البياض في ذلك الموضع ولم ينتشر.

ووقف الدار للمساكين أو على المساكين إذا حبسها.

ثالثاً: الاستثمار في الاصطلاح الشرعي هو: تنمية المال بكل الطرق المشروعة^(٢).

وعُرف أيضاً: بأنه جهد وراع رشيد يبذل في الموارد المالية والقدرات البشرية بهدف تكثيرها وتمييتها والحصول على منافعها وثمارها^(٣).

رابعاً: تنوعت تعريفات الفقهاء للوقف، وذلك بسبب اختلافهم في أحكام الوقف عموماً، وقد اخترت تعريفين من مجموعها، وهما واحد للحنفية والآخر للمالكية.

حيث عرفه الصاحبان من الحنفية بأنه: «حبس العين على حكم ملك الله تعالى»^(٤).

وعرفه المالكية بأنه: «إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازماً بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديراً»^(٥).

خامساً: والمراد باستثمار الأوقاف في الاصطلاح الفقهي: هو إحداث النماء والزيادة فيها، عن

١- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي/بيروت، ط/١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، مادة «ثمر».

فيروز آبادي، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي/بيروت، ط/١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. في «ثمر».

٢- حماد، أساليب استثمار الأوقاف وأسس إدارتها بحث الدكتور نزيه حماد، ضمن أبحاث ندوة نحو دور تنموي للوقف، ثلة من المشاركين، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ١٩٩٢م، ص ١٧٢. المطوع، مشروع قانون الوقف الكويتي في إطار استثمار وتنمية الموارد الوقفية، الدكتور: إقبال عبد العزيز المطوع، طبعة الأمانة العامة للأوقاف في الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م. ص ٢٧٨-٢٧٩.

٣- دنيا، تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي، دراسة مقارنة، د. شوقي أحمد دنيا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٨٤م. ص ٩٠.

٤- الزليعي، تبيين الحقائق شرح كثر الدقائق، فخر الدين عثمان بن علي الزليعي رحمه الله، وبهامشه حاشية الشيخ شهاب الدين أحمد الشلبي على هذا الشرح الجليل، تصوير دار المعرفة/بيروت عن المطبعة الكبرى الأميرية، الطبعة الأولى ١٣١٢هـ. ٣/٢٢٥، ابن الهمام، شرح فتح القدير للعاجز الفقير، الامام كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي ثم السكندري المعروف بابن الهمام الحنفي، طبع دار إحياء التراث العربي/بيروت. ٥/٤١٦.

٥- الحطاب، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل لأبي عبد الله محمد بن محمد المغربي المعروف بالحطاب المتوفى ٩٥٤هـ، دار الفكر/بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م. ٦/١٨.

طريق وضع صيغ تموية شرعية مخصصة. وهو الذي يعبر عنه بعملية التنمية. ويمكن أن نعرفه أيضاً بأنه عملية تنمية أموال الوقف أو تنمية ريعها بكافة الصيغ الشرعية المتاحة مع الحفاظ على رأس مال الوقف ومراعاة الشروط المخصصة ما أمكن.

سادساً: والجمعيات الخيرية الإسلامية هي: كل جماعة ذات تنظيم مستمر لمدة غير معينة، تتألف من أشخاص طبيعية أو اعتبارية لغرض غير الحصول على ربح مادي، بل لتحقيق غرض أو أكثر من أغراض البر أو الرعاية الاجتماعية قُصِرَ نفعها على أعضائها أو لم يقصُر عليهم، وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية.

الفرع الثاني: مشروعية الأوقاف على السبل المختلفة:

لقد عرف المسلمون الوقف قديماً منذ الرعيل الأول، وتعددت أنواعها بتعدد غاياتها وأهدافها، حيث وقف عدد من الصحابة رضوان الله عليهم بيوتات لأبنائهم وبناتهم ضمن شروط مخصصة، كما روى البخاري^(١) معلقاً^(٢) ووصله غيره قال: وقف أنس داراً فكان إذا قدم نزلها^(٣). وتصدق الزبير بدوره قال للمردودة من بناته: أن تسكن غير مضرّة ولا مضر بها فإن استغنت بزوج فليس لها حق^(٤).

وجعل ابن عمر نصيبه من دار عمر سكني لذوي الحاجات من آل عبد الله^(٥).

١- الإمام البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم البخاري، صاحب الصحيح والتصانيف، مولده في شوال سنة ١٩٤هـ، عكف على حفظ الحديث وهو صبي، ونشأ يتيماً، وكان رأساً في الزكاة ورأساً في العلم، ورأساً في الورع والعبادة، توفي ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦هـ. (الذهبي، تذكرة الحفاظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ، دار إحياء التراث العربي/بيروت، ١/٥٥٥).

٢- رواه البخاري معلقاً في كتاب الوصايا، باب: إذا وقف أرضاً أو بئراً أو اشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين. (البخاري، الجامع الصحيح للإمام البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار العلوم الإنسانية /دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
٣- ذكره البخاري في صحيحه معلقاً، في الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً.

٤- وصله البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الوقف، باب الصدقات المحرمات، ٦/١٦١. (البيهقي، السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى ٤٥٨هـ، دار المعرفة/بيروت).

٥- ذكره البخاري في صحيحه معلقاً، في الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً. وصله الدارمي في كتاب الوصايا، باب في الوقف (ح٢٣٤٢). ولفظه: عن هشام عن أبيه، أن الزبير جعل دوره صدقة على بنيه، لا تباع ولا تورث، وأن للمردودة من بناته أن تسكن غير مضرّة ولا مضار بها، فإن استغنت بزوج فلا حق لها. (الدارمي، المسند للحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي المتوفى ٢٥٥هـ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني/السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م). ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب البيوع والأفضية، باب من كان يريد أن يوقف الدار والمسكن، ٦/٢٥١. (ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار للحافظ أبي بكر ابن أبي شيبة، تحقيق: مختار أحمد الندوي، الدار السلفية، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م). والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الوقف، باب الصدقة على ما شرط الواقف من الأثرة والتقدمة والتسوية، ١٦٦/٦.

٥- رواه البخاري معلقاً في الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً، فتح الباري ٥/٤٨١، وصله ابن سعد في طبقاته قال: أخبرنا خالد بن مخلد قال: حدثنا عبد الله بن عمر عن نافع قال: .. الحديث. (ابن سعد، الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر/بيروت، ٤/١٦٢).

هذا كله فضلاً عن الأوقاف التي أرسدت للفقراء والمساكين في عهد النبي I، فكان هو الموجه لهم والمرشد لأبواب الخير.

أ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما^(١) قال: «أصاب عمر^(٢) أرضاً فأتى النبي صلى الله عليه وسلم تأمره فيها، فقال: «يا رسول الله إني أصبت أرضاً بخبير لم أصب قط مالا أنفس عندي منه فما تأمرني فيها؟ فقال: «إن شئت حبّست أصلها وتصدقت بها، غير أنه لا يباع أصلها ولا يبتاع ولا يوهب ولا يورث، قال: «فتصدق بها عمر في الفقراء وذوي القربى والرقاب وابن السبيل والضعيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها، أو يطعم صديقاً بمعروف غير متأثر فيه^(٣) أو غير متمول فيه^(٤)».

وجه الاستدلال: الاستدلال بالحديث ظاهر على المقصود إذ قوله صلى الله عليه وسلم «حبّست أصلها» بمعنى وقتت وهو ظاهر في الدلالة، وهذا الحديث هو الأصل في هذا الباب، وقد اشتهر هذا الوقف بأنه أول وقف في الإسلام.

ب - وعن أنس رضي الله عنه^(٥) قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة نخلاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت ﴿لَنْ نَأْكُلَ الرِّحَىٰ حَتَّىٰ تَنْفُقُوا مِمَّا حُبَبْنَا﴾^(٦) قال أبو طلحة:

١- عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر قبل أبيه، لم يشهد بدرأ لأن النبي صلى الله عليه وسلم رده لصغر سنه، كان كثير الاتباع لأنار النبي صلى الله عليه وسلم وكثير الحج والصدقة ربما تصدق بالجلس الواحد بثلاثين ألفاً، وقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: إن عبد الله رجل صالح، توفي سنة ٧٢هـ. (ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، دار إحياء التراث العربي / بيروت، ٢٢٧/٢، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر / بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٢٤٧/٢)

٢- عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص، أمير المؤمنين، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، كان إسلامه بعد أربعين رجلاً، وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، مات شهيداً طعنه أبو لؤلؤة المجوسي سنة ٢٢هـ ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه. (ابن الأثير، أسد الغابة ٤/٥٢، ابن حجر، الإصابة ٢/٥١٨)

٣- أخرجه البخاري في الوصايا، باب الوقف كيف يكتب، (ح ٢٦٢٠). ومسلم في الوصية، باب الوقف، (ح ١٦٣٢). (مسلم، الجامع الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي / بيروت)

٤- قوله صلى الله عليه وسلم: «غير متأثر فيه أو غير متمول فيه» روايتان، والمتأثر هو الجامع، يقال: مال مؤثّل ومجد مؤثّل، أي مجموع ذو أصل. والتأثر: اتخاذ أصل المال حتى كأنه عنده قديم. وقوله «غير متمول فيه» أي غير متخذ منها مالا أي ملكاً. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري الشهير بابن الأثير ٥٤٤هـ/٦٠٦هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء التراث العربي / بيروت، ٢٣/١ و ٤/٢٧٣، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، اعتنى به: محمود بن الجميل، ط/ مكتبة الصفا، ط/ ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٤٧٥/٥).

٥- أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، أبو حمزة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه أم سليم بنت ملحان، خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنوات، فدعا له بكثرة المال والولد، وهو من المكثرين في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ٩٢هـ، وكان عمره مائة وثلاث سنوات. (ابن الأثير، أسد الغابة ١/١٢٧، ابن حجر، الإصابة ١/٧١).

٦- آل عمران: ٩٢

يارسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ نَأْتِيَ الْقَبْرَ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُونَ﴾ * وأن أحب أموالي إليّ يبرحاء وإنما صدقة لله، أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يارسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت: إنني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة: أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه^(١).

وجه الاستدلال بالحديث: هو قوله (وإنها صدقة لله)، والتصديق هنا بمعنى الوقف، لأنهم كانوا يطلقون لفظ الصدقة على الوقف، والصدقة بالحائط هي وقف، ويزيد الاستدلال وضوحاً إقرار النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله: بخ. وقال ابن حجر رحمه الله^(٢): «في فتح الباري: «واستدلّ به على مشروعية الحبس والوقف خلافاً لمن منع ذلك وأبطله»^(٣).

الفرع الثالث: حكم الاستثمار لأموال الأوقاف من قبل القائمين على الجمعيات الخيرية الإسلامية:

إن الفكرة التي بنى عليها الوقف الإسلامي عموماً، ووقف الجمعيات الخيرية خصوصاً، هي سد حاجات المحتاجين، وإكفاء المعوزين، ولا يتكامل مثل هذا العمل إلا عن طريق ضمان موارد يشترط لها ما يلي:

أ - أن يكون المورد دائماً: ويكون ذلك باستغلال فكرة الوقف المؤبد على مصالح الجمعيات الخيرية.

ب - أن يكون المورد مستقراً: ويمكن تأمين ذلك عن طريق الاستثمار في صيغ آمنة وخصوصاً في مجال العقارات من أراض وبيوت ودكاكين، ومن أفضل سبل تحقيق ذلك هو دراسة الجدوى الاقتصادية لأي مشروع استثماري يراد إقامته.

ج - أن يكون المورد نامياً: حيث يعد هذا الشرط مكملاً لأفضل أنواع النجاح في عمليات استثمار أموال الأوقاف للجمعيات الخيرية الإسلامية.

١- أخرجه البخاري في الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، (ح ١٤١٦). ومسلم في الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج، (ح ٩٩٨).

٢- ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي أبو الفضل الكتاني العسقلاني المصري ثم القاهري الشافعي، الشهاب إمام الأئمة، ويعرف بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه، ولد سنة ٧٧٢هـ صاحب المصنفات، انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر، ومنها فتح الباري شرح صحيح البخاري، وبلوغ المرام من أدلة الأحكام، وإنباء الغمر بأبناء العمر وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٨٥٢هـ، ودفن بالقرافة تجاه تربة الديلمي. (السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة / بيروت، ٣٦/٢، الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشيوخ محمد بن علي الشوكاني المتوفى ١٢٥٠هـ، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر / دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ١٠٢، الزركلي، الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٨، ١٩٨٩م، ١/١٧٨).

٣- ابن حجر، فتح الباري، كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً، ٤٦٥/٥.

ومن هنا يتبين لنا استحباب الاستثمار لأموال الأوقاف من قبل الجمعيات الخيرية الإسلامية، وعدم تركها للزمان ليأكلها. والله تعالى أعلم.

المطلب الأول: الأحكام الفقهية المؤثرة في عملية الاستثمار:

تتأثر عملية استثمار الأوقاف من قبل الجمعيات الخيرية الإسلامية بأحكام كثيرة، الأمر الذي يعيق عملية الاستثمار أو يسرع عجلته، مما يلزمنا في بحثنا هذا أن نقف على جملة هذه الأحكام شرحاً وتفصيلاً لآراء الفقهاء رحمهم الله تعالى، وذلك في الفروع الآتية:

الفرع الأول: أقسام الأوقاف من حيث إمكانية استثمارها:

القسم الأول: أوقاف لا يمكن استثمارها مطلقاً:

ويشمل هذا القسم المسجد والمقبرة، حيث لا يجوز استثمار المسجد أبداً، لا في حال الاختيار ولا في حال الضرورة، ومهما كان نوع الاستثمار، ويمكن التمثيل لحالات الضرورة بما يلي: كما إذا تهدم مسجد ما حيث يحتاج إلى أموال لإصلاحه، ولا يوجد ما يسد حاجة المسجد ويتصدى لنفقات ترميمه إلا بتأجيله، فلا يصح تأجيله. والحكم ذاته فيما لو غادر أهله المقيمون حوله، فلم يبق حاجة للمسجد، لأن المسجدية باقية لا تزول عنه، وكذلك الحكم بالنسبة للمقبرة، لأنها تلحق به.

إلا أن محمداً من الحنفية والحنابلة أجازوا بيع المسجد في حال ذهاب أهله المقيمين حوله، على أن ينقل ثمنه إلى بناء مسجد آخر، وأهله أولى بالثمن لبناء مسجد في محلته الجديدة^(١).

القسم الثاني: أوقاف يمكن استثمارها عند الحاجة:

هي الأوقاف التي وقفها أصحابها لاستعمالها، كالدار الموقوفة على الطلاب أو الفقراء، وكالبناء الموقوف لأعمال الجمعيات الخيرية، فهذا القسم يعد وقفاً غير إنتاجي، فلا نتاج له لأن طبيعة وقفه لأجل استعماله في الوجوه التي جعل لأجلها، فهو إذاً غير مخصص للإنتاج والاستثمار، وعليه فلا يصح استثماره لمانع شرعي، إلا في حالات الضرورة التي قدرها الفقهاء في حدود إصلاحه وعمارته إن أبى الموقوف عليه ذلك، حيث يقوم القاضي بتأجيله لمدة لا تزيد عن حاجة الوقف الإصلاحية.

القسم الثالث: أوقاف موقوفة للاستثمار:

وهذا القسم هو موقوف على الجمعية الخيرية لأجل استثماره ومن ثم صرف ريعه في مصالح الجمعية ومصارفها، كالدار والداكاكين والبساتين الموقوفة عليها، وكذلك كالفنادق والعمائر التي تستثمر بأنواع من صيغ الاستثمار.

١- البابرّي، شرح العناية على الهداية لأكمل الدين محمد بن محمود البابرّي المتوفى ٧٨٦هـ على هامش فتح القدير ٤٤٦/٥، البهوتي، كشف القناع لمنصور بن يونس البهوتي، تحقيق: الشيخ محمد عدنان ياسين درويش، دار إحياء التراث العربي / بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. ٤٠٨/٢٨٦.

الفرع الثاني: حكم شرط الواقف:

ذكر الفقهاء قاعدةً وهي: «شرط الواقف كنص الشارع»، كناية عن الالتزام بشرط الواقف ما أمكن.

وتتعلق بهذه القاعدة مسألتان: الأولى: طريقة فهم المراد من الشرط.
الثانية: وجوب العمل به وعدم مخالفته.

الأولى: طريقة فهم المراد من الشرط:

اتفقت المذاهب الأربعة على أنه يراعى شرط الواقف ما أمكن حتى قالوا: يجب الالتزام بشرطه، ولكن وفق ضوابط وقيود.

ولكنهم اختلفوا وراء ذلك في درجة الالتزام بدلالة الشرط ومفهومه، فذهب أصحاب المذاهب الثلاثة غير الحنفية إلى اعتبار دلالة الشرط ومفهومه دون التفريق بينهما^(١).

وأما الحنفية فقد ذهبوا إلى عدم اعتبار مفهوم المخالفة في شرط الواقف حيث نقل ابن عابدين: رحمه الله: عن الإمام الخصاف^(٢) والعلامة البيهري^(٣) والعلامة قاسم^(٤) وعن الفتاوى الخيرية القول بعدم العبرة بالمفهوم حيث نقل عن الخيرية قوله: «أي فإذا قال: وقضت على أولادي الذكور يصرف إلى الذكور منهم بحكم المنطوق، وأما الإناث فلا يعطى لهن لعدم ما يدل على الإعطاء إلا إذا دل في كلامه دليل على إعطائهن فيكون مثبتاً لإعطائهن ابتداءً لا بحكم المعارضة».

وهناك قول آخر عند الحنفية: نقله ابن عابدين عن المتأخرين: يقول باعتبار المفهوم كما هو

١- عيش، منح الجليل شرح على مختصر سيدي خليل للشيخ محمد عيش، دار الفكر /بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ١٤٧/٨، الشرييني، مغني المحتاج للخطيب الشرييني، دار المعرفة /بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٤٩٧/٢، البهوتي، كشاف القناع ٢٥٨/٤.

٢- الخصاف: أحمد بن عمر بن مهير الخصاف، أخذ عن أبيه عن الحسن عن أبي حنيفة رحمه الله، كان فرضياً حاسباً عارفاً بمذهب أبي حنيفة، له كتاب الحيل وكتاب الوصايا، وكتاب الشروط الكبير والصغير، وكتاب الرضاع وكتاب أحكام الوقف وغيرها من الكتب، وكان ورعاً زاهداً يأكل من كسب يده، مات سنة ٢٦١هـ وقد قارب الثمانين. (اللكنوي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية للشيخ محمد عبد الحي للكنوي الهندي، تحقيق: أحمد الزعبي، دار الأرقم /بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ٥٦، الغزي، الطبقات السننية في تراجم الحنفية، تقي الدين عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري الحنفي المتوفى ١٠٠٥هـ، تحقيق: د.عبد الفتاح محمد الحلو، دار الرفاعي /الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ١٨/١، ابن قطلوبغا، تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا السوداني المتوفى ٨٧٩هـ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم /دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ٩٧).

٣- البيهري: علي بن عبد الله بن يوسف البيهري ثم الحلبي، علاء الدين، نشأ واشتهر بجلب، واستكتبه السلاطين، وولي كتابة السرّ للأمير يليغا الناصري نائب حلب، توفى سنة «٧٩٤هـ». (الزركلي، الأعلام ٣٠٦/٤).

٤- العلامة قاسم بن قطلوبغا، زين الدين، أبو العدل، فقيه حنفي مؤرخ باحث مولده ووفاته بالقاهرة، له تاج التراجم، غريب القرآن، والفتاوى وشرح مختصر المنار، وهو تلميذ الكمال ابن الهمام، ولد سنة «٨٠٢هـ» وتوفى سنة «٨٧٩هـ». (اللكنوي، الفوائد البهية، ص ١٦٧، الزركلي، الأعلام ١٨٠/٥).

عليه أهل المذاهب الأخرى^(١).

الثانية : وجوب العمل به وعدم مخالفته :

اتفقوا أيضاً على أنه يجب العمل بالشرط ولا تجوز مخالفته إلا إذا دعت الضرورة والمصلحة لها، سواء قُدِّرت من قبل الواقف أو الموقوف عليهم أو الناظر أو القاضي، وذلك بحسب الشرط أو حسب الضرورة والمصلحة القائمة بالعين الموقوفة^(٢).

وعموماً إن قاعدة «شرط الواقف كنص الشارع» ليست على إطلاقها^(٣)، لأن من الشروط ما لا تصح، ومنها ما يبطل العقد ويفسده، فما هي إذاً ضوابط شروط الواقف؟
أ - أن لا يخالف الشرط المبادئ العامة للشريعة الإسلامية.

ب - أن لا يخالف الشرط مقتضى الوقف أو مضمونه.

ج - أن لا يضر الشرط بمصلحة الوقف أو غايته.

د - أن لا يكون الشرط مما يؤدي إلى تعطيل الانتفاع بالوقف أو تقليفه.

هـ - أن لا يضر بمصلحة الموقوف عليه وحقوقه^(٤).

-الفرع الثالث: دور المصلحة في مخالفة شرط الواقف:

- الأصل في شروط الواقف وجوب العمل بها وفق الضوابط التي ذكرناها، ولكن قد يضر شرط الواقف : مع مرور الأزمان والعصور : بمصلحة الوقف أو الموقوف عليه أو بمصلحة المسلمين العامة، فهل يجوز عندئذ مخالفة هذه الشروط؟

وذلك كما في مسألة من اشترط عدم بيع الموقوف، إلا أن الموقوف وصل إلى درجة لا يمكن الانتفاع به إلا ببيعه أو استبداله بأخر.

فهل يجوز في هذه الحالة البيع أو الاستبدال أم لا؟

وما هو دور المصلحة في مخالفة شرط الواقف؟

أولاً: معنى المصلحة :

المصلحة المرادة في الوقف ما يقابل المفسدة، فإذا كان وجود شرط الواقف يؤدي إلى مفسدة،

١- ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، لخاتمة المحققين محمد ابن عابدين، تحقيق:محمد صبحي، حسن الحلاق، عامر حسين، دار إحياء التراث العربي /بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. ٤/٦٣٤.

٢- ابن نجيم، الأشباه والنظائر، مع نزهة النواظر على الأشباه والنظائر لابن عابدين، تحقيق مطيع الحافظ، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م. ٢/٢٢٨، داماد أفندي، مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر، لعبد الله بن محمد بن سليمان المعروف بداماد أفندي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي /بيروت. ١/٨٥٤، الحطاب، مواهب الجليل ٦/٣٦، الشرييني، مغني المحتاج ٢/٤٩٧، البهوتي، كشاف القناع ٤/٢٥٨، وهذا هو الصحيح من مذهب الحنابلة أنه يراعى شرطه في وجوب العمل به.

٣- داماد أفندي، مجمع الأنهر ١/٧٥٣+٧٥٤.

٤- المطوع، مشروع قانون الوقف الكويتي ص ١٧٧.

فمخالفة الشرط فيها مصلحة.

والمصلحة التي تؤثر في مخالفة شرط الواقف، تتعلق بأحد أربعة أطراف:

أولاً: مصلحة الموقوف: فإن كانت مصلحة الموقوف تتأثر بشرط الواقف جازت مخالفته، كأن يشترط الواقف منع بيع الموقوف حتى في حال تعطل جميع منافعه أو أكثرها.

ثانياً: مصلحة الموقوف عليه: فإن كانت مصلحة الموقوف عليه تتأثر بشرط الواقف جازت مخالفته أيضاً، كأن يشترط الواقف أن نفقة الموقوف على الموقوف عليه.

ثالثاً: مصلحة المسلمين العامة: فإذا تعارضت مصلحة المسلمين العامة مع شرط الواقف قدمت المصلحة العامة، كالديان الموقوف الذي اشترط واقفه عدم هدمه أو تغيير مواصفاته وضاق الطريق على المسلمين ولا مناص إلا بهدمه جاز هدمه بإذن القاضي.

رابعاً: مصلحة القائمين على الموقوف: كما إذا شرط مرتباً للقائمين على الموقوف من ناظر أو إمام أو مؤذن أو غيرهم، وكان المرتب لا يكفيهم جاز للقاضي أن يزيد مرتبهم من الموقوف.

فالمصلحة التي تؤثر في تغيير شرط الواقف تتعلق بواحد من هذه الأطراف الأربعة.

ثانياً: آراء الفقهاء في المسألة:

اتفق الفقهاء على أن للمصلحة دوراً في مخالفة شروط الواقف من حيث الجملة، إلا أنهم اختلفوا في تقدير المصلحة الراجعة في كل طرف ما أدى ذلك إلى اختلافهم في الفروع الفقهية، وهذا تفصيل مذاهبهم:

مذهب الحنفية:

ذكر الحنفية العديد من المسائل التي تجوز فيها مخالفة شرط الواقف، وقد اشتهرت هذه المسائل بالمسائل السبعة، وهي كالتالي:

الأولى: شرط الواقف أن القاضي لا يعزل الناظر، فله عزل غير الأهل.

الثانية: شرط أن لا يؤجر وقفه أكثر من سنة، والناس لا يرغبون في استئجار سنة، أو كان في الزيادة نفع للفقراء، فللقاضي المخالفة دون الناظر.

الثالثة: لو شرط أن يقرأ على قبره، فالتعيين باطل على القول بکراهة القراءة على القبر، ولكن الفتوى على قول محمد رحمه الله في جواز القراءة^(٥).

الرابعة: شرط أن يتصدق بفاضل الغلة على من يسأل في مسجد كذا كل يوم، لم يراع شرطه، فللقائم التصدق على سائل غير ذلك المسجد أو خارجه أو على من لا يسأل.

الخامسة: لو شرط للمستحقين خبزاً أو لحماً معيناً كل يوم، فللقائم أن يدفع القيمة من النقد، والراجح أن الخيار لهم دلالة، أي إما طلب العين أو أخذ القيمة.

٥- في هذه المسألة ليس السبب في مخالفة شرط الواقف هو المصلحة، وإنما هو مخالفة الشرط مبدأً من مبادئ الشريعة العامة.

- السادسة: تجوز الزيادة من القاضي على معلوم الإمام، إذا كان لا يكفيه وكان عالماً تقياً.
- السابعة: شرط الوقف عدم الاستبدال، فللقاضي الاستبدال إذا كان أصلح^(١).
- ويمكن أن تستخلص من هذه المسائل القواعد التي يكون بها مخالفة شرط الواقف، وقد ضبطت هذه القواعد الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا رحمه الله فقال:
- فيما يجوز من الشروط وتجاوز مخالفته عند الحاجة:
- أ - كل شرط قد يؤول إلى تعطيل استثمار الوقف أو قلة الثمرة.
- ب - كل شرط في مصارف الوقف قد يؤول إلى التعذر.
- ج - كل شرط قد يؤول إلى غبن القائمين بأعمال الوقف الضرورية في أجورهم.
- د - كل شرط تكون مخالفته أسهل تنفيذاً، دون إخلال بالمقصود من غرض الواقف^(٢).

مذهب المالكية :

ذكر المالكية القواعد التي تضبط المصلحة التي يجوز بها مخالفة شروط الواقف، وهي:

الأولى: كل شرط يخالف قصد الواقف وغرضه لأنه يراعى قصد الواقف لفظه، فيجوز لناظر الوقف أن يفعل في الوقف ما كان قريباً لغرضه، وإن خالف شرطه^(٣).

ومثلوا لها: بأنه لو وقف الواقف ماءً على الغسل والوضوء، فيجوز لناظر أن يمكن العطشان ليشرب منه، لأنه لو كان حياً لما منع من ذلك.

ولو وقف الكتب واشتراط عدم إخراجها من المدرسة، فاحتاج الطالب إلى إخراجها، كان له إخراجها: إن كان مأموماً معروفاً: وإلا فلا، لأن غرض الواقف أن لا يضيع^(٤).

الثانية: كل شرط يؤخر أو يلغي صلاح الموقوف ومن ثم بقاء واستمراريته.

كما لو شرط الواقف أنه يبدأ من غلته بمنافع أهله، ويترك إصلاح ما تهدم منه، أو يترك الإنفاق عليه إذا كان حيواناً، بطل شرطه ويجب البدء بعمارته والنفقة عليه من غلته لبقاء عينه^(٥).

وإذا انهدم الوقف يجوز إجارتها بما يبني به، ولو طال الزمن كأربعين عاماً أو أزيد، بقدر ما تقتضي

١- الحموي، غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر، لأحمد بن محمد الحموي، دار الكتب العلمية / بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. وابن نجيم، الأشباه والنظائر، ٢/ ٢٢٨+٢٢٩+٢٣٠، الزحيلي، الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي، أ.د. وهبة الزحيلي، دار الفكر/ دمشق، ط/ ١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ص ١٨١.

٢- الزرقا، أحكام الأوقاف للشيخ مصطفى الزرقا، ط/ ٢، ط/ الجامعة السورية، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م. ص ١٢٣.

٣- ابن غنيم، الفواكه الدواني لرسالة أبي زيد القيرواني، للشيخ أحمد بن غنيم النفاوي، المكتبة الثقافية / بيروت، ٢/ ٢٢٥، الخطاب، مواهب الجليل ٦/ ٣٦.

٤- ابن غنيم، الفواكه الدواني ٢/ ٢٢٥، الخطاب، مواهب الجليل ٦/ ٣٦.

٥- الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لشمس الدين الشيخ محمد عرفة الدسوقي على الشرح الكبير لأبي البركات سيدي أحمد الدردير، مع تقارير للعلامة المحقق سيدي الشيخ محمد عيش، دار الفكر / بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م. ٤/ ١٣٩، عيش، منح الجليل ٨/ ١٥١.

الضرورة، وهو خير من ضياعه واندراسه^(١)، لأن شرط عدم الإطالة في الإجارة مشروط ضمناً.

الثالثة : كل شرط يؤدي إلى الضرر العام بالمنتفعين :

كما إذا كان الوقف مسجداً وفيه ميسأة، جاز للناظر تغيير الميسأة ونقلها لمحل آخر، وتحويل باب مثلاً بالأولى من مكان لمكان آخر مع بقاء المكان ذي البناء على حاله^(٢)، وهذا التغيير يكون لمصلحة، والمصلحة مفسرة بوجود الضرر على المصلين، وإلا لم يجز.

الرابعة : كل شرط لا يفي بغرض الموقوف ولا يخدم مصلحته

كما لو وقف دواباً في سبيل الله، واشترط جعلها في الجهاد، فضعفت هذه الدواب حتى لا يكون فيها قوة على الغزو، بيعت واشتري بثمنها ما ينتفع به من الخيل ويجعل في سبيل الله أيضاً^(٣).

مذهب الشافعية :

وافق الشافعية غيرهم في تقديم مصلحة الوقف، وإن كان المشروط خلافها، فذكروا جملةً من المسائل التي تدل على تقديم مصلحة الوقف على شرط الواقف، وهذا بيان للقواعد التي تضبط المسائل مع فروعها الفقهية:

الأولى : كل شرط يضر بقاء العين الموقوفة وديمومتها :

كما إذا شرط أن لا يؤجر أكثر من سنة ثم انهدمت، وليس لها جهة عمارة إلا أن تؤجر سنين، يجوز ذلك في عقود مستأنفة، وإن شرط الواقف أن لا يستأنف، لأن شرطه في هذه الحالة مخالف لمصلحة الوقف، فلا يلتفت إليه^(٤).

الثانية : كل شرط يضر باستثمار العين الموقوفة :

كما إذا عين الواقف ناظراً غير أمين، واشترط عدم عزله كان للحاكم عزله وتعيين غيره، وذلك عملاً بمصلحة الوقف.

مذهب الحنابلة :

وافق الحنابلة الذين قبلهم في تقديم مصلحة الوقف على شروط الواقف عند التعارض، فذكروا أيضاً عدداً من المسائل التي تضبط تحت قواعد، نستخلصها من استقصاء هذه المسائل:

الأولى : كل شرط يضر بأصل الوقف ويعيق ديمومته واستمراريته :

إذا شرط الواقف تقديم الجهة الموقوف عليها على عمارة الوقف عمل به ما لم يؤد إلى تعطيل

١- الدردير، الشرح الكبير لأبي البركات سيدي أحمد الدردير، مع تقارير للعلامة المحقق سيدي الشيخ محمد عيش، دار الفكر/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، مطبوع مع حاشية الدسوقي. ١٤٩/٤.

٢- الدسوقي، حاشية الدسوقي ١٣٩/٤.

٣- عيش، منح الجليل ١٥٢/٨.

٤- ابن الصلاح، فتاوى ومسائل ابن الصلاح، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعي، دار المعرفة /بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ٦٣٥/٢، حيث أشار للمسألة إشارة فقط في مسائل باب الوقف من فتاواه، الشرييني، مغني المحتاج ٤٩٧/٢.

الموقوف، فإذا أدى إليه قدمت العمارة حفظاً لأصل الوقف^(١).

الثانية: كل شرط يؤول إلى تعطيل استثمار العين الموقوفة:

إذا شرط الواقف أن لا يؤجر الوقف أكثر من سنة، ولكن الناس لا يرغبون في هذه المدة، فجاز هنا الإخلال بشرط الواقف وتجويز الاستئجار أكثر من سنة، وذلك تماشياً مع مصلحة الوقف^(٢).

الثالثة: كل شرط يخالف قصد الواقف، وكان العمل بخلافه أولى:

كمن وقف ماءً للوضوء فالشرب منه يجوز، بل هو أولى وإن كان يخالف شرط الواقف، لأنه لا ينافي قصده وغرضه من الوقف^(٣).

فالحاصل أنه يجوز للقائمين مخالفة شرط الواقف إن أعاق شرطه عملية الاستثمار لأموال الأوقاف، حيث إن الاستثمار الآمن للوقف يعود عليه بالديمومة والاستمرار، وعلى المستحقين بالنفع والخير، وهل يريد الواقف غير هذا.

الفرع الرابع: ضابط سلطة الدولة في التصرف بالموقوف:

لا خلاف بين الفقهاء في اعتبار القائمين على الجمعية الخيرية نظاراً على الأوقاف العائدة لها، ومما لا خلاف فيه أيضاً أن مرجعهم في اتخاذ القرارات التي تؤثر على الموقوف هو الجهة الإدارية المختصة، وهذا يدل على أن سلطة الدولة هي أرجح من سلطة القائمين على الموقوف، ولكن حق القائم كالناظر محفوظ فلا يملك القاضي إبطال تصرفاته الدائرة ضمن مهامه ووظيفته، لأن ولايته أخص وولاية القاضي أعم، وفي حال تجاوز القائمون هذا الحد كان للقاضي حق الإشراف والمحاسبة لمقتضى المصلحة^(٤).

وعلى كل فإن القائمين لا يستطيعون أن يتصرفوا بالموقوف تصرفاً فوق وظيفتهم إلا بإذن القاضي أو من يمثله اليوم، لأن نظر القاضي أعم وأوسع وحكمه أقطع وكما إن حكمه يرفع الخلاف^(٥) كما نصّ عليها الأئمة الفقهاء رحمهم الله تعالى.

فإذا كانت سلطة الدولة على الموقوف أعم من سلطة القائمين، فليس للدولة إلا وأن تتصرف بالمصلحة، وقد نص الفقهاء على قاعدة تضبط تصرفات الدولة في أي شأن من شؤون الناس

١- البهوتي، كشاف القناع ٤/٢٦١.

٢- البهوتي، كشاف القناع ٤/٢٥٥.

٣- البهوتي، كشاف القناع ٤/٢٥٩.

٤- ابن عابدين، رد المحتار ٤/٥٧١.

٥- الزركشي، المنتور في القواعد، بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي المتوفى سنة «٧٩٤هـ»، تحقيق د. تيسير فائق أحمد محمود، راجعه د. عبد الستار أبو غدة، طبعة الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م. ٢/٦٩. ولفظه: «قالوا: حكم الحاكم في المسائل المختلف فيها يرفع الخلاف، وهذا مقيد بما لا ينقض فيه حكم الحاكم، أما ما ينقض فيه فلا». قال الباحث: المسائل التي ينقض فيها حكم الحاكم غير مسائل الباب، والله أعلم.

وخاصةً أموال الأوقاف والقاعدة هي: «التصرف على الرعية منوط بالمصلحة»^(١).

فهذه القاعدة هي الضابط لتصرفات الدولة لأن السياسة الشرعية أساسها المصلحة والعدل، فالدولة تتدخل لحماية المصلحة العامة، وتقدير الظروف التي تستدعي تدخلها محكومٌ بالقواعد الفقهية العامة المعروفة^(٢).

إذاً فالمصلحة المرادة هنا المصلحة التي تخص الجماعة وتهدف إلى خيرها^(٣).

وقال العزُّ بن عبد السلام^(٤) رحمه الله: «يتصرف الولاة ونوابهم بما ذكرنا من التصرفات^(٥) بما هو الأصح للمولى عليه درءاً للضرر والفساد وحباً للنفع والرشاد، ولا يقتصر أحدهم على الصلاح مع القدرة على الأصح إلا أن يؤدي إلى مشقة شديدة، ولا يتخيرون في التصرف حسب تخييرهم في حقوق أنفسهم»^(٦).

هذه هي القاعدة العامة في رعاية المصالح، وأما المصلحة المطلوبة بخصوص أموال الأوقاف فهي كالتالي:

أ - أن لا يخالف في تصرفه الشارع الحكيم لأن ما نهى عنه الشارع هو المصلحة.

ب - أن ينفذ شروط الواقف الصحيحة ما أمكن.

ج - أن يشتري من غلات الموقوف أموالاً ثم يقفها لمصالح الموقوف حفظاً للموقوف وضماناً للغلات من الضياع، وذلك بعد رعاية قيمة الإعمار والإصلاح.

د - أن يحافظ على عين الموقوف ما أمكن، وإن أدى ذلك إلى إقالة الناظر أو إجبار الموقوف عليه على إصلاحه أو إخلائه لتأجيريه من أجل عمارته وإصلاحه.

هـ - أن لا يولي غير أمين أو غير كفاء لقوله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبدٍ يسترعيه الله عز وجل رعية يموت وهو غاش رعيته إلا حرم الله تعالى عليه الجنة»^(٧).

١- السيوطي، الأشباه والنظائر للإمام السيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة، الطبعة الأخيرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م. ص ١٢١.

٢- الدريني، الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، د. فتحي الدريني، ط/ ١، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. ص ٢٢+ ١٦٩.

٣- الزرقا، المدخل الفقهي العام للشيخ مصطفى الزرقا، دار القلم/ دمشق، ط/ ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ٢/ ١٠٥٠ القاعدة ٣٤.

٤- عبد العزيز بن عبد السلام المغربي أصلاً، الدمشقي مولداً، المصري داراً ووفاءً، الملقب بسلطان العلماء، والملقب له هو الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، كان شيخ الإسلام علماً وعملاً وورعاً وزهداً، ولد بدمشق سنة «٥٧٨هـ» له كتاب قواعد الأحكام وغيره، توفي سنة «٦٦٠هـ».

ملحوظة: ذكر الأسنوي في طبقاته أن اسمه عز الدين، إلا أن السبكي ذكر أن اسمه عبد العزيز، ولقبه العزّ. (الأسنوي، طبقات الشافعية، جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي المتوفى ٧٧٢هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ٨٤/٢). ابن السبكي، طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى ٧٧١هـ، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، د. محمود محمد الطنجاوي، دار هجر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م. ٨/ ٢٠٩).

٥- حيث ذكر أنواع التصرفات في قاعدة بيان حقائق التصرفات وهي: نقل وإسقاط وقبض وإذن ورهن وخلط وتملك واختصاص وإتلاف وتأييد خاص وعمام. (العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، سلطان العلماء أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام المتوفى سنة «٦٦٠هـ» دار المعرفة، بيروت، ٦٩/٢).

٦- العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام ٧٥/٢.

٧- أخرجه البخاري في الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، (ح ٦٧٣١).

الفرع الخامس: أثر الغبطة الظاهرة في جواز التصرف بالموقوف من قبل القائمين على الجمعية الخيرية:

معنى الغبطة الظاهرة:

الغبطة في اللغة: هي حسن الحال، وفي الحديث: «اللهم غَبِطاً لا هَبِطاً» يعني نسألك الغبطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالتنا.

وأغبط النباتات: غطى الأرض وكثف وتدانى حتى كأنه من حبة واحدة، وأرض مغبطة إذا كانت كذلك^(١).

الغبطة الظاهرة في الاصطلاح: هي حصول حالة للوقف أفضل من التي هو عليها.

اختلفت آراء الفقهاء في اعتبار الغبطة الظاهرة سبباً مجيزاً للتصرف بالموقوف، ومنشأ اختلافهم هو مقدار الأخذ بقاعدة إطلاق تصرفات القائمين ضيقاً وسعة، فلكل مذهب من المذاهب الأربعة رأي في تكييف المسألة ومن ثم تطبيقها، وهذه آراؤهم:

مذهب الحنفية: ذهبوا إلى عدم اعتبار الغبطة الظاهرة سبباً مجوزاً للتصرف بالموقوف لا من قبل القائم ولا من قبل القاضي، ما دام منافع الموقوف قائمة ولم تتعطل بالكلية، وهذا هو الأصح المختار عندهم، قال الكمال ابن الهمام في فتح القدير: «وإن كان لا لذلك بل اتفق أنه أمكن أن يؤخذ بثمن الوقف ما هو خير منه مع كونه منتفعاً به فينبغي أن لا يجوز، لأن الواجب إبقاء الوقف على ما كان عليه دون زيادة أخرى، ولأنه لا موجب لتجويزه»^(٢).

وذهب أبو يوسف رحمه الله إلى أنه إذا رغب إنسان في الوقف ببديل أكثر غلة وأحسن صقماً جاز استبداله، ويشترط لهذا الاستبدال أن لا يكون بالدرهم بل لا بد بالعقار.

والراجح هو رأي جمهور الحنفية خلافاً لأبي يوسف رحمه الله كما حقق ذلك العلامة البيري والعلامة قتالي زاده^(٣)، وإن نص قارئ الهداية^(٤) على كون الفتوى على رأي أبي يوسف رحمه الله في هذه المسألة^(٥).

١- ابن منظور، لسان العرب في باب «غبط»، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣/٣٢٩.

٢- ابن الهمام، فتح القدير ٥/٤٤٢.

٣- قتالي زاده: علي بن اسرافيل قتالي زاده، فاضل ولد في قصة اسبارة من لواء حميد، من آثاره: رسالة سيفية، توفيت سنة «٩٧٩هـ». (ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد عبد الحّي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي، إشراف عبد القادر الأرنؤوط، تحقيق: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير /دمشق، الطبعة الأولى، ١٣/١٤هـ-١٩٩٣م. ٨/٢٨٨، كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنف الكتب العربية، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي /بيروت. ٧/٢٤).

٤- قارئ الهداية: عمر بن علي بن فارس الكنائي القاهري الحسيني، أبو جعفر سراج الدين المعروف بقارئ الهداية، كان يستحضر الهداية في فروع الحنفية، توفيت سنة «٨٢٩هـ». (الزركلي، الأعلام ٥/٥٧).

٥- ابن عابدين، رد المحتار ٤/٥٨٦+٥٨٥، وانظر رد المحتار فإنه نقل تحرير هذه المسألة عن العلامة قتالي زاده في رسالته الموضوعة في الاستبدال ونقل في الصفحة ٥٨٦ كلاماً لصدر الشريعة قوله: (نحن لا نفتي به). وانظر نظام، الفتاوى الهندية، تأليف العلامة نظام وجماعة من علماء الهند، المعروف بالفتاوى العالمكيرية، دار إحياء التراث العربي /بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/٢٠١٩م. ٢/٤٠١.

مذهب المالكية: لا عبرة بالغبطة الظاهرة لجواز تصرف القائم أو غيره بالوقف، إذ لا يجوز للواقف اشتراط البيع إذا وجدت الغبطة، فلأنه لا يجوز للقائم أو القاضي البيع أو الاستبدال للغبطة الظاهرة فمن باب أولى^(١).

مذهب الشافعية: قالوا: لا عبرة بالغبطة الظاهرة لأجل التصرف بالوقف سواء كان الوقف عقاراً أم منقولاً، حتى ذهبوا إلى القول بعدم جواز بيع العقار مطلقاً في الأصح عندهم خلافاً للإمام النووي^(٢)، حتى مع وجود الغبطة الظاهرة.

مذهب الحنابلة: ذهبوا إلى عدم اعتبار الغبطة الظاهرة لجواز البيع أو الاستبدال وهذا هو المنصوص عندهم كما في الفروع وكشاف القناع، قال صاحب الفروع^(٣): «ويحرم بيعه وكذا المناقلة، لا يستبدل به ولا يبيعه إلا أن يكون بحال لا ينتفع به»^(٤).

وقال الإمام البهوتي رحمه الله في كشافه: «ويحرم ولا يصح بيعه ولا هبته ولا المناقلة به، أي إبداله ولو بخير منه نصاً للحديث السابق»^(٥)، إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يباع أصلها ولا توهب ولا تورث».

وذهب القاضي^(٦) وأصحابه والشيخ تقي الدين بن تيمية^(٧) رحمه الله إلى جواز بيع أو تبديل أو

١- الحطاب، مواهب الجليل ٢٢/٦ عند قوله: (و اتبع شرطه إن جاز..... الخ).

٢- النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية/بيروت، ٤/١٩، وانظر في توجيه المسألة وتصحيحها الشرواني، حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المحتاج، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ٦/٢٨٢.

٣- ابن مفلح: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي ثم الصالحي، الشيخ العلامة، أفضى القضاة، شمس الدين أبو عبد الله، أحد الأئمة الأعلام، تفقه في مذهب الحنابلة حتى برع فيه، ودرّس وأفتى، وكان غاية في نقل مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه، صاحب كتاب الفروع في الفقه وله حاشية على المقنع وغيرهما من الكتب، توفّي رحمه الله في دمشق سنة ٧٦٢هـ. (العلمي، المنهج الأحمدي في تراجم أصحاب الإمام أحمد، لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العلمي المقدسي الحنبلي المتوفى ٩٢٨هـ، إشراف عبد القادر الأرنؤوط، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر (بيروت)، دار البشائر (دمشق)، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ٥/١١٨، ابن العماد، شذرات الذهب ٨/٣٤٠).

٤- ابن مفلح، الفروع للعلامة شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي المتوفى سنة ٧٦٢هـ تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/١، ٤٢٤هـ/٢٠٠٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٤/٦٢٢.

٥- البهوتي، كشاف القناع ٤/٢٨٥.

٦- القاضي: هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء، القاضي الكبير أبو يعلى، إمام الحنابلة، كان عالم زمانه، ولد سنة ٢٨٠هـ وعنه انتشر مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه، وكان له في الأصول والفروع القدم العالي، وأصحاب الإمام أحمد له يتبعون، وله مصنفات كثيرة في الفروع وغيرهما، توفّي سنة ٤٥٨هـ، ودفن في مقبرة الإمام أحمد رضي الله عنه في بغداد. (العلمي، المنهج الأحمدي ٢/٢٥٤، ابن العماد، شذرات الذهب ٥/٢٥٢).

٧- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي محمد عبد الله ابن تيمية الحراني، تقي الدين، نزيل دمشق ولد سنة ٦١١هـ بحران، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، وسمع فيها الشيخ من جماعة من العلماء، ومهر في كثير من فنون العلم، وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة، وله الكثير من المصنفات كالإيمان، والاستقامة، ومنهاج السنة، واقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم وغيرها، توفّي سنة ٧٢٨هـ. (العلمي، المنهج الأحمدي ٥/٢٤، ابن العماد، شذرات الذهب ٨/١٤٢).

نقل الموقوف بلا حاجة، ولكن بخيرٍ منه لظهور المصلحة ولا يجوز بمثله لعدم وجود مصلحة راجحة مبررة لذلك^(١).

الترجيح:

قبل أن نسوق الرأي الراجح ومسوغات الترجيح لا بد من بيان الأقوال وتقسيمها، والحاصل من أقوال الفقهاء هورأيان، الأول: هو للمانعين وهم جماهير الفقهاء والثاني: هو للمجيزين، وهم أبو يوسف رحمه الله من الحنفية والقاضي وأصحابه والشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله من الحنابلة.

إن سبب الاختلاف بين الطرفين هو اعتبار المصلحة: الغبطة الظاهرة: سبباً مجيزاً للبيع والاستبدال، عن طريق إلحاقها بالضرورة أو الحاجة المبيحتين للتصرف بالموقوف.

فالذين أحقوا هذه المصلحة بالحاجة أجازوا التصرف بالموقوف للغبطة الظاهرة، ومن لم يعتبر هذه المصلحة من قبيل الحاجة أهملها فلم يجز هذا التصرف.

والمأمل للرأي الثاني يرى أنه يمكن أن يكون مقبولاً ولو في بعض الأحيان، وبخاصة إذا عضده حكم حاكم، كما هو الحال بالنسبة للأراضي الموقوفة منذ زمن بعيد في المدن الكبرى والتي لا يعرف واقفوها ولا شرائطهم، فيدفع ثمن الأرض من قبل الأغنياء أكثر مما هو عليه في الواقع، للانتفاع بها والاستفادة من مكانها الاستراتيجي، وعليه فيستغل هذا الثمن في مشاريع أخرى تكون أكثر نفعاً وأعظم ريعاً، فيعم خيرها للواقف وللموقوف عليه.

فالراجح من القولين هو الرأي الأول، حتى لا تكون أوقاف المسلمين ألعوبة بيد القضاة، وخصوصاً في هذا الزمن الذي خفت الرقابة الدينية في نفوسهم، وغاب الخوف من الله عن قلوبهم، حتى تراهم يحلّون الأوقاف بأدنى شبهة المصلحة، فاختمت ثمار هذه الحضارة العريقة للمسلمين. وبالنتيجة درء المفسد أولى من جلب المصالح.

ولكن لا ننسى العمل بالرأي الثاني في ظروف ضيقة وشروط مخصوصة تحت رعاية القضاة المتخصصين، على أن تكفل هذه الشروط للوقف البقاء والاستمرار ولو في أنواع مختلفة، وعلى هذا يجب سنّ القوانين اللازمة والكفيلة لحسن سير عملية تطوير وإثمار ممتلكات الأوقاف بالشكل الأفضل وبالطرق الأنسب. والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: ضوابط استثمار الأوقاف من قبل الجمعيات الخيرية

الضابط الأول: ضابط الحلال والحرام:

الحرام مفسدة والحلال مصلحة، فيجب على المستثمر سواء كان قائماً أم قاضياً ترك ما حرمه

١- ابن مفلح، الفروع ٤/٦٢٥، المرادوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للإمام علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرادوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي/بيروت، الطبعة الأولى، ١٠٤/٧.

اللَّهُ تعالى، وفعل ما أحله الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»^(١).

والقواعد التي تضبط الاستثمار في كلا طرفيه الحرام والحلال على الشكل التالي:

١ - إن كل معاملة محرمة تورث استثماراً، يعدّ هذا الاستثمار محرماً، كجعل الربا المحرم وسيلة من وسائل الاستثمار الحديثة، تحت دعوى أنها وسيلة مفروضة مع التداخلات الاقتصادية الكبيرة للأنظمة العالمية.

٢ - وكل تصرف (معاملة) مكروه يورث استثماراً، يعدّ مكروهاً، وذلك مثل أن تودع أموال الأوقاف النقدية في مصارف ربوية، دون قبض فوائد عليها، فمجرد إيداع هذه الأموال في تلك المصارف فهو مكروه.

٣ - وكل تصرف (معاملة) مباح يورث استثماراً، يعدّ مباحاً، كما الحال في استغلال الأوقاف لزيادة ريعها وغلاتها، لتعود بالخير والفائدة على المجتمع الإسلامي من جهة، ولتكون هذه الغلات سبباً في ديمومة الأوقاف سليمة معطاءة، على مدى الدهور والعصور.

٤ - وكل تصرف واجب يورث استثماراً، يعدّ واجباً، ويمكن أن نمثل لهذه القاعدة بالاستثمار الحاصل لصالح عمارة الأوقاف وترميمها، من خلال إجازة الوقف أو المشاركة عليه لضرورة إصلاح الوقف، فضرورة بقاء الأوقاف قائمة توجب هذا التصرف الاستثماري، فكان هذا الاستثمار واجباً.

إذاً فالقاعدتان الأوليتان تضبطان التصرفات الاستثمارية المحرمة، وأما الأخيرتان فتتردان على التصرفات الاستثمارية الجائزة التي تخدم أموال الأوقاف.

الضابط الثاني: تكييف نوع الاستثمار حسب الحاجة في الأموال الموقوفة للاستعمال؛

تقسم الأموال الموقوفة باعتبار خضوعها للاستثمار إلى ثلاثة أقسام:

أ - أموال لا يجوز استثمارها أبداً.

ب - أموال وقفت للاستثمار أصالةً.

ج - أموال وقفت للاستعمال إلا أنها قد تستثمر للحاجة.

ويجري هذا الضابط على القسم الثالث حيث لا يجوز تقديم صيغة استثمارية فيها إجهاد للوقف والموقوف عليه على صيغة هي أقل من السابقة إجهاداً لأطراف عقد الوقف.

واستثمار الوقف في هذا القسم هو بمنزلة وسيلة إسعافية لإصلاح الوقف وتشبيد بنائه على النحو الذي أراده الواقف.

١- أخرجه البخاري في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، (ح ٥٢). ومسلم في المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، (ح ١٥٩٩).

وهذا الضابط يجري في شكلين:

الأول: تقديم صيغة على أخرى.

الثاني: تقديم العقد ذي الأجل الأقرب على الأبعد.

الشكل الأول: ويمثل له تقديم الإجارة بعقد واحد على الإجارة ذات العقود المتعددة إذا لم تكن هناك حاجة للإجارة ذات العقود المتعددة.

وعموماً ترتب العقود التي قد ترد على الأوقاف حسب أولويتها على الشكل التالي:

١ - تأجير الوقف: إذا كان الوقف يصلح للإجارة، ويمكن التفاضل أيضاً بين مستأجرين أحدهما قصير الأمد والآخر طويل الأمد، فيتق الاختيار على الأصلح الذي يحقق مصلحة الوقف.

٢- إجراء عقد المشاركة على العقار الموقوف سواء مشاركة منتهية بالتمليك أو المشاركة التي على شكل الإجارة المسمى بالكدك أو الكرदार.

٣ - الاقتراض للوقف.

٤ - الاستبدال: وله طريقتان: المقايضة أو البيع، وتقدم المقايضة على البيع.

الشكل الثاني: ويكون بتقديم من يستأجر بأجل أقصر على من يستأجر بأجل أطول، لذا نص الفقهاء في أحكام إجارة العقار الموقوف للسكنى أنه لا يجوز زيادة الأجل على القدر الذي يفي إصلاح الموقوف أو عمارته.

ويستثنى من هذا القيد ما إذا لا يرغب الناس في الأجل الذي يفي بالحاجة، فعند ذلك يستطيع القاضي بزيادة الأجل لهذا السبب.

الضابط الثالث: ترتيب الاستثمارات حسب الأكثر تحقيقاً للمصلحة في الأموال الموقوفة للاستغلال:

يشترط في صحة الاستثمار الوقفي، أن تكون الصيغة الاستثمارية المطبقة على الوقف هي المعقل الأول والأصلح التي لا يمكن تجاوزها إلى غيرها.

ومعناه: أن لا يلجأ المستثمر أبداً كان إلى طريقة استثمارية أبعد من الطرق الأخرى التي تحقق مصلحة الوقف، فلا يجوز تجاوز الأقرب إلى الأبعد.

ويمكن التمثيل لذلك، بأنه لا يمكن إبرام عقد المشاركة مع توفر عقد الإجارة بالشكل المناسب، وهكذا يقال في سائر العقود، ويرجع تقدير ذلك إلى القائمين على الجمعية أو إلى القاضي (المتمثل بالجهة الإدارية) في أدق حالاته.

الضابط الرابع: البعد عن المخاطرة في الاستثمار:

إن كل صيغة من صيغ الاستثمار تكمن في داخلها المخاطرة، ولكن نسبة المخاطرة تختلف من صيغة لأخرى.

والمراد بالمخاطرة هنا: إما المجازفة في تقدير الربح والخسارة - أي تقدير نسبة نجاح المشروع - وإما المخاطرة التي تتعلق بالحوادث السماوية.

وهنا يمكن أن نمثل للضابط بما يلي:

أن يقوم صندوق الوقف بتمويل شركة ما، إلا أن هذه الشركة لا تحقق سوى ربح ضئيل فضلاً عن تزامم أسباب خسارتها، بسبب كثرة العرض من الإنتاج ذاته مع بخس الأسعار فضلاً عن التكاليف الباهظة التي تتعلق بالإنتاج، والتي تتجلى في بعد مكان الإنتاج عن مكان التسويق وغيرهما من الأسباب التي ترجع إلى سوء التقدير، وضعف دراسة الجدوى الاقتصادية لهذا المشروع، لذا يجب ترك هذه الشركة والابتعاد عن تمويلها.

ويمكن أن نمثل أيضاً بإقامة مصنع في وادٍ يعد مجعماً لمياه السيول الجارفة، فلا يجوز للأوقاف قبول مثل هذا المشروع، لكونه معرضاً للخطر في أكثر الاحتمالات.

الضابط الخامس: مراعاة شرط الواقف ما أمكن:

وينبغي مراعاة شرط الواقف في عمليات الاستثمار، سواء كان شرطه في القائم أو الموقوف أو في توزيع غلاته على المستحقين، وأما ما عدا ذلك، فيجوز للمستثمر أن يتصرف بما يشاء في حدود صلاحياته أو إذن القاضي.

إلا أنه يجوز مخالفة شرطه في بعض الحالات الخاصة التي نص عليها الفقهاء، كما في حال الضرورة والمصلحة الراجحة، أو في حال الغبطة الظاهرة المحققة.

ويظهر تأثير الشرط فيما لو قال هذا الوقف على الفقراء، فهل يدخل في شرطه الإنفاق منه على مصالح الجمعية الخيرية الأخرى؟ الظاهر، لا يجوز إلا في حالات الضرورة.

الضابط السادس: دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع الاستثماري:

ويسمى أيضاً التخطيط الاقتصادي، وفائدة هذه الدراسة هي البعد التام عن العشوائية وبالتالي تحقيق ربح مادي (عائد) مجزٍ يعود على المستحقين في الجمعية الخيرية الإسلامية.

الضابط السابع: الاعتماد على الإدارة الصالحة للمشروع الاستثماري:

هذا الضابط هو فرع عن شروط القائمين، حيث لا يجوز قبول عضوية المنتسب للجمعية في مجلس الإدارة إلا بناء على شروط، وهي:

أ - الإسلام، ب - العدالة، ج - الكفاءة والخبرة التامتين، د - السلامة من العاهات المانعة له من القيام بعمله المنوط به، ه - الأهلية التامة (بالفأ عاقلاً).

الخاتمة:

- وبعد أن وقفنا على أهم المسائل التي تؤثر في عملية استثمار أوقاف الجمعيات الخيرية الإسلامية أدرنا الحاجة الملحة التي تصيب عمل القائمين على الجمعيات الخيرية، فهم بين

أمريين ضروريين:

الأول: تأمين حاجات المستحقين عن طريق الموارد المتنوعة.

الثاني: الحفاظ على أصول الأوقاف العقارية، وذلك عن طريق أعمال شرط الواقف وأخذ الاحتياطات اللازمة في الاستثمار.

وبناءً على ما مضى يمكن أن نستنبط القواعد التي تضبط عملية الاستثمار لأوقاف الجمعيات الخيرية الإسلامية من قبل القائمين عليها فيما يلي:

أ - يجب أعمال شرط الواقف، مهما كان شرطه ما لم يتعارض مع مصلحة الوقف والموقوف عليه، فإن تعارض شرطه مع مصلحة الوقف عمل بمصلحة الوقف وأهمل الشرط، كما إذا اشترط الواقف منع استثمار الوقف فلا يعمل بشرطه.

ب - يجب أن تكون المصلحة راجحة لجواز أعمالها، ويمكن أن نعتد الضوابط التالية في اعتبار المصلحة مع إهمال شرط الواقف:

١- كل شرط قد يؤول إلى تعطيل استثمار الوقف أو قلة الثمرة.

٢- كل شرط في مصارف الوقف قد يؤول إلى التعذر.

٣- كل شرط قد يؤول إلى غبن القائمين بأعمال الوقف الضرورية في أجورهم.

٤- كل شرط تكون مخالفته أسهل تنفيذاً، دون إخلال بالمقصود من غرض الواقف.

ج- تنحصر وظيفة ولي الأمر في اختيار الأكفأ والأفضل لتسيير الاستثمار الوقفي، وفي إهمال شرط الواقف إن اقتضت الضرورة ذلك، وتتلخص الضرورة - فيما يخص البحث - في تأمين موارد ثابتة ودائمة للمحتاجين، وهذه من أهم الغايات التي تتبناها الشريعة الإسلامية.

د إن نجاح عملية الاستثمار المنشودة مرهون بتحقيق الانضباط من نواح مختلفة، وتتلخص في الضوابط الشرعية والاقتصادية والإدارية، فإذا تحققت هذه الضوابط كان النجاح رهين الاستثمار لأوقاف الجمعيات الخيرية الإسلامية.

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يوفقني في عملي وأن يكلاًه بالنجاح والقبول، إنه نعم المجيب، والحمد لله رب العالمين.

د عبد الوهاب صديقي

طالب باحث في اللسانيات العربية الحديثة
طانطان - المملكة المغربية

لسانيات الخطاب: من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص دراسة في بعض مؤلفات مشروع أحمد المتوكل الوظيفي

تمهيد:

تدخل هذه الدراسة في إطار الدراسات اللسانية العربية الحديثة التي تروم قراءة التراث اللغوي والنحوي والبلاغي العربي القديم، وفق مستجدات الدرس اللساني الغربي الذي تطور مع فريديناند دوسوسير وتلامذته، لاسيما أفكار حلقة براغ ومدرسة جنيف، وسيمون ديك، ونعوم تشومسكي فيما بعد. وتعمد هذا النوع من الدراسات اللسانية العربية، إلى قراءة أفكار ونظريات اللغويين والنحويين والبلاغيين العرب القدامى بغية إماطة اللثام عنها، والاستفادة منها لخدمة ومعالجة قضايا اللغة العربية تركيبا ومعجما ودلالة وصوتا، مع الانفتاح على ما تخوله الدراسات اللسانية الغربية من أفكار ونظريات لمعالجة قضايا اللغة العربية.

وقد برزت في الإطار كتابات عربية لسانية حديثة⁽¹⁾ تؤكد غنى التراث العربي، وروعته وفي هذه الدراسة سنركز على لسانيات الخطاب متبعين نفس المنهج السالف الذكر - المنهج التوفيقي بين

١- أنظر في هذا الصدد عبد السلام المسدي التفكير اللساني في الحضارة العربية ١٩٨١، الدار العربية للنشر و عبد القادر الفاسي الفهري اللسانيات واللغة العربية في جزأين، الطبعة ١٩٩٣، ٣، دار توبقال للنشر و المعجم العربي الطبعة الأولى ١٩٨٦ دار توبقال والبناء الموازي نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، ط١، دار توبقال و أحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية، الطبعة الأولى ١٩٨١، دار الثقافة البيضاء. آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط - سلسلة بحوث ودراسات رقم ٥، ١٩٩٣، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان الرباط ١٩٩٥، الخ و أحمد بودرع من ظواهر الأشباه والنظائر بين اللغويات العربية والدرس اللساني المعاصر الترادف حوليات الآداب والعلوم الإنسانية، الرسالة ٢٧، ٢٠٠٥.

التراث العربي اللغوي النحوي والبلاغي ومستجدات الدرس اللساني الحديث في دراسة لسانيات الخطاب في التراث اللساني العربي القديم وفي الدرس اللساني الغربي الحديث، مركزين على تجليات هذا المنهج الائتلافي- التوفيقي عند اللساني الوظيفي أحمد المتوكل.

لقد كان السؤال الذي ظل يؤرق هذا الدراسة هو كيف تم الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص/ الخطاب؟

ويكتسي الخطاب في العصر الحالي أهمية كبرى لارتباطه بالتواصل الإنساني، وبالوسائط السمعية البصرية كالخطاب الإشهاري، والخطاب السياسي، والخطاب الحجاجي مثلا .

وكان دافع تناولنا لهذه الدراسة تكمن في جدة البحوث اللسانية فيه، بالإضافة إلى الرغبة في فهم الخطاب وأنماطه التواصلية، لجدة البحوث فيه، ويكتسي الخطاب أهمية كبرى في مشروع احمد المتوكل الوظيفي وقد أفرد له مجموعة من المؤلفات.^(١)

من لسانيات الجملة إلى لسانيات الجملة من خلال كتاب قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص لأحمد المتوكل

١-١- النحو الوظيفي وأحمد المتوكل

ارتبط النحو الوظيفي الغربي باسم الهولندي سيمون ديك، وهكذا ارتبط النحو الوظيفي العربي بأحمد المتوكل، من خلال كتاباته في معالجة كثير من قضايا اللغة العربية، وفقا للمقاربة الوظيفية التواصلية. وكثيرة هي الدراسات التي تناولت مشروع أحمد المتوكل الوظيفي بالدراسة والتحليل، غير أننا سنكتفي بإيراد بعضها فقط^(٢)

ويتميز مشروع أحمد المتوكل بتعدد جوانب تحليلاته لقضايا اللغة العربية، معجميا وتركيبيا، وتداوليا ونصيا. ولقد كان للاحتكاك مع كتاباته تأثيرا عميقا، حيث تناولناه في إطار بحث لنيل الإجازة في اللغة العربية وأدائها بعنوان «فصل المقال فيما بين اللسانيات والنحو من الاتصال»، أدرجت فيه موقف أحمد المتوكل من الإشكالية (إشكالية علاقة النحو القديم باللسانيات الحديثة) ضمن المواقف الطفرية الاستمرارية^(٣). وإن كان ذلك بشكل مقتضب. إذ أن مشروعه

١- أنظر في هذا الصدد، أحمد المتوكل قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، منشورات الاختلاف ودار الأمان الرباط ٢٠١٠

٢- أنظر في هذا الصدد مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة فصل خاص عن اللسانيات الوظيفية عند أحمد المتوكل ص ٢٧٠، وأنظر أيضا حافيظ اسماعيلي علوي: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، عالم الفكر ديسمبر ٢٠٠٤ ع ٢٣،

وفصل خاص عن اللسانيات الوظيفية في أطروحته للدكتوراه «تجليات تلقي اللسانيات في الثقافة العربية».

٣- المواقف الطفرية: اللسانيات المنخرطة دفعة واحدة في إطار ما تقترحه النظريات اللسانية المعاصرة عن نماذج لسانية بجميع حيثياتها المنهجية والتقنية وبكل أبعادها العلمية وحدودها التطبيقية، اللسانيات العربية الحديثة، مصطفى غلفان ص ٢٨.

- المواقف الاستمرارية: تحاول إذابة الفوارق بين الخطاب اللساني العربي ونظيره العام بكيفية تدريجية انطلاقا من رصد شامل ودقيق لمظاهر التمايز بين الخطابين شكلا ومضمونا «ص ٤٤

استفاد مما جاءت به تحليلات «لسانيات التراث» من أفكار ونظريات وركز هنا على فكرة الاستلزام التخاطبي، التي جاء بها السكاكي (المتوكل ١٩٨١)؛ محاولا استثمارها مقوما إياها يقول (المتوكل ١٩٨١): «سنخصص القسم الثالث لفحص اقتراحات السكاكي موازنين بينه وبين اقتراحات الفلاسفة واللغويين المحدثين قصد تقويمها والوقوف عند إمكانات استثمارها»^(١). لا يقف أحمد المتوكل عند هذا الحد بل يعتبر اقتراحات السكاكي جدية ومهمة، بل وتعادل اقتراحات اللسانيين الوظيفيين المعاصرين كغرايس وسورل وغيرهم، وتمتاز بدقتها أولا وقدرتها التنبؤية ثانيا.

ولقد كان هدف مشروع أحمد المتوكل الوظيفي هو عقد حوار بين الفكر اللغوي القديم والنحو الوظيفي الحديث مما سيمكن من:

أ- إغناء النحو الوظيفي بتحليلات ومفاهيم يستلزمها وصف الوظائف الخمس في اللغة العربية خاصة دون أن يمس افتراض هذه التحليلات، والمفاهيم بالمبادئ المنهجية المعتمدة في النحو الوظيفي ولا بنية النحو المقترح.

ب- تقويم مجموعة من الأوصاف المقترحة في النحو العربي أو البلاغي أو وظيفة البديل التابع بصفة أعم وظواهر التخصيص والحصر والعناية والتوكيد وغيرها^(٢).

وغني عن البيان أن غاية مشروع أحمد المتوكل هو استثمار ما يزخر به الفكر اللغوي العربي من نظريات، وأفكار مهمة لتطوير اللسانيات العربية، مع الانفتاح على مستجدات المقاربة، الوظيفية الحديثة.

ويأتي تبني أحمد المتوكل لنظرية النحو الوظيفي، واتخاذها إطارا منهجيا لمعالجة قضايا اللغة العربية، لأنها النظرية التداولية الأكثر استجابة لشروط التنظير من جهة ولمقتضيات «النمذجة» من جهة أخرى، كما تتميز المقاربة الوظيفية أيضا بنوعية المصادر فهي محاولة لصهر بعض من مقترحات نظريات لغوية النحو العلاقي، Relationnel grammair، نحو الأحوال، case grammair، الوظيفية fonctionnalisme، ونظريات فلسفية نظرية الأفعال اللغوية speech acts theory خاصة التي أثبتت قيمتها في نموذج صوري مصوغ حسب مقتضيات النمذجة في التنظير اللساني الحديث^(٢).

ومن هنا فإن النحو الوظيفي، يستجيب لمجموعة من الشروط المنهجية في التنظير بالإضافة

١- المتوكل: اقتراحات من الفكر العربي القديم لوصف ظاهرة الاستلزام التخاطبي، البحث اللساني والسميائي منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ١٩٨١، ص ١٩

٢- أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية ط ١، ١٩٨٥، دار الثقافة، ص ١٠

٣- نفسه ص ٩

إلى مقتضيات النمذجة وآلياتها ومفاهيمها الإجرائية مما يجعل مشروع أحمد المتوكل «مشروعاً معتداً به ليس بالنسبة إلى اللسانيات الوظيفية العربية فقط، بل إلى النظريات اللسانية الوظيفية بوجه عام»^(١).

إن نظرية النحو الوظيفي نظرية تسير التطورات اللغوية فهي لم تبق ثابتة بل تعرضت لعدة تغييرات فديك (١٩٧٨) يختلف عن (ديك ١٩٨٩)، وبحسب أحمد المتوكل يختلف الأول عن الثاني أولاً: أصبح الجهاز الواصف باعتباره نموذجاً لمستعملي اللغة الطبيعية جهازاً مركباً متعدد القوالب: القالب المعرفي القالب الإدراكي القالب النحوي، القالب المنطقي، القالب الاجتماعي وهي التي تظلع برصد الملكات^(٢).

ثانياً انتقل التمثيل التحتي للعبارات من بنية بسيطة إلى بنية متعددة الطبقات تتضمن حملاً وقضية وجملة، على اعتبار أن طبقة الجملة تلو طبقة القضية وأن طبقة القضية تلو الحمل^(٣).

نموذج مستعمل اللغة الطبيعية	
قالب معرّف	قالب منطقي
قالب نحوي	
قالب إدراكي	قالب اجتماعي
قالب شعري	

هذا بالإضافة إلى سعي أحمد المتوكل إلى تطوير النحو الوظيفي باقتراحاته كإفراحه إضافة وظيفة المنادى إلى الوظائف التداولية الأربع: البؤرة والمحور والمبتدأ أو الذيل، يقول (المتوكل ١٩٨٥) في هذا الصدد: «ونرى أن الوارد أن تضاف إلى الوظائف الأربع المقترحة، في إطار النحو الوظيفي، وظيفة خامسة وظيفية المنادى»^(٤).

واقترح المتوكل أيضاً بصدد وظيفة البؤرة أن يميز بين «بؤرة جديد» و«بؤرة مقابلة، ومن حيث تنوعية البؤرة المكون، وبؤرة الحمل من حيث مجال التبئير»^(٥).

إن مشروع أحمد المتوكل الوظيفي، مشروع قائم بذاته يسير التطورات والمستجدات، ويضيف اقتراحات تغني قضايا اللغة العربية جملة ونصاً، وبذلك تحقق هدف النظرية الوظيفية في تجاوز حدود الجملة إلى الخطاب، على اعتبار أن مستعملي اللغة الطبيعية لا يتواصلون بقطع جمالية بل بخطابات متكاملة، ومنه فالنحو الوظيفي إذا أراد أن يظل منسجماً مع مبادئه ومزاعمه مضطر إلى وصف قدرة مستعملي اللغة الطبيعية باعتبارها قدرة خطافية.

١- حافظ اسماعيلي علوي، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، عالم الفكر، ع ٢٣، ٢٠٠٤، ص ١٠

٢- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية، ص ١٣

٣- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب، ص ٣٩-٣٨

٤- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية، ص ١٦٠

٥- أحمد المتوكل، نفسه ص ١٧

وهذا ما سنشير إليه لاحقاً بصدد دراستنا لكتاب (المتوكل ٢٠٠١).

مما يجعلنا لا نبالغ إن قلنا مشروع أحمد المتوكل ومن خلال مؤلفاته، يعكس روحاً علمية تقوم على المناقشة والنقد البناء، والأخذ بأورد الافتراضات والاقتراحات، على حد تعبير مصطفى غلفان^(١).

فكيف انتقل النحو الوظيفي من نحو الجملة إلى نحو النص، من خلال كتاب أحمد المتوكل قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية الخطاب من الجملة إلى النص؟

١-٢- النحو الوظيفي المتوكلي، بنية الخطاب من الجملة إلى النص

تمهيد:

يحتل النحو الوظيفي مكانة هامة، في مقارنة قضايا اللغات الطبيعية في مستويات متعددة تركيبية ومعجمية، وتداولية، ونصية أو بلغة أخرى تحليل قضايا الجملة والخطاب.

فمنذ ديك ١٩٩٨ إلا والنظرية الوظيفية تسعى إلى تجاوز قضايا الجملة إلى قضايا الخطاب حتى تصبح نظرية متكاملة صالحة لمعالجة قضايا الجملة، والنص/ الخطاب أي ما أسماه أحمد المتوكل «باللسانيات الحق»^(٢)؛ لسانيات تفترض التماثل بين بنية الجملة، وبنية الخطاب.

وتكتسي دراسة الخطاب وظيفياً، أهمية كبرى في تحليل الخطاب التواصلية وبمختلف أنماطه لاسيما، والتطور التكنولوجي والحاسوبي المعاصر.

من هذه الزاوية يكتسي النحو الوظيفي أهميته في كونه يحاول إيجاد نحو متكامل لدراسة الجملة والخطاب، ويأتي «كتاب أحمد المتوكل ٢٠٠١، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للتأسيس وترسيخ ما دعا إليه (ديك ١٩٩٨) من أنه إذا أرادت نظرية النحو الوظيفي أن ترقى إلى مستوى معايير الكفاية التي اشترطتها على نفسها، تحتم عليها على المدى البعيد أن تضع نحواً وظيفياً للخطاب»^(٣)

على اعتبار أن ثمة تشاكلاً وتماثلاً، بين بنية الجملة وبين بنية النص، وفي هذا الصدد، يؤكد أحمد المتوكل ٢٠٠١ أن غاية النحو الوظيفي هي معرفة مدى إمكان استكمال وضع نحو وظيفي موحد، يكفل وصف وتفسير، ظواهر اللغة العربية (من ضمن اللغات الطبيعية) العملية منها والنصية، مستخدماً نفس المبادئ ونفس الأوليات، نحو وظيفي يمد الجسور بين الجملة والنص، مستخدماً نفس المبادئ، ونفس الجملة ولسانيات النص، الذي يكمن وراء الفصل بين اللسانيات الحق.

١- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص ٢٧٦

٢- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب، ص ١٠

٣- نقلاً عن حافظ اسماعيلي علوي، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، عالم الفكر م ٢٠٠٤، ٣٢، ص ٢٠٨

من هذا المنطلق يمكن القول بأن مشروع (المتوكل ٢٠٠١) يرمي تجاوز حدود الجملة إلى ما هو أعمق الخطاب. وبذلك يكون قد أسس لنحويضي بتحقيق هدفين أساسيين:

- أولاً: استكشاف ما يوحد بين بنية الكلمة وبنية المركب، وبنية الجملة وبنية النص.
- ثانياً: الاقتصار على نفس المبادئ والإواليات في وصف بنية كل من هذه المستويات الأربعة^(١).

هذا بالإضافة إلى التركيز على الوظيفة التواصلية والإفهامية، والإقناعية للخطاب، وقليلة هي الدراسات التي تناولت الخطاب عند أحمد المتوكل لجدّة الخطاب، وتعدد مشاربه ومضانه الأدبية والسيميائية والشعرية واللسانية وغيرها، إذا استثنينا ما أشار إليه حافظ إسماعيلي علوي في بحث قيم بعنوان «قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية»^(٢)، وسماه بالتحليلات النصية، وما أشار إليه نبيل موميد وعنونه ب«حد الخطاب بين النسقية والوظيفية»^(٣)، يقارن فيه بين الخطاب في المقاربة النسقية التواصلية الاقتصادية عند الفرنسي دومنيك ما نوكو، والخطاب في المقاربة الوظيفية مع أحمد المتوكل.

١-٢-١ نحو الجملة ونحو النص من الاختلاف إلى الائتلاف:

يتبنى أحمد المتوكل في مشروعه الوظيفي، الرؤية الائتلافية التماثلية التي ترى أن آليات معالجة قضايا الجملة صالحة أن تعالج قضايا الخطاب، على اعتبار أن هناك تماثلاً بين بنية الجملة وبنية الخطاب، وأن ما يمكن أن يرصد للأولى (الجملة) يمكن أن يكيف فيرصد للثانية (الخطاب).

١-٢-٢ - مفهوم الخطاب عند أحمد المتوكل:

يعتبر أحمد المتوكل الخطاب كل تجاوز للجملة كمجرد سلسلة لفظية تحكمها آليات الاتساق الشكلية إلى كل تعبير لغوي أيا كان حجمه أنتج في مقام معين قصد القيام بغرض تواصلية معين.

ومعنى هذا الكلام:

- أولاً : الخطاب تعبير قد يكون شفويًا أو مكتوبًا.
- ثانياً: الخطاب إنتاج مقامي: أي ينتج في مقام معين وسياق يحيط به.
- ثالثاً: غاية وغرض الخطاب هو تحقيق التواصل بين ذاتين على الأقل (متكلم ومخاطب).

وغنى عن البيان أن نظرية النحو الوظيفي، تعتبر الوظيفة الأساس للغة هي اتاحة التواصل بين

١- أحمد المتوكل، بنية الخطاب، ص ١٠.

٢- حافظ إسماعيلي علوي، قضايا اللغة العربية في اللسانيات العربية، عالم الفكر، م ٢٣، ديسمبر ٢٠٠٤.

٣- نبيل موميد، حد الخطاب بين النسقية والوظيفية، فكر ونقد، ع ٨٩-٩٠ مايو يونيو ٢٠٠٧.

مستعملها فإذا كان تشومسكي يركز على مفهومي «القدرة» و «الإنجاز» فإن الوظيفيين يركزون على مفهوم «القدرة التواصلية» للغات الطبيعية .

وكل تواصل لغوي بين ذاتين ، لا بد له من متكلم /مرسل، يرسل رسالة Message للمرسل إليه /المخاطب، لتحقيق غرض تواصل معين، ولضمان تواصل ناجح لا بد للمتكلم أن يراعي مخزون المخاطب المعلوماتي.

ويتضمن مخزون المتكلم والمخاطب بحسب (المتوكل ٢٠٠١) المعارف الآتية^(١):

• أولاً : معارف مقامية، مشتقة من عناصر المقام الذي تتم فيه عملية التواصل، على اعتبار أن لكل مقام مقال، ولكل مقال مقام، فمقام الأستاذية ليس هو مقام الفلاح... وهكذا (لا نعني بذلك المقام الاجتماعي وإنما المقام بالمفهوم التداولي)، ومقال السياسي والسياسة، ليس هو مقال الاقتصادي وغيره.

• ثانياً : معارف عامة تتعلق بمدرجات المتخاطبين، على اعتبار أن لكل فرد قدرات إدراكية حول العالم، فمعارف الأمي عن عالم التكنولوجيا قليلة، عكس الإعلامي أو المعلوماتي...

معارف سياقية: يوفرها للمتخاطبين ما تم إيرادها في قطعة خطابية سابقة، وهذه المعارف يشترطها سياق التخاطب بين المتخاطبين.

١-٢-٣- أنماط الخطاب^(٢)؛

وعلى اعتبار أن لكل خطاب مستلزماته المعرفية عامة وسياقية ومقامية، يمكن تصنيف الخطاب تبعاً للمعايير الآتية:

أ - غرض المخاطب إلى: خطاب سردي، حجاجي، وصفي، تعليمي، ترفيهي.

ب - نوع المشاركة إلى خطاب ثنائي، خطاب جماعي، فردي (مونولوج).

ج - طريقة المشاركة في الخطاب إلى مباشرة أي التباشر بين متخاطبين في الخطاب أو غير مباشرة كأن يكون الخطاب مكتوباً كالجريدة والكتاب، أو شبه مباشرة خطاب هاتفي، خطاب تلفزي أو إذاعي...

د - نوع القناة إلى قناة شفوية مباشرة، أو قناة مكتوبة غير مباشرة.

هـ - وجهه إلى خطاب موضوعي خالياً من تدخل ذات المتكلم، وخطاب ذاتي تتدخل فيه الذات

١- أحمد المتوكل ، بنية الخطاب ، ص ١٩

٢- نفسه ، ص ٢٠ وما بعدها

المنتجة للخطاب.

هكذا صنف أحمد المتوكل الخطاب إلى أنواع متعددة، تبعاً لمعايير متعددة، مما يدل على تعدد الأنماط الخطابية، و معايير تصنيفها.

٢-٣-١ نحو الجملة grammaire de phrase :

لقد كان النحو الوظيفي، منذ بدايته نحو خطاب، وإن كان البحث الوظيفي انصب بداية لمعالجة قضايا الجملة، وظواهرها ونمثل هنا بالمتوكل ١٩٨١، ١٩٨٥، ١٩٩٣، ١٩٩٥، ١٩٩٦.

وفي هذه الكتابات تناولت كتب المتوكل قضايا الجملة بتحليلات معجمية، تركيبية وتداولية، اعتماداً على نموذج (ديك ١٩٧٨).

ولقد كان موضوع نظرية النحو الوظيفي منذ (ديك ١٩٧٨) هو وصف القدرة التواصلية التي تمكن مستعملي اللغة الطبيعية من التواصل فيما بينهم.

• نموذج مستعملي اللغة الطبيعية ونحو القوالب:

إذا كان هم نظرية النحو الوظيفي هو وصف «القدرة التواصلية، جاءت أبحاث (سيمون ديك ١٩٨٩) لوصف هذه القدرة لارتباطها بالملكات الخمس^(١) وهي :

١- الملكة اللغوية: وهي الملكة التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج وتأويل عبارات لغوية معقدة ومتباينة في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة.

٢- الملكة المعرفية: وهي ملكة تتيح لمستعمل اللغة الطبيعية تكوين مخزون معرفي منظم، والاحتفاظ به وتوظيفه حين الحاجة، وهي ملكة تمكنه كذلك من اشتقاق معارف من عبارات لغوية واختزالها ثم استعمالها في تأويل عبارات لغوية أخرى.

٣- الملكة المنطقية: وهي ملكة التي يتسنى لمستعمل اللغة الطبيعية، بواسطتها أن يشتق معارف إضافية من معارف أخرى، مستخدماً قواعد استدلالية تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي.

٤- الملكة الإدراكية: وهي ملكة تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من توظيف المعارف التي يستخلصها من إدراك لمحيطه في إنتاج وفهم العبارات اللغوية.

٥- الملكة الاجتماعية: فهي مجموعة من القواعد والمبادئ الاجتماعية التي تمكن مستعملي اللغة الطبيعية من استعمال اللغة المناسبة بالنظر إلى وضع مخاطبه وإلى الموقف التواصلية وإلى الغرض المروم تحقيقه. وانطلاقاً من هذا التصور للقدرة التواصلية باعتبارها مشكلة ومكونة من الملكات المشار إليها بني التصور» نموذج لمستعملي اللغة الطبيعية: باعتباره مجموعة

١- نفسه ص ٢٦-٢٧

من القوالب الخمس : القالب النحوي، القالب المنطقي والقالب الإدراكي، القالب المعرفي والقالب الاجتماعي.

واقترح (المتوكل ١٩٩٥) إضافة «قالب شعري» لفهم الخطاب الشعري والمقصود به الخطاب الفني الذي يستدعي التذوق الفني من المتلقي (المستمع للخطاب).

٢-٣-١ الجملة في النحو الوظيفي:

أ- الجملة البسيطة:

الجملة في النحو الوظيفي وحدة تركيبية، تتركب من مستويين:

- أولاً : مستوى دلالي تداولي وهو البنية التحتية للجملة، وتتشكل من بين قوامها: نواة ومخصص إنجازي ولاحق.

- ثانياً : مستوى صرفي-تركيبى وهو البنية المكونية للجملة وتتحكم فيها ثلاثة أنساق من القواعد وهي ما يطلق عليها قواعد التعبير، وترتبط هذه القواعد بقيود منها: قيد إسناد النبر والتنغيم الذي يستدعي قوة إنجازية أمرية أو استفهامية طلبية.

نحو: ألم يحضر الأستاذ اليوم؟!

وتتحكم في ترتيب مكونات الجملة العربية في النحو الوظيفي حسب (المتوكل ١٩٩٦)^(١) مبدأين هما :

١- مبدأ الاستقرار الوظيفي: تنزع المكونات التي تحمل نفس الوظائف إلى أن تحتل نفس الموقع.

٢- مبدأ الإبراز التداولي: «تنزع المكونات الحاملة لوظائف تداولية (محور جديد). محور معطى، بؤرة جديدة، بؤرة مقابلة إلى أن تحتل مواقع خاصة من بينها الموقع الصدر في الجملة».

نحو: الكتاب أخذ الأستاذ.

ويطرح الانتقال من البنية التحتية إلى البنية التركيبية إشكالات عالقة بحسب (المتوكل ٢٠٠١).

ب- الجملة المركبة:

يعرف (المتوكل ٢٠٠١) الجملة المركبة باعتبارها: «كل جملة كان أحد حدودها جملة أو كان أحد حدودها يتضمن جملة»^(٢).

ومعنى هذا الكلام أن الجملة البسيطة ما تضمنت حداً مثل: قام محمد، كتب المدرس. أما الجملة المركبة فهي ما كان أحد حدودها جملة: نحو قام محمد أبوه أو أخوه.

١- نفسه ص ٥٦

٢- نفسه ص ٧٢

- جاء الأستاذ الذي كتبَ كتابا في اللسانيات اليوم.

وتختلف تصورات نظرية النحو الوظيفي بصدد الجملة، فقد كان ينظر إليها مع نموذج (ديك ١٩٧٨) باعتبارها مكونة من ركنين: حمل وإنجاز، أما النموذج الحالي (ديك ١٩٨٩) (ديك ١٩٩٨) (المتوكل ١٩٩٦) (المتوكل ٢٠٠١) فالجملة مكونة من حمل مركزي، وحمل موسع، وقضية وإنجاز، كما اختلفت تصورات نظرية النحو الوظيفي أيضا بصدد مكونات الجملة الخارجية في عددها، ووظائفها:

فمن حيث مكوناتها لم تعد مقتصرة على المكونات الثلاثة، المبتدأ، الدليل، المنادى، بل أضيفت مكونات أخرى كالفواتح، والخواتم، والنواقل، أما من حيث الوظائف فقد صنعت بحسب معيار الدور الذي تقوم به كل فئة منها.

إن إعادة النظر في مكونات الجملة داخليا وخارجيا، كان بحسب (المتوكل ٢٠٠١) بمثابة مخاض انتقل فيه النحو الوظيفي من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص/الخطاب.

٢-٤- نحو الجملة، ونحو الخطاب نحو أم نحو واحد؟

٢-٤-١- مفهوم الخطاب :

جاء في لسان العرب المجلد الخامس في مادة خطب: «الخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال... والخطابة والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا والخطبة كلام الخطيب...»^(١)

والخطاب في هذا المعجم كلام بين ذاتين لتحقيق التواصل والإقناع والإفهام ويعرفه (المتوكل ٢٠٠١) «الخطاب إنتاج لغوي يكون في مجموعه وحدة تواصلية، وسبق أن أشرنا أن الخطاب عند (المتوكل ٢٠٠١) ينتج في سياق، ومقام وغرض معين.

والخطاب «إنتاج لغوي» ولاتهمنا بصدده حجم الإنتاج فقد يكون جملة بسيطة، نحو:

- صليت العصر.

أو جملة معقدة نحو: جاء الأستاذ الذي زار أمريكا لإلقاء محاضرة في النحو العربي إلى القسم منشراح الصدر.

أو نصا نحو: «أثارني في ملف مجلة فكر ونقد، موضوع حول الخطاب، فاشتريت العدد، وقرأت مواضعه بإمعان شديد، فخرجت بخلاصة: الخطاب تتداخل فيه عدد من المقاربات لمعالجته».

وقد يكون الخطاب مركبا اسميا كاسم الفعل نحو:

- هيهات!

١- لسان العرب لابن منظور، مجلد ٥، دار صادر، بيروت مادة خطب، ص ٩٧ وما بعدها

أو مركب اسمي نحو:

- السيارات!

٢-٤-٢- الخطاب والنص:

النص وحدة بنيوية تتكون من متواليات من الجمل، تربطها علاقات شكلية (آليات الانساق)، وعلاقات معنوية (آليات الانسجام)

فالنص إذن يتقيد بعدد الجمل، بحيث يصعب أن نطلق مثلاً على الجملة الآتية نحو: قام الأستاذ؛ نصاً.

أما الخطاب فهو وحدة تواصلية أنتجت في مقام وسياق معينين ولا يهمننا حجمه سواء كان نصاً أو جملة بسيطة أو جملة مركبة، بل حتى الشعار «ممنوع التدخين» أو ممنوع رمي الأزبال إذا وجدت في سياق صوب مدرسة أو قرب مستشفى؛ خطاب.

وهنا يكمن الفرق بين النص والخطاب، فالنص يتقيد بعدد الجمل، عكس الخطاب ومنه فالخطاب أعم من النص.

٢-٤-٣- النحو الوظيفي: من الجملة إلى النص:

لقد كان النحو الوظيفي منذ بدايته نحو خطاب، وإن كانت الأبحاث منحصرة في البداية حول الجملة وقضاياها، وكان التفكير في إنشاء نحو الخطاب النصي يسير في اتجاهين.

١- موقف يرى أن هناك اختلافاً بنيوية الجملة، وبنيوية الخطاب النص، بالتالي فآليات معالجة قضايا الجملة، غير صالحة لمعالجة قضايا النص، بالتالي لابد من البحث عن نحو جديد لمعالجة الخطاب (النص)، ويمثل هذا الاتجاه كروان (١٩٩٧)، التي تقترح مقاربة قالبية لخصائص الجملة، وخصائص النص في قالبين مختلفين متعاقبين، قالب جملي، قالب نصي^(١).

٢- موقف يرى أن هناك تماثلاً بنيوية النص، وبنيوية الجملة، وأن آليات معالجة قضايا الجملة صالحة أن يكيف لمعالجة قضايا النص الخطاب، ويتبنى هذا الموقف (المتوكل ٢٠٠١، ١٩٩٨) ديك ١٩٩٧، هنخفلد ١٩٩٧، وهو الموقف الذي توطّره الأطروحة التالية نموذج بنيوية الجملة يمكن أن يعد جزئياً للنص ككل^(٢)، مما يدل على التماثل بين بنيوية الجملة وبنيوية الخطاب، بالتالي فنحوهما نحو واحد، لا نحوان.

١- أحمد المتوكل، بنيوية الخطاب، ص ٨٤

٢- نفسه ص ٨٤

خاتمة :

إن نظرية النحو الوظيفي *La théorie de grammaire fonctionnel*، نظرية خطاب تجاوزت قضايا الجملة صوتا، وتركيبا إلى قضايا الخطاب، كإنتاج لغوي تواصلية مرتبط بمقام وسياق معينين، وبهذا يكون النحو الوظيفي، نحوا متكاملا يعالج القضايا الخطابية على اعتبار أن مستعملي اللغة الطبيعية، لا يتواصلون بجمل بقدر ما يتواصلون بوحدات خطابية بالتالي يكون (المتوكل ٢٠٠١) قد أسس للسانيات «الحق»، وتلافى التمييز «الزائف»^(١) بين لسانيات الجملة ولسانيات النص (الخطاب)، وبذلك تحقق لنظرية النحو الوظيفي هدفين^(٢):

• أولا : الانسجام الكامل مع مزاعمها ومطامحها الأساسية فتصبح فعلا نظرية خطاب في مختلف أحجامه ومختلف أنماطه.

• ثانيا: الشمولية: أي في معالجة قضايا الجملة، وقضايا النص بأقل كلفة.

وبذلك تحقق ما دعا إليه سيمون ديك ١٩٩٨ من أن نظرية «النحو الوظيفي يجب أن ترقى لمعالجة قضايا الخطاب/ النص، وبذلك انتقل النحو الوظيفي مع أحمد المتوكل من لسانيات الجملة (المتوكل ١٩٨٥، ١٩٨٦، ١٩٩٣، ١٩٩٧، ١٩٩٥، ١٩٩٦) إلى لسانيات الخطاب (المتوكل ٢٠٠١)، (المتوكل ٢٠٠٨) (المتوكل ٢٠١٠)»

١- نفسه ص ٢٧٨

٢- نفسه ص ٢٧٨

الدكتور اسحق رحمانى

أستاذ مساعد بجامعة شيراز

دراسة أسس ومبادئ إنجاز المعجم التاريخى للغة العربية

الملخص:

لا يمكننا أن نقول أن تأليف معجم تاريخى أمر سهل، ولو تتوفر الميزانية المطلوبة لذلك. فقد استغرق إعداد معجم مثل أكسفورد وغيره من المعاجم عشرة عاماً. ولكن نحن في هذه الفترة الزمنية كيف يمكننا أن ننجز هذا العمل الكبير في زمن قصير مع أن في أمامنا أنواع من المعوقات منها: قدم تاريخ نشأة اللغة العربية التي يرجع إلى زمن سيدنا نوح والحصول على المصادر الوثائق العلمية التي تثبت ذلك، وأيضاً قلة المتخصصين في الدراسات التأصيلية التي ترتبط بصناعة المعجم اللغوي. ولذلك يتطلب إعداد المدونة اللغوية النموذجية جهداً متواصلاً من قبل المتخصصين ودعم الحكومات العربية. وتهدف هذه المقالة إلى دراسة المبادئ الأساسية لوضع المعجم التاريخى المثالى للغة العربية بإذن الله تعالى.

الكلمات الرئيسية: المبادئ، الإنجاز، المعجم، التاريخى

المقدمة:

إن اللغة هي واسطة لنقل الأفكار والمكتسبات من الأسلاف إلى الأَخلاف. وهي فكر الأمة وهويتها وترتبط بين أفراد الأمة وتعبّر عن أحلامهم وآمالهم وعن أفراحهم وآلامهم، وهي الخزينة التي ترسم فيها الأمة عناصر ماضيها وتُسَطَّرُ بها حوادث تاريخها و ثمرات نتاجها في العلم، السياسة، الأدب، أو الفنّ وهي الواسطة التي يتمّ بها انتشار الأفكار والمشاعر فتنتقل من فرد إلى آخر ومن مجموعة إلى أخرى. فاللغة ليست مجموعة من الألفاظ والعبارات الجامدة، بل هي أحاسيس ومشاعر ونوازع كامنة، وأفكارٌ وميولٌ حيّة مطوّبة تقومُ بمثابة طابع قوميّ يشدُّ من روابط الاتحاد والألفة بين جميع أفرادها، فيشعر هؤلاء وكأنّهم أسرة واحدة.

لأشكَّ أَنَّ اللِّغَةَ هِيَ أَدَاةُ الْإِتِّصَالِ وَالتَّفَاهُـمِ بَيْنِ أبنَاءِ الْبَشَرِ، وَهِيَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللّهِ الْعَظِيمِ. يَقُولُ اللّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ السِّنِّبِ كُمْ وَالْوَنُكُرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾^(١) لِأَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الْمَخْلُوقُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَنْطَقُ وَيَعْبُرُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ.

إِنَّ جَمِيعَ الْأُمَمِ الْمَتَقَدِّمَةِ، تَهْتَمُّ بِلِغَاتِهَا، فَتَقِيمُ جَامِعَاتِهَا وَمُؤَسَّسَاتِهَا الْعِلْمِيَّةَ لخدمَتِهَا، خَاصَّةً لِلْبَحْوثِ وَالدِّرَاسَاتِ اللِّغَوِيَّةِ. وَقد حَقَّقَتِ الدِّرَاسَاتُ الْمَعْجَمِيَّةَ وَاللِّغَوِيَّةَ الْحَدِيثَةَ، فِي الْغَرْبِ تَقَدِّمًا كَبِيرًا، بِاعْتِبَارِهَا عِلْمًا تَرْتَبِطُ بِالْعُلُومِ الْآخَرَى وَتَبْحَثُ عَن قَانُونِ النُّشُوءِ وَالارتِقَاءِ، وَانْحِلَالِ اللِّغَاتِ وَتَارِيخِ إِيجَادِهَا. وَنَتِيجَةُ ذَلِكَ ظَهَرَتِ الْمَعَاجِمُ التَّارِيخِيَّةُ، بِحَيْثُ يُعْنَى بِدِرَاسَةِ أَصْلِ الْكَلِمَاتِ وَاسْتِقَاقِهَا وَتَطَوُّرِ دِلَالَتِهَا.

مفهوم اللغة :

لقد لعبت اللغة دوراً هاماً في تحقيق المنزلة العليا للإنسان بين الكائنات الأخرى وإن الرموز اللغوية خدمت الإنسان والوجود الإنساني وأصبح الإنسان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بها في سير أمور حياته اليومية.

لقد انشغل العلماء قديماً وحديثاً بالبحث عن جوهر اللغة، وقديماً عرّف ابن جني اللغة بقوله: «إنّها» أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»^(٢). وحديثاً فقد ذهب سوسير أن اللغة في أساسها مجموعة من الصور اللفظية التي تخزن في أذهان الأفراد كما يستخدمونها في التفاهم والاتصال السماعي^(٣). وعرّفها أنيس فريجة بأنّها ظاهرة سيكولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة، لصفة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختيار معاني مقررّة في الذهن. وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل^(٤).

هناك تعريفات كثيرة أوردها العلماء تكشف عن ارتباط علم اللغة بعلم عدة، أهمها: علم النفس، علم الاجتماع، علم المنطق، علم الفلسفة وعلم البيولوجيا، وتشير إلى أن كل عالم منهم كان ينظر إلى اللغة من زاوية العلم الذي يعمل في ميدانه.

وظيفة اللغة :

يرتبط الرمز اللغوي ببيئة محددة يطلق عليها الجماعة اللغوية، فعندما يسمع شخص لغة أجنبية لا يعرفها بل يسمعها أصواتاً غير متميزة، وليس لها تصنيف واضح عنده وليست لها دلالة رمزية، إنه يسمع سلسلة صوتية ليست لها وحدات متميزة ولكن ابن اللغة أو العارف بها لا يسمع هذه السلسلة الصوتية فحسب، بل يميّز بين مكوناتها ويفهم محتواها الدلالي.

١- سورة الروم، الآية: ٢٢.

٢- ابن جني، الخصائص، دار الهدى، بيروت، ط/٢، ج/١ ص ٢٢

٣- محمود أبو زيد، اللغة في الثقافة والمجتمع، دار الكتاب، الزيتون، ص ٨٢

٤- أنيس فريجة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٤

واللغة كاصطلاح بعد ما خرجت إلى سوق الحياة العامة أصبحت تعمل فيها كعنصر من عناصر التفاهم وسبيل النجاح في التعبير عما تجيش في صدور الناس.

ليس هناك أحد يعترض على تنوع وظائف اللغة في السلوك الإنساني وإن اختلف العلماء في ترتيب هذه الوظائف حسب أولوياتها وأهميتها. لأن الوظيفة الأساسية للغة هي الاتصال أو النقل أو التعبير عن طريق الأصوات الكلامية وأن ما توصله اللغة أو تنقله أو تعبر عنه هو الأفكار والمعاني والانفعالات والرغبات، أو الفكر بوجه عام^(١). ويأتي جون فيرث (John Rupert First) الذي يتكون محيط الكلام عنده من مجموعة العلاقات بين الأشخاص الذين يقومون بدور معين في المجتمع، ومن مجموعة الكلمات التي ينطقون بها والأحداث التي يرتبطون بها. واللغة عنده ليست إشارات اصطلاحية وذلك لأن دلالات اللغة تحدّد من خلال الاستعمالات المتنوعة في المجتمع^(٢) يرى أندرية مارتيّنة (Andre Martinet) أنّ وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل في إطار المجتمع الذي تنتمي إليه، فاللغة مؤسسة إنسانية يتردّ كيائها إلى المجتمع الذي يتكلمها وهي الوسيلة التي تتيح للإنسان بصورة أساسية القيام بعملية التواصل بينه وبين أفراد بيئته^(٣).

وكذلك يقول جون ديوي: إنّ اللغة لا توجد إلا عندما يستمع إليها ويتحدث بها، فالسامع شريك لا غنى عنه في هذه العملية المؤلفة من المتحدث وموضوع القول ومن يتحدث إليه^(٤).

ومن هذا العرض يمكن القول بأن معظم هؤلاء العلماء قد أجمعوا على أن وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل بين أفراد مجتمع ما وإن كانت هذه الآراء في تطورها في فهم هذه الوظيفة تتفاوت قليلاً بعضها عن بعض.

فقد حاول هاليداي (Halliday)^(٥) تقديم حصر بأهم وظائف اللغة في المواقف التي يحتاج الفرد إلى استعمال اللغة للاتصال بها، على ما يلي:

١- الوظيفة النفعية: (Instrumental Function) ، وهذه الوظيفة هي التي يطلق عليها «أنا أريد» فاللغة تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يُشبعوا حاجاتهم وأن يعبروا عن رغباتهم.

٢- الوظيفة التنظيمية: (Regulatory Function)، وهي تعرف باسم وظيفة «افعل كذا، ولا تفعل كذا» فمن خلال اللغة يستطيع الفرد أن يتحكم في سلوك الآخرين، لتنفيذ المطالب والنهي، وكذا اللافتات التي نقرؤها، وما تحمل من توجيهات وإرشادات.

١- محمود السعران، اللغة والمجتمع، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م، ص ١٢

٢- ميشال زكريا، الأنسية المبادئ والإعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢/١٩٨٣م، ص ٢٨٢

٣- ميشال زكريا، قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢/١٩٨٥م، ص ٢١٧

٤- جون ديوي، قاموس جون ديوي للتربية، ترجمة محمد علي العريان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ١٧٨

٥- رشدي أحمد طعيمة، المدخل الاتصالي في تعليم اللغة الأجنبية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، ١٩٩٧م، ص ٦

٣- الوظيفة التفاعلية: (Interactional Function)، وهي وظيفة «أنا وأنت» حيث تستخدم اللغة التفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الفكك من أسر جماعته، فنستخدم اللغة في المناسبات، والاحترام، والتأدب مع الآخرين.

٤- الوظيفة الشخصية: (Personal Function)، بمعنى أن الإنسان يستطيع من خلال اللغة أن يعبر عن مشاعره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة، وتلخص في عبارة: إنني قادم.

٥- الوظيفة الاستكشافية: ويقصد بها استخدام اللغة من أجل الاستفسار عن أسباب الظواهر والرغبة في التعلم منها، فبعد أن يبدأ الفرد في تميز ذاته عن البيئة المحيطة به يستخدم اللغة لاستكشاف وفهم هذه الطبيعة حتى يستكمل معلومات عن هذه البيئة، ولخصت في عبارة: أخبرني عن السبب.

٦. الوظيفة التخيلية: (Imaginative Function)، ويقصد بها استخدام اللغة من أجل التعبير عن تخيلات وتصورات من إبداع الفرد، وتلخص عند هاليداي في عبارة: دعنا نتظاهر أو ندعي.

٧- الوظيفة الإخبارية الإعلامية: (Informative Function) وبها يستطيع الفرد من خلال اللغة نقل معلومات جديدة ومتنوعة.

يتضح مما ذكرنا من وظائف اللغة أنها تستخدم في أغراض عديدة تشمل على أشكال من التفاعل مع الآخرين.

طبيعة اللغة العربية وخصائصها :

اللغة العربية لغة تتمتع بمكانة رفيعة بين اللغات الحيّة في العصر الحاضر، كما كانت قديماً تحتل مكانة الصدارة بين اللغات المشهورة ولهذه اللغة خصائص تميزها، وهي:

١- الاشتقاقية: إن الأصل الواحد في اللغة العربية تتوارد عليه مئات المعاني بدون أن يقتضي ذلك أكثر من تغيرات في حركات أصواتها الأصلية نفسها مع زيادة بعض الأصوات عليها أو بدون زيادة، وإن كل ذلك يجري وفق قواعد مضبوطة دقيقة نادرة الشذوذ. ومن الطبيعي أن وجود عدّة كلمات ذات دلالات مختلفة في أسرة جذرية واحدة تلعب دوراً إيجابياً في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٢- القياسية: ومن أهميتها أن الطالب بعد فهم القاعدة يستطيع أن يقيس على سائرهما، مثلاً: لو عرف الطالب بأن اسم المفعول الثلاثي على وزن مفعول فلا تبقى أمامه مشكلة في صياغة اسم المفعول لأي فعل ثلاثي. وهذه الخاصية من أهم الأسس اللغوية التي يجب أن تراعى عند بناء منهج اللغة العربية.

٣- الخاصية الإعرابية: الظاهرة الإعرابية تأتي أهميتها بحيث تفرق بين المعاني، ويقول ابن

ولكن هذه المعاني لا تتفق مع معنى (المعجم) الذي نحن بصدد الحديث عنه - كما سيأتي:

ب - تعريف المعجم في الاصطلاح: وهو مرجع يشتمل على كلمات لغة ما ، أو مصطلحات علم ما ، مرتبة على نمط معين ، مشروحة شرحاً يزيل إبهامها ، ومضافاً إليها ما يناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث ، وتعين الدارس على الوصول إلى مراده مع تعريف كل كلمة أو ذكر مرادفها أو نظيرها في لغة أخرى ، أو بيان اشتقاقها أو استعمالها أو معانيها المتعددة أو تاريخها ، وقد يكون المعجم أحادي اللغة أو ثنائية اللغة أو متعدد اللغات ، وقد يكون عاماً أو متخصصاً ، كما قد يكون معجم مترادفات أو ترجمان أو تعاريف ، وقد يكون معجماً هجائياً مرتباً حسب حروف الهجاء أو مخارج الحروف ، أو معنوياً مرتباً حسب المعاني^(١) .

ويمكن تعريف المعجم بأنه كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها بصورة عامة ، وعلى أن تكون مواد مرتبة ترتيباً خاصاً إما على حروف الهجاء أو بناء على الموضوع ، والمعجم هو ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم^(٢) . والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها^(٣) .

إذن المعجم وسيلة لغوية تتعلق بجمع اللغة ووضعها ، ويسعى إلى وضع أسس تتصل باللغة ومفرداتها ومفاهيمها التي ترتبط بالعلوم الإنسانية المختلفة وكتب الأدب والنثر وعلم الدلالة... الخ من العلوم الأخرى.

ج - التوفيق بين المعنيين: اللغوي، والاصطلاحي:

كيف يمكن التوفيق بين المعنى الأصلي اللغوي وبين المعنى الاصطلاحي؟

والإجابة عن ذلك أن يقال: إن زيادة بعض الحروف في الكلمة قد تسبب تغييراً في المعنى ، وقد خصص لذلك علماء الصرف باباً سموه (معاني صيغ الزوائد) .

بل إن بعض أنواع الزيادة قد تقلب المعنى إلى ضده ، كتضعيف عين الكلمة وكزيادة الهمزة في أول الكلمة؛ لتدل على معنى الإزالة ، كما يقال مثلاً: أشكيت فلاناً أي أزلت شكواه . وكذلك قسط بمعنى جار ، وأقسط: بمعنى عدل . ويقال: أعجمت الكتاب أي أزلت عجمته بنقطه أو شكّله كما يقال: عجمت .

وقد وضح ذلك ابن جني حين قال: ثم إنهم قالوا: أعجمت الكتاب: إذا بينته وأوضحته؛ فهو - إذاً - لسلب معنى الاستبهام لا إثباته^(٤) .

١- رياض زكي قاسم ، المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ١٩٨٧م ، ص ١٩

٢- محمد رشادي الحمزاوي ، من قضايا المعجم العربي حديثاً ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ١٥١

٣- إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، ج ١ ، ص ٥٩٢

٤- ١٦- رياض زكي قاسم ، المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج ، م.س. ص ٢

فمعنى المعجم - إذاً - هو الكتاب الذي أزيلت العجمة فيه، وذهب الخفاء منه.

وحروف المعجم - كما حكى ابن فارس عن الخليل - «هي الحروف المقطعة: لأنها أعجمية»^(١)

ويوضح ابن فارس هذا بقوله: «وأظن أن الخليل أراد بالأعجمية أنها ما دامت مقطعة غير مؤلفة تأليف الكلام المفهوم فهي أعجمية لا تدل على شيء؛ فإن كان هذا أراد فله وجه، وإلا فما أدري أي شيء أراد بالأعجمية»^(٢)

إطلاق كلمة المعجم تدل على ما تقدم ذكره من أنه كتاب يضم ألفاظ اللغة ويشرح معانيها الخ... وإنما هو المعنى الغالب عليه. وإلا فإن المؤرخين من علماء علم الحديث قد سبقوا علماء اللغة في هذا الإطلاق؛ فسموا كتبهم معاجم.

فهذا أحمد بن علي بن المثنى (٢١٠-٢٠٧) يُطَلِّقُ على كتاب وضعه لمعرفة الصحابة: (معجم الصحابة).

وكذلك فعل عبد الله بن عبدالعزيز البغوي (ت ٢١٤) المحدث حين أطلق على كتابه (المعجم الكبير) و (المعجم الصغير).

ولذلك يحسن التقييد عند البحث فيقال: المعاجم اللغوية.

أنواع المعاجم اللغوية من حيث الوضع:

هناك نوعان من المعاجم اللغوية و لا بد من التفرقة بينهما:

النوع الأول: نوع يشرح معاني الألفاظ، ويبين أصلها، وما اشتقت منه، معتمداً في ذلك صاحبها على نظام معين في ترتيب المواد اللغوية؛ بحيث يمكنه جمع اللغة بطريقة حاصرة سواء على نظام التقلبات أم القافية أم الأبجدية. ويطلق على هذا النوع من المعاجم اسم (المعاجم المجنسة) أو (معاجم الألفاظ).

وقد مر تأليف هذه المعاجم بمرحلتين:

الأولى: جمع الكلمات؛ بحيث العالم يرحل إلى البادية؛ فيسمع كلمة، مثلاً كلمة في الأنواء، وثانية في المطر، وثالثة في الغابات والشجر وهكذا. . .

الثانية: جمع الكلمات بطريقة حاصرة لكل ألفاظ اللغة، وهذا هو المقصود الآن من المعاجم اللغوية.

النوع الثاني: يهدف إلى جمع الألفاظ الموضوعية لمختلف المعاني:

١- ابن فارس، معجم المقاييس، م.س.ص.٤/١٩٥

٢- ١٨- م.س.ص.٤/١٩٥

وهذه يرجع إليها من يعرف المعنى، ويرغب في معرفة اللفظ الموضوع له. ويُطَلَق على هذا النوع بعضُ الباحثين: (المعاجم الميبوبة) أو (معاجم المعاني) أو (معاجم الموضوعات).

ومن أبرز الكتب التي ألفت في ذلك كتاب (غريب المصنف) لأبي عبيد ت ٢٢٢هـ، و (الألفاظ) لابن السكيت ت ٢٤٤هـ، و (الألفاظ الكتابية) للهمذاني ت ٢٢٧هـ، و (مبادئ اللغة) للإسكافي ت ٤٢١هـ، و (فقه اللغة) للشعالبي ت ٤٢٩هـ، و (المخصص) لابن سيده ت ٤٥٨هـ.^(١)

المعجم التاريخي:

يقصد بالمعجم التاريخي، ذلك المعجم الذي يقوم على تتبع المعاني أو المفاهيم التي أعطيت للألفاظ أو المصطلحات، عبر تاريخها الاستعمالي^(٢). المعجم العام أو العادي هو كتاب يحتوي على كلمات منتقاة من اللغة، تُرتب عادة ترتيباً هجائياً، مع معلومات دلالية ونحوية عنها. أما المعجم التاريخي فيزيد على ذلك بأن يؤرخ لظهور كل كلمة في اللغة ويتبع ما طرأ على دلالاتها من تطور وعلى تلفظها من تغير، كما يبين أصل الكلمة وما إذا كانت قد اقتُرِضت من لغة أخرى مباشرة أو عبر لغات وسيطة. ويستند المعجم في تقديم تلك المعلومات إلى النصوص المتوفرة سواء أكانت تلك النصوص مطبوعة أو مخطوطة أو منقوشة على أوراق البردي أو على النقود أو غيرها. فالمعجم التاريخي يرتب معاني الكلمة ترتيباً تاريخياً، فيورد المعنى الأقدم أولاً ويضع بعده سنة ظهوره مع شاهد أو اقتباس من النصوص المدونة، ثم يأتي بالمعنى الثاني الذي استُعملت فيه تلك الكلمة وسنة ظهوره وجملة مقتبسة وردت فيها تلك الكلمة بذلك المعنى وهكذا.

تعتبر المعجمات التاريخية للغات، مظهراً لتقدم الحضاري والثقافي واللغوي، بحيث تسجل لنا تطور لغة أمة الناطقة بهذه اللغة على مر التاريخ، على أنه يبين نمو اللغة من النواحي المعنى والدلالة والسياق، ويعكس الأطوار التاريخية التي تمرّ بها الأمم. ولذلك كان تاريخ اللغة، هو التاريخ الفكري والثقافي بالمفهوم العام للأمم والشعوب التي تنطق بتلك اللغة^(٣).

وَوَضَّعُ المعجمات التاريخية للغات، في الجملة، يأتي على رأس مراحل النضج والتوسُّع والامتداد، ويقوم على أساس من الذخيرة المعجمية اللغوية، التي تتجمّع من الكتب التي تُعنى بشرح معاني الكلمة، ومرادفاتها، وأبنياتها الصرفية وتراكيبها النحوية، وأصولها، واستعمالاتها، وغريبها، وشواهداها. ذلك أن التأريخ للغة من اللغات هو حصيلة تراكم الثروة اللغوية، والتصرّف فيها واستثمارها بمنهج علمي. وهو عملية لا تتم على النحو الذي يفى بالقصد ويحقّق الهدف، إلا إذا توافرت شروط موضوعية يأتي في المقدمة منها، تطوّر المجتمع علمياً وثقافياً. ولذلك اقترن

١- محمد بن ابراهيم الحمد، دراسات في المعاجم العربية، <http://www.toislam.net/files.asp?order=3&num=2540> &per=1229&kk

٢- محمد البوشيخي، مفهوم المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية <http://alminbar.al-islam.com/images/books/350.doc>

٣- علي القاسمي، المعجم التاريخي للغة العربية، <http://www.alfawanis.com/kotab/articles.php?id>

وضع المعجم التاريخي للغة بالتطوّر الحضاري الذي يتحقّق في بيئة هذه اللغة، بحيث كان ظهور المعجم التاريخي للغة ما، تعبيراً عن بزوغ عصر النهضة، كما هو واضح تماماً في تاريخ أوروبا المعاصر، حيث صدر معجم أكاديمية كروسا الإيطالية في عام ١٦١٢م، وصدر معجم الأكاديمية الفرنسية بين عاميّ ١٦٢٨م و١٦٩٤م، وصدر معجم وبستر الأمريكي في عام ١٨٢٨م. وهذه المراحل هي التي كانت منطلقاً للنهضة في تلك البلدان^(١).

مراحل تطور معجم اللغة العربية :

وفي هنا نتناول المراحل المختلفة التي مر بها المعجم العربي عبر القرون.

المرحلة الأولى : الترتيب الصوتي ونظام التقلبات الخليليان.

وقد خطا خليل ابن احمد الفراهيدي خطوة الإبداع في مجال العمل اللغوي في مسار وصف جوانب حياة اللغة في تصنيفه المعجمي في نهاية القرن الثاني للهجرة (٧١٨-٧٨٦ م) واستحق بذلك أن يكون أول من أنشأ علم اللغة. الأسس والإطار العام التي اتخذها الخليل بن أحمد في معجمه لم تتجاوزها التصانيف المعجمية العربية فيما بعد. نظم معجمه وفق أسس مرتبة ومعينة جمع فيه كل مفردات اللغة، ساعدته في ذلك عقليته الرياضية حيث استخدم في وضع كتابه (العين) إحدى السبل الرياضية التي مكنته من جمع كل مفردات اللغة وهي طريقة التقلبات الصوتية ويتم ذلك عن طريق تقليب حروف الكلمة الواحدة للحصول على الكلمات بالشرح والتحليل.

ورتب الخليل مادته اللغوية في كتاب (العين) حسب المخارج الصوتية للحروف من الحلق إلى الخارج على نحو التالي :

ع ح هـ خ غ - ق ك - ج ش ض - ط د ت - ظ ذ ث - ر ل ن - ف ب م - و ا ي^(٢).

إن ترتيب الخليل للحروف حسب مخارجها، ونظامه في التقلبات قد أصبحا مرحلة مميزة من مراحل التأليف المعجمي، واتباع هذا الطريق من بعده تلامذته، منهم:

- ١- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر الهروي (٨٩٥-٩٨١) في كتابه (تهذيب اللغة).
- ٢- اسماعيل بن القاسم بن هارون القالي، البغدادى (٩٠١-٩٦٢ م) في كتابه (البارع).
- ٣- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي (٢٩٤-٤٥٨ هـ) في كتابه (المحكم).
- ٤- الزبيدي في كتابه (مختصر العين)^(٣).

١- المعجم التاريخي للغة العربية في ضوء متغيّرات الألفية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو. ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م

٢- إميل يعقوب، المعجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ص ٢٩

٣- م.س.ص ٤٤-٤٥

المرحلة الثانية : النظام الألفبائي الخاص.

يظهر أن ابن دريد قد أدرك، من ناحية، صعوبة البحث في معجم العين عن معاني الكلمات التي يستغلق فهمها على الباحث، كما شعر، من ناحية ثانية، أن ترتيب مواد المعجم حسب النظام الألفبائي يخفف كثيراً من هذه الصعوبة نظراً لسعة انتشاره. ورأى أيضاً أن نظام التقلبيات، الذي ابتدعه الخليل، أساس سليم لاستيعاب معظم مواد اللغة العربية، إذ لم ينقل جميعها. فأحب أن يجمع بين ترتيب الألفباء العادي وبين نظام التقلبيات الخليلي، فوضع معجمه (الجمهرة) على هذا الأساس^(١). ويبدأ النظام الألفبائي الخاص بالحرف مع ما يليه في الألفباء لا مع الهمزة فالباء فالتاء، فإذا أخذنا باب الحاء - مثلاً - فإنه يبدأ بالحاء والحاء، ثم الحاء والذال، فالحاء والذال، وهكذا إلى الحاء والياء، ثم يعود إلى الحاء والهمزة، ثم الحاء والباء... وهكذا.

وقد شكل هذا المعجم مرحلة متقدمة في فن ترتيب مواد المعجم، وسُميت بمرحلة النظام الألفبائي الخاصة.

ومن وافق هذه المدرسة، هما:

- ١- أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد (٨٣٨-٩٣٣ م) في كتابه الجمهرة.
- ٢- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (٩٤١-١٠٠٤) في كتابه المقاييس.

المرحلة الثالثة : الترتيب بحسب الحرف الأخير.

أول من ابتدع هذا النظام إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٧٠هـ/٩٦١م)، خال الجوهري صاحب الصحاح، ولكن الباحثين يجمعون على أن الجوهري هو المبتدع لهذا النظام. وهذا التنظيم متبع في كثير من المعاجم وأهمها:

- ١- الصحاح للإسماعيل بن حماد الجوهري (توفي حوالي ٤٠٠هـ).
- ٢- لسان العرب لمحمد مكرم بن علي بن منظور الأفرقي (١٢٣٢-١٣١١ م).
- ٣- القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب، أبوظاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزبادي (١٣٢٩-١٤١٥م).

المرحلة الرابعة : الترتيب الألفبائي حسب أوائل الأصول.

اعتمد هذا النظام على الترتيب الألفبائي حسب أوائل أصول الكلمات، ويعد أبو عمرو الشيباني والبرمكي صاحباً الفضل في اكتشاف هذا النظام، وتوالت بعدهما الكثير من المعاجم مثل المصباح المنير للفيومي (ت ٧٧٠هـ) وغيره من معاجم المصطلحات والشعراء وكتب عن الطبقات. أما المعجم الحديث مثل «معجم المحيط» لبطرس السستاني، و«البستان» و«فاكهة

البستان» لعبد الله البستان، و «أقرب الموارد» لسعيد الشرتوني، والمنجد للويس المعلوف، و«متن اللغة» لأحمد رضاء إضافة إلى معاجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة «المعجم الكبير» و «المعجم الوسيط» فكلها تتبع هذا النظام اللفبائي.

المرحلة الخامسة : الترتيب النطقي (الترتيب الفرنجي).

لاشك في أن مراعاة أصول الكلمات، في ترتيب مواد المعجم، فيه من الصعوبة، ويظهر أن بعض اللغويين العرب المحدثين قد أدركوا هذه الصعوبة، وبخاصة بعد اطلاعهم على المعاجم الأجنبية التي ترتب كلماتها حسب نطقها، لا حسب جذورها، فرغبوا في وضع معجم ميسرة الشرح والتبويب، أخذين بالترتيب (الفرنجي) لكلمات المعجم، أي حسب نطقها لا حسب جذورها.

ومن أشهر هذه المعاجم هي :

١- «المرجع» لشيخ عبد الله العلايلي، ولد في بيروت في السنة ١٩١٤.

٢- «الرائد» لجبران مسعود ١٩٣٠ أحد أساتذة اللغة العربية المشهورة في بيروت.

نجد أن المعاجم قد صنفت إلى أصناف و كل صنف خاص بنوع من المعاجم سواء كانت عامة أو خاصة وحدد السبب الذي من أجله تم تصنيفه وهي:

١- المعاجم اللغوية: تهتم هذه المعاجم بشرح الفاظ اللغة عامة وتحدد كيفية استعمالها وترتيبها يتم بطريقة معينة وهي أغلب المعاجم الموجودة إذ أنه لم يخرج أي منها من هذا النوع ومن هذا المعاجم القاموس المحيط للفيروز آبادي، والصحاح للجوهري حيث تهتم هذه الكتب باللغة عامة.

٢- معاجم الترجمة: وتعرف بالمعاجم أو الثنائية والثلاثية اللغة وهي أقدم أنواع المعاجم في العالم. وتقوم هذه المعاجم بشرح لغة أجنبية بلغة محلية بعد جمعها ويلحق بها المعاجم متعددة اللغات وهي التي تعطي المعنى الواحد بعدة اللغات في آن واحد، ويهدف هذا النوع من المعاجم إلى تسهيل تعلم الكلام والكتابة باللغات الأجنبية.

٣- المعجم الموضوعية: هذه المعاجم تهتم بجمع المادة وفق معانيها أو موضوعاتها حيث يتم ترتيب المواد في المعجم الواحد حسب الموضوع ولا يدخل الموضوع في الآخر، وخير مثال في هذا النوع من المعاجم كتاب (المخصص) لابن سيدة الأندلسي.

٤- المعاجم الاشتقاقية: أما هذا النوع من المعاجم فكل اهتمامه ينصب في البحث عن أصول الكلمات أو ألفاظ اللغة فتدلنا على أصل الكلمة وتحديد الأسرة التي تنتمي إليها الكلمة أم هي سامية أم هندية أو أوربية أو عربية.

٥- المعاجم المتخصصة: تهتم هذه المعاجم بموضوع معين أو علم من العلوم والمصطلحات، ثم تشرح هذه المصطلحات أو الألفاظ حسب استعمال المتخصصين في هذا العلم ومن هذه

المعاجم (التذكرة) لداود الأنطاكي وكتاب (حياة الحيوان) للدميري.

٦- دوائر المعارف: هي نوع من أنواع المعاجم ولكنها تختلف عنها من حيث أنها سجل للعلوم والفنون وغيرها من المظاهر والنشاط العقلي عند الإنسان وهي المراجع للتعريف بالإعلام والشعوب والبلدان والوقائع الحربية وهناك دوائر المعارف المتخصصة كدوائر المعارف الإسلامية ودوائر المعارف الطبية.

٧- المعجم المصوّر: مما لا شك فيه أن الصور تساعد على توضيح معاني الحسيات التي تقع عليها العين. واستخدام الصور في مجال المعاجم ظهر حديثاً، مع ظهور المنجد. والمعجم المصور هو الذي يثبت صور الكل التي يتضمنها. وأول من وضع معجماً بهذا النوع العالم الألماني (دودون) الذي لاحظ أن الألفاظ في اللغة تكثر في الحسيات لا في المجردات.

٨- المعجم التاريخي: تهتم هذه المعاجم بأصل الكلمة لا الكلمة نفسها ثم تتبع مراحل الكلمة ومعناها عبر الأزمنة والعصور مثل كلمة (المربي) ماذا كانت تعني في الجاهلية، وكيف تطور معناها حتى اليوم وذلك عبر العصور المختلفة.

بهذا قد توصلنا إلى أن المعاجم لا تصنف إلا لتحديد معاني الموضوع أو علم أو هدف خاص لا يخرج عنه المعجم، ولكن معظم معاجم اللغة العربية كانت من المعاجم اللغوية ولم يخرج عنها سواء الرسائل الصغيرة أو الكتب ذات الموضوعات مثل (الغريب في ألفاظ القرآن) وكتب الأصمعي الإبل- الخيل- المطر وغيرها.

ولم تظهر بقية المعجم إلا في عصر الحديث بعد تشعب العلوم والاختصاصات المختلفة التي دفعت العلماء للوقوف على المعاني والمفاهيم الخاصة بكل موضوع.

كما أشرنا بأن صناعة المعجم العربي هي أقدم الصناعات المعجمية في اللغات الحية وأغزرها كماً وأغناها نوعاً، مع ذلك فإن اللغة العربية لا توفق على صناعة المعجم التاريخي حتى الآن.

أهمية المعجم التاريخي:

سيساعد هذا المعجم التاريخي على دراسة اللغة العربية دراسة علمية، ووصفها وصفاً لسانياً دقيقاً، لأنه سيؤرخ للتغيرات التي لحقت بأصوات اللغة وأبنياتها الصرفية وتراكيبها النحوية بالإضافة إلى التطور الدلالي الذي أصابها.

المعجم التاريخي المقترح للغة العربية:

فقد عرف دوزي المعجم التاريخي للغة العربية، أنه معجم يعرفنا بوضوح ودقة- كلما عدنا إليه- المعنى الدقيق لأي لفظ في أصل استعماله، ومختلف الدلالات التي طرأت عليه في جزيرة العرب وبلاد فارس والشام... إلخ، أي في كل الأمصار التي كونت - على حد تعبيره - تلك الإمبراطورية

الشاسعة، التي امتدت ما بين بلاد الهند والحدود الفرنسية. هو معجم يرسم لنا بالاعتماد على الشواهد والنصوص اعتماداً مستمراً، وتاريخ كل لفظ وكل عبارة. ويميز بين المعاني الخاصة بكل لفظ في مصر عربي ما، والمعاني التي كان يفيدها في مصر آخر؛ بين مدلول كل لفظ عند الشعراء، ومدلوله عند الناثرين. ثم هو معجم يشتمل على كل مصطلحات العلوم والفنون مفسرة تفسيراً منهجياً في الواقع يقوم بدلالة الألفاظ والتراكيب، متتبعا إياها في مختلف العصور والبيئات.

الجهود المبذولة :

المعجم التاريخي يؤرخ لألفاظ اللغة و تاريخ نشأتها ويشير على ما حدث للغة من التطور و التغيير في أشكالها ومحتوياتها الدلالي عبر العصور وقد تحدث عن هذا الموضوع ابن جني في كتابه الخصائص وغيره من كتبه، ولكن حتى الآن ما نجح علماء اللغة العربية في تصنيف كتاب مستقل بحيث يجيب بهذه المسألة، ولكن في السنوات الأخيرة شعر علماء اللغة العربية بأنهم في حاجة إلى معجم بما يشبه فيما ألف في مجال اللغات الأخرى، مثل الإنجليزية وغيرها من اللغات الحية، وقام مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، إلى البحث في هذا الموضوع، وقام بتشكيل لجنة للمعجم التاريخي و للتخطيط والعمل على إنجازه.

ونجد المحاولات الجادة من قبل بعض علماء اللغة العربية لإعداد المعجم التاريخي في شكل المؤتمرات كما أقيمت في مدينة الشارقة برعاية حاكمها.

وأيضاً قد قام معهد أبحاث الاستشراق الألماني الذي كان يديره المستشرق أوغست فيشر (١٨٦٥ - ١٩٤٩)، بهذه المحاولة، لتأليف معجم عربي تاريخي بدعم من مؤتمر المستشرقين والمجمع السكسوني. ولكن هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) أدت إلى توقف المشروع، ثم استأنف العمل عام ١٩٢٣. وحين أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٢٢، قرر تبني مشروع فيشر وإماده بالدعم اللازم والمساعدتين المتخصصين، فانتقل فيشر إلى القاهرة، ولكن الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) اضطر للعودة إلى ألمانيا حيث أقعده المرض وعاجلته المنية. وضاعت المواد التي أعدها فيشر، ما عدا المقدمة وأجزاء من حرف الألف.

وعندما تأسست جمعية المعجمية العربية بتونس في أواسط الثمانينات، اهتمت بموضوع المعجم التاريخي فخصته بندوتها العلمية الدولية الثانية عام ١٩٨٩، وأنشئ عام ١٩٩٠ مشروع (المعجم العربي التاريخي) بتمويل من الحكومة التونسية، ولكن هذا المشروع قد توقف، ثم أعيد العمل فيه عام ١٩٩٦. ولعل سبب تعثره يعود إلى عدم تفرغ القائمين على المشروع. ولهذا فإن اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية قرر إنشاء مؤسسة مستقلة تتفرغ لتأليف المعجم التاريخي للغة العربية^(١).

١- علي القاسمي، المعجم التاريخي للغة العربية، <http://www.alfawanis.com/kotab/articles.php?id=11>

منهجية تأليف المعجم التاريخي:

كان إعداد المعاجم التاريخية يعتمد على جمع الشواهد السياقية الكثيرة جمعاً يدوياً من مختلف عصور اللغة. وكان هذا العمل يتطلب حشداً من المحررين والمراسلين والمتبرعين ويستغرق سنوات طويلة. أما اليوم فقد أصبحت العملية أيسر بفضل الحاسوب وقواعد المعلومات وبنوك الكلمات. إذ يمكن إنشاء مدونة لغوية تتألف من نصوص كثيرة تضم ملايين الجمل التي تنتمي إلى فترات اللغة المتباينة، والأقطار المختلفة، والمجالات المعرفية المتنوعة. ثم يجري البحث عن الألفاظ لفظاً لفظاً، فيزودنا الحاسوب بآلاف العبارات والجمل التي يرد فيها اللفظ المطلوب مرتبة ترتيباً تاريخياً، مع تاريخ كل جملة والمكان الذي كتبت فيه والمجال المعرفي الذي تنتمي إليه. فيتولى اللغويون والمعجميون استخلاص دلالات اللفظ المختلفة من السياقات التي وردت فيها. ويُعزز كل ذلك دراسات تأصيلية عن أصل اللفظ وتحديد اللغة التي اقتُرص منها^(١). وعلى الرغم توفر البرامج المتطورة فإن تأليف معجم تاريخي يتطلب سنوات طويلة.

ومن أهم الأسس التي ينبغي أن تراعى لعمل هذا «المعجم التاريخي» ما يأتي:

١- يجب أن يحتوي المعجم التاريخي على كل كلمة وردت في أدبيات اللغة، مدعومة بالشرح والتوضيح.

٢- المبدأ التاريخي هو الأساس في معالجة الكلمات.

٣- هوية اللفظة وكتابة أصولها، أصواتها، ونطقها، بالحروف الهجائية العربية، وفق قواعد محددة، سواء أكانت الكلمة: كنعانية أم آرامية أم عبرية، أم حبشية أم أمازيغية أم يونانية أم لاتينية أم فارسية أم هندية، أم من اللغات الحديثة في العصر الحاضر، لا سيما المصطلحات، والاتفاق على الحروف التي تكتب بها الأصول القديمة والحديثة.

٤- الدلالة النحوية لكل كلمة.

٥- يجري الترتيب وفق قاعدة محددة: الفصيح، الشائع، المهجور، المهمل، الغريب، المعرب.

٦- الصرف ويشمل الاشتقاق والصورة التاريخية للكلمة.

٧- شرح معاني المفردات بوضعها في سياقات متعددة، فهي المصدر الأساس الذي يأخذ بأيدينا إلى الكشف عن معنى لفظة نجهل تفسيرها، أو نريد معرفة معناها صحيحاً دقيقاً لتعرف استعمالاتها، ونهتدي إلى السياق المناسب الذي وردت فيه.

٨- بيان ضبط مختلف الكلمات التي لا يظهر لنا وجه الصواب فيها، ولا سيما الأسماء الجامدة وكثيراً من أسماء الأعلام والبلدان والأفعال الثلاثية لمعرفة حركة العين في ماضيه أو

١- م.س. <http://www.alfawanis.com/kotab/articles.php?id=11>

مضارعه، أو معرفة مصدره.

٩- التنبية برمز معينة على الفصحى والمعرّب والدخيل والمولد من الألفاظ.

١٠- بيان بعض مصطلحات العلوم والفنون.

مراحل إنجاز المعجم التاريخي:

١- مرحلة الجمع والتوثيق: وهي أطول مرحلة وأشقها وأهمها على الإطلاق؛ فيها يجب أن تقرأ جميع أصناف المصادر المتقدمة، وتستخلص منها جميع التعاريف والشروح، موثقة بالنسبة إلى مصادرها، مضبوطة البيانات، موثقة المتن، صحيحة العبارة، منظمة تنظيمًا يجعل الاستفادة منها يتلو ميسرة.

٢- مرحلة المراجعة والتدقيق: وهي مرحلة تكميل الناقص، وضبط المختل، وإلغاء الحشو، وتعريف الغامض، والتأكد من الموجود، وإضافة المفقود. في المصادر والنصوص، والبيانات، والتنظيم وغير ذلك.

٣- مرحلة التأليف والتنسيق: وفيها يصنف ما روجع ودقق، وتصنيفات جزئية مختلفة، ثم يؤلّف من تلك الأصناف الجزئية أشكال من المركبات ثم ينسق من تلك المركبات المعجم الجامع، مرتبًا الترتيب المشار إليه أعلاه، مكشّفًا التكشيف الذي ينبغي له^(١).

التوصيات:

- وضع اللجان الأدبية والتاريخية والأصولية موجهة للجامعيين في عملية جمع النصوص والاقتراسات والشواهد.

- تصنيف معجم تاريخي عربي يتطلب حشد عدد من المتخصصين باللغات العربية القديمة كالسومرية والبابلية والآشورية والآرامية والمصرية القديمة وكذلك باللغات التي تفاعلت معها العربية واقتضت منها كاليونانية والفارسية والتركية.

- تأليف المعجم التاريخي العربي يتطلب مؤسسة متكاملة تتكبُّ على هذا العمل، ولا يكفي جهود لغوي أو معجمي واحد بمفرده.

١- محمد البوشيخي، مفهوم المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية alminbar.al-islam.com/images/books/350.doc

الأستاذ الدكتور عبد المنعم طوعي بشناتي

رئيس أقسام اللغة العربيّة وآدابها والشريعة والدراسات الإسلاميّة في جامعة الجنان

الانسجام الصوتي دراسة تحليليّة في اللغة العربيّة

الحلقة الثانية

الفصل الرابع:

مطلب: التناسب الصوتي في الأصوات المتقاربة المخارج

تتأثر الأصوات بما يقاربهها بالمخرج، فيقلب الصوت الأوّل أو الثاني الى ما يقاربه عندما يلتقيان في الدرج الصوتي، فإنّ صوت التاء في صيغة «افتعل» في الكلمات اضترب، واطترد، واظتهر، قريبة المخرج من الضاد والطاء والظاء، فلمّا رأوا أنّ التاء المهموسة بعد هذه الأصوات المطبقة، والتاء مخففة قرّبوها من لفظ الصاد والطاء والظاء بأن قلبوها الى أقرب الحروف منهن، وهو: الطاء، لأنّ الطاء أخت التاء في المخرج وأخت هؤلاء الأحرف في الاطباق والاستعلاء، وقلبوها مع الطاء طاء أيضاً، لتوافقها في الجهر والاستعلاء، ليكون الصوت متفقاً، ومنهم من يقلب التاء الى لفظ ما قبلها، وكأنه بعد أن قلبت التاء طاء، تناسب صوت الطاء مع ما قبلها فقرّبوها منه فقلبت الى الصوت الذي قبلها، فنقول: اصّبر، ومصّبر واضّرب، ومضّرب، واظّهر، ومظّهر^(١)، وقرأ عاصم: «أن يصلحاً»^(٢) يريد يصطلحاً^(٣).

١- انظر سر صناعة الإعراب ٢١٧/١.

٢- سورة النساء. الآية ١٢٨.

٣- انظر المحتسب ٢٠١/١. سر صناعة الإعراب ٢١٨/١.

واجتماع الأصوات المتقاربة سبب مقتضى للإدغام^(١)، فكلمًا كانت الأصوات أشدّ تقاربًا كان الإدغام فيهما أقوى، وكلّما كان التقارب أقلّ كان الإدغام أبعد^(٢). والحروف المتقاربة مخارجها إذا أدغمت فإنّ حالها حال الحرفين اللذين هما سواء في حسن الإدغام^(٣).

والأصوات المتقاربة المخارج تجري مجرى الأصوات المتماثلة في الإدغام، فالعلة الموجبة للإدغام في المثليين قريب منها في الأصوات المتقاربة، لأنّ إعادة اللسان إلى موضع قريب مما رفعته عنه كإعادته إلى نفس الموضع الذي رفعته عنه، وهذا العمل يستثقله اللسان، فكهوا ابقاء الأوّل على حاله، فإذا التقي حرفان متقاربان قَرَّبوا الصوت الأوّل من الثاني فيقلب إلى لفظ الصوت الثاني، فيدغم الأوّل منهما في الثاني، ولا يمكن إدغام المتقاربين حتى يقلب الصوت الأوّل إلى لفظ الثاني، ولوتركته على أصله من لفظه لم يجز إدغامه لما فيهما من الخلاف، فلا يصحّ الإدغام إلا بعد تقريب صوت من آخر ويصبحا مثليين. لأنّ رفع اللسان بهما رفعة واحدة مع اختلاف الصوتين محال، لأنّ لكلّ صوت منهما مخرجًا غير الآخر، ولا يمتنع ذلك في المتماثلين، لأنّ المخرج واحد يمكن أن يجمعهما في العمل فيقع اللسان عليهما وقعا واحدًا^(٤).

ولأصوات العربيّة العديد من المخارج بلغت عند سيبويه ستة عشر مخرجًا^(٥)، أمّا الخليل بن أحمد فجعل المخارج ثمانية، ولم ينسب الياء والواو والألف والهمزة إلى مخرج معيّن وسماها هوائية^(٦)، وترتب الأصوات بالنسبة لمخارجها ابتداءً من الحلق ثم اللسان - اقصاه، وسطه، طرفه - ثم الشفوية^(٧)، وانتهى سيبويه بمخرج الخياشيم.

والأصوات كما وردت عند سيبويه على ترتيب المخارج على الشكل الآتي: فللحلق منها ثلاثة. فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف. ومن أوسط الحلق مخرج: العين والحاء. وأدناه مخرجاً من الفم: الغين والحاء.

ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج: القاف.

ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج: الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج: الجيم والشين والياء.

ومن بين أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج: الضاد.

١- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٢.

٢- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٢.

٣- الكتاب ٤ / ٤٤٥.

٤- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٢. وشرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٦٤.

٥- انظر الكتاب ٤/٤٣٣، والممتع ص ٦٦٨.

٦- انظر المدخل إلى علم اللغة ص ٢١.

٧- انظر الكتاب ٤/٤٣٢، ودراسات في علم الأصوات اللغوية ص ١٦٢ وما بعدها. والممتع ص ٦٦٩، ٦٧٠.

ومن حافة اللسان من أَدانها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج: النون.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج: الراء.

وممّا بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج: الطاء، والدال، والتاء.

وممّا بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج: الزاي، والسين، والصاد.

وممّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج: الظاء، والذال، والثاء.

وممّا باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج: الفاء.

وممّا بين الشفتين مخرج: الباء، والميم، والواو.

ومن الخياشيم مخرج: النون الخفيفة^(١).

والمحدّثون يسقطون من الأصوات الساكنة: الألف والنون الخفيفة^(٢)، إذ إن الألف عندهم صوت لين ولا فرق بين النون والنون الخفيفة، كما أسقطها الزمخشري وابن الحاجب^(٣).

وصوت الألف ما هو إلا صوت حركة الفتح مشبعا وقد رمز له في مقاييس أصوات اللين بالرمز «q»^(٤) الفرنسي، فما يسمى بألف المد هي فتحة طويلة^(٥). وقد أدرك ابن جني ذلك فقال: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ، وهي: الألف والياء والواو...»^(٦). وكان الخليل بن أحمد يقول: «الألف والواو والياء هوائية، أي: أنها في الهواء»^(٧). ويقصد عندما تكون أصوات مدّ.

والمحدّثون حين نظروا إلى نسبة صعود اللسان نحو الحنك أمكنهم أن يقسموا أصوات اللين إلى مجموعتين: المجموعة الأولى: تشمل أصوات اللين الضيقة، وهي: الكسر والضم، وما قرب منهما، لأن اللسان مع كل منهما يبلغ في صعوده نحو الحنك أقصى ما يمكن للنطق بصوت لين، والمجموعة الثانية: هي أصوات اللين المتسعة، وهي: الفتح وما قرب منها. لأن اللسان معها يبلغ أقصى ما يمكن أن يصل إليه في هبوطه في قاع الفم، والفراغ بين اللسان والحنك حينئذ يكون أوسع ما يمكن في هذا الوضع^(٨). وهذا الوصف يبين ما ذكره الخليل من كون أصوات اللين هوائية

١- انظر الكتاب ٤/٤٢٣، ٤٢٤. وانظر شرح المفصل ١٠/١٢٣. وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٥٠.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات اللغوية ص ١٦٥، ١٦٤، ١٦٣.

٣- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٤. وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٥٠.

٤- انظر الأصوات اللغوية ص ٤١.

٥- انظر الأصوات اللغوية ص ٣٨.

٦- انظر سرّ صناعة الإعراب ص ١٧.

٧- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٤.

٨- انظر الأصوات اللغوية ص ٣٦.

وليس لها أكثر من عضو - وهو اللسان - لتقرع هذه الأصوات عند مخرج معلوم.

وأصوات المدّ، هي: حركة الصوت التي قبلها فلا وجود لحركات قصيرة قبلها بخلاف ما كان يظنه القدماء^(١)، فإذا حرّك ما قبلها بحركة قصيرة انقلب صوت المدّ إلى الصوت المناسب للحركة، وأشبعت الحركة حتى تصبح مدّا من نوعها.

ويختلفون مع سيبويه في تقديم بعض الأصوات عن مخرجها فيعدّون صوت القاف صوتا لهويا، ويأتي بعد الهمز والهاء والحاء والعين مباشرة. ويأتي بعد صوت القاف: الغين والحاء والجيم القاهرية والكاف والواو^(٢).

وقد أعجب العديد من المستشرقين ومنهم «شاده» «schaade» على تقسيم سيبويه للمخارج ووصفها بأنها في غاية التفصيل وعذره لتقسيمه المضطرب لأصوات الحلق، لأنه لم يكن يعرف الحنجرة ولا أجزاءها، إذ أنها تلاحظ بالتشريح وبالآلات الفنيّة، كمنظار الحنجرة أو الأشعة ولم يكن مثل هذه الآلات بين يديه^(٣).

ولما كان الغرض العلم بأصول تقريب الأصوات بعضها من بعض وتداخلها، والحرف إنّما هو صوت مقروء في مخرج معلوم، فالعلاقة شديدة بين الصوت ومخرجه، فإنّه وجب معرفة مخارج الأصوات ليعلم المتقارب من المتباعد.

وليس كلّ متقاربين في المخرج يدغم أحدهما في الآخر، ولا كلّ متباعدين يمتنع الإدغام فيهما، فقد يعرض للمقارب من الموانع ما يحرمه التقريب والإدغام. فامتناع التقريب يكون لوجود مانع، فكل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم فيما هو أنقص منه صوتا، فمثل هذه الأصوات يمتنع تقريبها أو ادغامها في مقاربها لأنّه يؤدي إلى الإجحاف بها وإبطال مالها من فضل على مقاربها^(٤).

فامتناع التقريب بين الأصوات للحفاظ على الصفات الزائدة في الصوت، نوع من التناسب الصوتي كي لا يضيع ويتلاشى الصوت الزائد في الحرف، فأصوات: الضاد، والواو، والياء، والميم، والراء، والفاء، والشين. وكلّ حرف فيه زيادة صوت، مثل: أصوات الصفير والأطباق^(٥). لا يقرب إلى الصوت الذي يليه ويدغم في مقاربه ويدغم مقاربه فيه.

فلا تدغم الضاد بصوت يقاربها في المخرج لاستطالة ليست موجودة في الأصوات، فلم يدغموها في مقاربها شحاً على استطالة وقّع صوتها لئلا تذهب، وأدغم فيها مقاربها.

١- انظر الأصوات اللغويّة ص ٢٩.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات اللغويّة ص ١٦٢، ١٦٤.

٣- انظر المدخل إلى علم اللغة ص ٣٣.

٤- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٣. وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٦٨.

٥- انظر الكتاب ٤/٤٤٧. وشرح المفصل ١٠/١٢٣. وشرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٦٩. وكتاب التكملة ص ٦١٦.

ولا تدغم الواو والياء في غيرهما لفضيلة اللين والاستطالة، ويدغم غيرهما فيهما.

ولا تدغم الميم مع الباء، نحو: أكرم بكاراً وتدغم فيها الباء نحو: اصحب مطراً، فالميم فيها غنة ليست في الباء، فإذا أدغمت في الباء فقد قلبت الى الباء، فيستهلك ما فيها من زيادة الصوت والغنة.

ولا تدغم الراء فيما يقاربها، مثل اللام، نحو: اختر له، وتدغم اللام في الراء، نحو: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ﴾^(١). لأن الراء يصاحب صوتها تكرير ليس في اللام.

ولا تدغم الفاء في الباء، نحو: اذهب في ذلك. لأن الفاء يصاحبها صوت تأفيف، وهو الصوت الذي يخرج من الفم عقيب النطق بالفاء، ولا يوجد في صوت الباء.

ولا تدغم الشين في الجيم مع تقاربهما في المخرج، وتدغم الجيم في الشين، لأنه يصاحب صوت الشين تفتش واسترخاء، في الفم ليس في الجيم^(٢) ومن الأصوات ما لا يدغم في مقاربة ولا يدغم فيه مقاربة، وهي الهمزة^(٣) وألف المدّ.

فالهمزة ثقيلة على اللسان وقابلة للتغيير والحذف ويلزمها ذلك، كما يلزمها التحقيق لأنها تستثقل وحدها، فإذا جاءت مع مثلها أو ما قرب منها حقت في النطق، لأنه موضع استئصال.

والألف لا تدغم في صوت من الأصوات المقاربة، ولا فيما يقاربها، نحو: الهاء. لأن الألف لا تدغم في الألف، فلو عوملتا مثل: «الدالين، والتائين» لتغيرتا وكانتا غير ألفين، فلما لم يكن في الألفين لم يكن مع الواحدة مع ما يقاربها^(٤).

وفيما يلي الأصوات التي تدغم في مقاربها اذا تجاوزت:

أولاً: الأصوات الحلقية:

يجوز تقريب بعض أصوات الحلق إلى بعضها، والقاعدة في ذلك: أن الصوت الأدخل في الحلق يقرب إلى الصوت الأقرب إلى الفم^(٥).

فالهاء تدغم في الحاء اذا تجاوزا في كلمتين، سواء كانت الهاء أولاً أم ثانياً فإنها تقرب إلى صوت

١- سورة المؤمنون، آية ١١٨.

٢- انظر الكتاب ٤٤٧/٢، ٤٤٨، وشرح المفصل ١٠/١٢٣-١٣٤. وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٧٠.

٣- فلا تدغم الهمزة في مثلها الا بشرط، أن يكونا في كلمة واحدة، وأن تكون عينا، وعلى نحو: فعال وفعل وما اشبههما مما عينه همزة، نحو: «سأل رأ س وجأر» من الجوار - وهو الصوت-، ولو جمعت سائلا وجأرا على فعل لأدغمت وقلت: «سؤل وجور». أما اذا التقت همزتان في غير موضع العين أو في كلمتين فلا إدغام، نحو: «قرأ أبوك»، ومن أجاز الإدغام فهي لغة رديئة. انظر شرح المفصل ١٠/١٣٥. وكتاب التكملة ص ٦١٥.

٤- انظر الكتاب ٤٤٦/٢. وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٣٦. والممتع ص ٦٧٩.

٥- انظر كتاب التكملة ص ٦١٧.

الحاء، فتقول: «أجبحاتما، واذ بحذه». في: أجبه حاتما واذبح هذه^(١)، والإدغام عربي حسن لقرب المخرجين، لأنهما مهموسان رخوان فقد اجتمع فيهما قرب المخرج والهمس^(٢). فالهاء من أول الحلق، والحاء من وسطه وليس بينهما إلا العين، فالحاء أقرب إلى الفم ولذلك لا تقرب الحاء إلى الهاء فتقول في: «أصلح هيثما» «أصلح حيثما»^(٣) ولا تدغم الحاء في الهاء، مثل: «امدح هلالا»^(٤) ولا تدغم الهاء مع الغين، وإن كانت الغين أقرب مخرجاً إلى الهاء من الحاء، لأن الهاء مهموسة رخوة كالحاء، والغين مجهورة بين الشديدة والرخوة^(٥).

والهاء لا تقرب من الغين فتدغم بها، وسبب ترك إدغام الهاء في العين وإن تقاربا في المخرج -فالهاء من أقصى الحلق والعين من وسطه- فقد تخالفا في الصفات فالعين مجهورة والهاء مهموسة، والهاء رخوة والعين متوسطة^(٦). فلما تباعد ما بينهما من جهة تجنيس الأصوات وإن تقاربا في المخرج امتنعا عن الإدغام، هذا هو الأصل. أما لغة تميم في هذه المسألة فإنهم يتوسطون بين الهاء والعين بأن يقلبوا صوت الهاء إلى حاء، والعين أيضاً، ويدغمون الحاءين. لأن الحاء موافقة للهاء بالهمس والرخاوة، وللعين بالمخرج، فتقول: اقطح هلالا، وأجبحنبه، ومحم. في: اقطع هلالا، وأجبه عنبه، ومعهم^(٧).

والعين إن جاورت الحاء متقدمة أو متأخرة تدغم بالحاء، بقلبها حاء، كقولك: «ارفع حاتما، واذبح عتودا» «ارفعاتما، واذبحتوداً». وإذا وقعت العين قبل الحاء وقلبت حاء فهو حسن، لأن باب الإدغام أن تدغم إلى الثاني وتحول على لفظه. وأمّا قلب العين إلى الحاء إذا كانت قبلها فهو جائز وليس في حسن الأول^(٨). فلا يقلب الأخرج من الأصوات إلى الأدخل من الأصوات فإن أردت الإدغام قلبت العين حاء، وأدغمت الحاء بالحاء، لأنه قد يقلب الثاني إذا تعذر قلب الأول^(٩).

ولا تدغم الحاء في العين وإن تقاربا، وما روي عن أبي عمرو في قوله تعالى ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّكَارِ﴾^(١٠) بإدغام الحاء في العين فهو ضعيف عند سيبويه، لأن الحاء أقرب إلى الفم ولا تدغم فيما هو أدخل في الحلق^(١١).

١- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٦.

٢- انظر الكتاب ٤/٤٤٩.

٣- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٦.

٤- انظر الكتاب ٤/٤٤٩، وكتاب التكملة ص ٦١٧. والمبدع ص ٢٦٢. وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٧٦.

٥- انظر شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٧٦.

٦- انظر الأصوات اللغوية ص ٨٨.

٧- انظر الكتاب ٤/٤٤٩، ٤٥٠ التكملة ص ٦١٧. شرح المفصل ١٠/١٣٧.

٨- انظر الكتاب ٤/٤٥٠. شرح المفصل ١٠/١٣٦. وكتاب التكملة ص ٦١٧.

٩- الممتع ص ٦٨٣.

١٠- سورة آل عمران آية ١٨٥.

١١- انظر الكتاب ٥١. شرح المفصل ١٠/١٣٦. وكتاب التكملة ص ٦١٧.

والغين والخاء صوتان حلقيان من المخرج الثالث منه، وهو أدنى المخارج إلى اللسان، والغين: صوت رخو مجهور، والخاء: صوت رخو مهموس^(١). فالغين والخاء مخرجهما واحد ورخوان، والغين صوت مجهور، نظيره المهموس هو الخاء، ولتوحد المخارج والرخاوة في كلا الصوتين فقد استُحسن تقريب كل صوت إلى صاحبه، وإدغامه فيه^(٢)، فنحو: «ادمغ خلفا» تقول: «ادمخلفا» بقلب صوت الغين خاءً، وإدغام الخاءين، وفي نحو: «اسلخ غنمك» تقول: «اسلفنمك» بتقريب الصوت الأوّل وهو الخاء إلى الصوت الثاني وهو الغين وإدغام الصوتين^(٣).

ويجوز إدغام العين والحاء في الغين والخاء لتقريبهما من الفم^(٤)، أما مذهب سيبويه فالمنع، لأن الغين والخاء قد قربا من الفم قربا شديدا فبعدتا عن الحاء والعين وكذلك الهاء، فلم يجز الإدغام في مثل: «ادمغ حامداً» و«ادفع غالباً» و«ونبه غافلا»^(٥).

ثانياً: الأصوات اللسانية :

أ) أصوات أقصى الحنك، وهي: القاف والكاف والواو.

أول مخارج الفم مما يلي أصوات الحلق صوت «القاف» وهي أدنى أصوات الفم إلى الحلق، ويليهما صوت «الكاف» وكل صوت منهما يدغم في صاحبه، ولا يدغم غيرهما فيهما^(٦).

وقد حسن سيبويه إدغامهما لتقريب المخرجين، ولأنهما من حروف اللسان وهما متفقان في الشدة^(٧)، ومثال إدغام القاف في الكاف قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾^(٨) فتدغم القاف في الكاف، لتقريب المخرجين وهما شديدان ومن حروف اللسان، ولأن الكاف أدنى إلى حروف الفم، من القاف، والإدغام حسن لإخراج القاف إلى الأقرب إلى حروف الفم التي هي أقوى في الإدغام^(٩) ومثال إدغام الكاف في القاف: «انهك قطنا»^(١٠) وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا﴾^(١١)، وادغام القاف في الكاف أقيس من إدغام الكاف في القاف، لأن القاف أقرب إلى حروف الحلق والكاف أبعد منها^(١٢).

١- انظر الأصوات اللغوية ص ٨٧، ٨٨.

٢- انظر كتاب ٤/٤٥١، شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٧٧، شرح المفصل ١٠/١٢٧.

٣- انظر الكتاب ٤/٤٥١، كتاب التكملة ص ٦١٧. شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٧٧. شرح المفصل ١٠/١٢٧.

٤- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٨. الممتع ص ٦٨٤.

٥- انظر المبدع ص ٢٦٣، وشرح المفصل ١٠/١٢٨، الممتع ص ٦٨٤.

٦- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٨.

٧- انظر الكتاب ٤/٤٥٢.

٨- سورة النور آية ٤٥.

٩- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٨.

١٠- انظر الكتاب ٤/٤٥٢. كتاب التكملة ص ٦١٨، المبدع ص ٣٦٤.

١١- سورة محمد آية ١٦

١٢- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٨. وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٧٨. الممتع ص ٦٨٥.

اما الواو فقد ذكر سيبويه^(١) وغيره أنها من الأصوات الشفوية ولهذه الشبهة فسوف يكون تفصيل الكلام عنها عند الأصوات الشفوية.

ب) أصوات وسط اللسان.

أصوات وسط اللسان، هي: الجيم، الشين، والياء.

اما الجيم فإنها إن جاورت الشين فإنها تقرّب إليها، وتقلب الجيم شيئاً، وتدغم الشين بالشين، قال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾^(٢) ونحو: «أخرج شَبْتًا» بإدغام الجيم بالشين بعد تقريبها الى الشين، وقد حَسَّنَ سيبويه هذا الإدغام، وإنَّما جاز إدغامها فيها لكونهما من مخرج واحد^(٣).

والجيم لا تدغم في الياء، وإن كانا من مخرج واحد، لأن الياء صوت معلول وبائن من جميع الحروف، والأصوات الساكنة تمدُّ بأصوات العلة، ولأن الحركات بعضها^(٤).

ولم يذكر سيبويه إدغامها إلا مع مثلها والشين^(٥). وقد أدغمها أبو عمرو في التاء في قوله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾^(٦)، وهو نادر^(٧). لأنها وإن لم تقارب الجيم التاء، فإنَّ الجيم أخت الشين في المخرج، والشين فيها تفش يصل الى مخرج التاء، فلذلك ساغ إدغامها فيها^(٨).

والشين لا تدغم في الجيم، مع أنَّهما متقاربان ومن مخرج واحد، لأن الشين أفضل من الجيم لصوت التفشي، فكرهوا إذهابه بالإدغام^(٩)، وأيضاً فإنَّ الشين بتفشيها لحقت بمخرج الطاء والذال، فبعُدت عن الجيم^(١٠).

واما الياء فلا تدغم بالجيم، للعلة المانعة من إدغام الياء والواو في حروف الصحة^(١١).

ويدغم في الجيم ستة أصوات من غير مخرجها، وهي: الطاء والذال والتاء والطاء والذال والتاء، نحو: «لم يربط جَملاً» و«قد جَعَل» و«وَجَبَت جَنُوبُهَا» و«احفظ جَابراً» و«انبذ جَعْفراً» و«ابعث

١- انظر الكتاب ٤/٤٣٣، المتع ص ٦٧٠.

٢- سورة الفتح آية ٢٩.

٣- انظر الكتاب ٤/٤٥٢. المتع ص ٦٨٦. شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٧٨ المبدع ص ٢٦٤.

٤- انظر المتع ص ٦٨٦.

٥- انظر الكتاب ٤/٤٥٢.

٦- سورة المعارج آية ٣-٤.

٧- انظر شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٧٨.

٨- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٨.

٩- انظر شرح المفصل ١٠/١٢٨.

١٠- انظر المتع ص ٦٨٧.

١١- انظر المرجع السابق

جامعا^(١)، وجاز إدغام هذه الأصوات في الجيم من وسط اللسان، فكان بينهما تباعد، فأجريت في ذلك مجرى أختها الشين، لأن الشين وإن كانت من مخرج الجيم فإن فيها تنفّسيا يتصل بهذه الحروف، ولهذا الاتصال جاز أن يدغم في الجيم، ولا تدغم الجيم فيها^(٢). ويقوي إدغام هذه الأصوات بالجيم، أنها تدغم في الشين، فكذلك أدغمت في أختها الجيم حملا عليها^(٣).

وإذا أدغمت الطاء والظاء في الجيم فالأحسن أن تبقى الإطباق الذي فيهما لئلا تخلّ بهما وتضعّفهما، بزوال الإطباق منهما^(٤).

وصوت الشين لا يقرب ممّا يجاوره ويقاربه، وقرأ أبو عمرو إدغامها في السين في قوله تعالى: ﴿إِذَا لَا تَبْعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾^(٥) وإدغام السين فيها في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(٦) لأنهما متواخيتان في الهمس والرخاوة، والصوت والتنفّسي، فكأنهما من مخرج واحد، وإن تباعد مخرجاهما، مع أنّ السين من حروف الصفير. ونحاة البصرة يمنعون إدغام الشين في السين والعكس^(٧)، لأن للشين فضل استطالة في التنفّسي، وزيادة صوت على السين^(٨).

وتدغم في الشين سبعة أصوات من غير مخرجها، وهي: الطاء والذال والتاء والظاء والذال والثاء واللام، لأن الشين استطالت بالتنفّسي الذي فيها، حتى اتصلت بمخرج هذه الأصوات، فجرت لذلك مجرى ما هو مخرج واحد^(٩)، فتقول: اضْبِشْبِثًا، وانقَشْبِثًا، وانعَشْبِثًا، واحفَشْبِثًا، وابعَشْبِثًا، وخَشْبِثًا. من قولك: اضبط شبثًا، وانقد شبثًا، وانعت شبثًا، واحفظ شنبثًا، وابعث شنبثًا، وخذ شنبثًا^(١٠).

أما الياء فلا تدغم في حرف صحيح، ولو كان من مخرجها لأنها من أصوات المدّ، ولها فضيلة على غيرها بما فيها من المدّ واللين، فباينت الأصوات اللاتي من مخرجها والمقاربة لها، فلا تدغم في «الجيم والشين» وإن كانت من مخرجها، لما فيها من المدّ واللين لئلا تخرج إلى ما ليس فيه مدّ ولا لين من الحروف الصحاح^(١١).

١- انظر المرجع السابق.

٢- انظر الممتع ص ٦٨٧. وشرح المفصل ١٠/١٢٨.

٣- انظر الممتع ص ٦٨٧-٦٨٨.

٤- انظر الممتع ٦٨٨.

٥- سورة الإسراء آية ٤٢.

٦- سورة مريم آية ٤.

٧- انظر شرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٧٨. وشرح المفصل ١٠/١٣٩.

٨- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٩.

٩- الممتع ص ٦٨٨.

١٠- الكتاب ٤/٦٦.

١١- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٩.

وتدغم الياء في الواو، إلا أن الواو هي التي تقلب لجنس الياء، تقدمت أو تأخرت، وذلك أن الواو والياء وإن تباعد مخرجهما فقد اجتماعا في المدّ، فصارا كالمثلين فتدغم الواو في الياء، بعد قلبها ياء^(١٢)، ويرى أهل اللغة: أن الواو تخرج من الشفة ثم تهوي إلى الفم حتى تنقطع عند مخرج الألف والياء، فالياء والواو على هذا متجاورتان^(١٣).

أمّا سبب قلب الواو ياء، عند إدغام الياء بالواو، فلأن القصد بالتقريب أو الإدغام: التخفيف، والياء أخفّ من الواو، فقلبوا الواو ياء على كل حال، والإدغام إنّما هو نقل الأثقل إلى الأخفّ، ومن ذلك: «أيام» في جمع «يَوْم» والأصل «أيّوام» ومثله: «سيّد» و«ميّت» وأصله: «سيّود» و«ميّوت» وأيضا «طي» و«لي» والأصل: «طويّ» و«لويّ».

والأصل أنّه لا يدغم في الياء أيّ صوت صحيح، إلا أن النون جاز إدغامها في الياء وإن لم يكن فيها لين، لأنّ النون غنّاء ولها مخرج من الخيشوم، فأشبهت بالغنّة التي فيها الياء، لأن الغنّة فضل صوت في الحرف، كما أن اللين فضل صوت في حروف العلة^(١٤)، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يُّؤْمِنُ بِهِ﴾^(١٥) وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ﴾^(١٦) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(١٧).

(ج) أصوات طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وهي: الضاد، والذال، والتاء، والطاء^(١٨).

أما سيبويه فإنّه يجعل للضاد بمفردها مخرجا، وهو: من بين أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس. ويجعل للطاء، والذال، والتاء مخرجا قريبا منه، وهو: من بين طرف اللسان مع أصول الثنايا^(١٩).

والضاد فيها من فضيلة الإستطالة والإطباق والإستعلاء، ما ليس في مقارباتها مما يشركها في هذه الصفات كلها، ما يمنعها من ان تدغم في غيرها، فلو أدغمت في أحد الأصوات المقارب لها لأدّى ذلك الى الإخلال بها وذهاب فضيلة الأصوات الزوائد^(٢٠). وروى سيبويه أنّ بعضهم قال: «مطّجع» بإدغام الضاد بالطاء في «مضطّجع»^(٢١). واغتنقوا لها ذهاب الإستطالة التي في الضاد، وموافقة

١٢- انظر المتع ص ٦٨٨. وشرح المفصل ١٠/١٣٩.

١٣- انظر شرح المفصل ١٠/١٣٩. أمّا المحدّثون فيرون: ان مخرج الواو ليس الشفتين فقط بل من أقصى اللسان حين يقترّب من أقصى الحنك، وأنّ الشفتين حين النطق بها تستديران. الأصوات اللغويّة ص ٤٣.

١٤- انظر المتع ص ٦٨٩. وشرح المفصل ١٠/١٣٩.

١٥- سورة يونس آية ٤٠.

١٦- سورة الاحزاب آية ٣٠.

١٧- سورة الطلاق آية ٢.

١٨- انظر الأصوات اللغويّة ص ٤٨.

١٩- انظر الكتاب ٤/٤٣٣.

٢٠- انظر المتع ص ٦٩٠.

٢١- انظر المتع ص ٦٩٠.

الضاد للطاء في الاطباق والإستعلاء. وقرب المخرج، ووقوعها في كلمة واحدة. فلما اجتمعت هذه الأسباب قَرَّبوا الضاد من الطاء وأدغموا الطاء بالطاء، وهذا قليل جدا ولا ينبغي أن يقاس^(١)، كما يبين سيبويه أن العرب يكرهون أن يدغموا الضاد فيما أدغم فيها من الأصوات - والطاء تدغم في الضاد - كما كرهوا إدغام الضاد بالشين^(٢)، وقرأ أبو عمرو إدغام الضاد بالشين، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَدْنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾^(٣) وهو خلاف ما نصَّ عليه سيبويه، ووجهه أنَّ الشين أشدَّ استطالة من الضاد، وفيها تقش ليس في الضاد، فقد صارت الضاد أنقص منها. وإدغام الأنقص في الأزيد جائز، ويستشهد أن سيبويه حكى عن بعض العرب: «أطجع» وإذا جاز إدغامها في الطاء فإدغامها في الشين أولى^(٤).

ويرد عليه أن هذه القراءة ضعيفة لأمرين:

الأول: ذهاب ما في الضاد من الإستطالة.

الثاني: سكون ما قبل الضاد، فيؤدِّي إلى اجتماع ساكنين على غير شرطه. والظاهر أن أبا عمرو قرأ باختلاس الحركة، فظنَّها الرواي إدغاما، والحجة أن أنه في قوله تعالى: ﴿رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾^(٥) و ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾^(٦) لم يدغم الضاد بالشين^(٧)، ومنه ما روي في قراءة إدغام الضاد بالذال، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾^(٨)، ولكنه محمول على الإخفاء واختلاس الحركة لا على الإدغام^(٩).

فالعرب كرهوا إدغام الضاد في غيرها، ولو كان المجاور لها مما يدغم فيها^(١٠).

ويدغم في الضاد من غير مخرجها ما أدغم في الشين من غير مخرجها، وهي الحروف التالية: «الطاء والذال والتاء والطاء والذال والتاء واللام».

وجاز إدغام هذه الحروف في الضاد، لأنها من طرف اللسان والثنايا، والضاد من حافة اللسان وجانب الأضراس، وفيها إطباق واستطالة تمتد حتى تصل بهذه الحروف، فصارت مجاورة لها،

١- انظر المتع ص ٦٩٠ والمبدع ص ٢٦٦.

٢- انظر الكتاب ٤/٦٦٦.

٣- سورة النور آية ٦٢.

٤- انظر شرح المفصل ١٠ / ١٤٠.

٥- سورة النحل، آية ٧٣.

٦- سورة عبس، آية ٢٦.

٧- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٠.

٨- سورة الملك، آية ١٥.

٩- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٠.

١٠- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٠. المتع ص ٦٩٠.

فجاز إدغامهن فيها، والضاد أقوى منهن وأوفر صوتا وإدغام إنما هو في الأقوى^(١).

وادغام هذه الأصوات في الضاد، أقوى من إدغامها في الشين، لأنها خالفت باستطالتها الثبئية، وهي مع ذلك مطبقة^(٢). ومثل سيبويه وغيره لإدغام هذه الأصوات، واستشهد لإدغام التاء بالضاد فقال وسمعنا من يوثق بعربيته، قال: ثار فضجّجة ركانبه.

فأدغم التاء بالضاد. وتقول: اضبطرّمه وانعصرّمه، واحضّرّمه وخضّرّمه وابعصرّمه، وهضّر بك خالد. من قولك: اضبط ضرمة، وانعت ضرمة، واحفظ ضرمة، وخذ ضرمة، وهل ضربك خالد^(٣)، أمّا أصوات الطاء والذال والتاء، فإن كل صوت من هذه الأصوات يدغم في الصوتين الآخرين، لأنهم من مخرج واحد.

فالطاء والذال تدغم كل واحدة في صاحبتها، لأنهما من مخرج واحد، وهما مجهورتان شديدتان، والمتكلم مخير بين إذهاب إطباق الطاء وتبقيته، فتقول «اضبّد لماً» والأصل «اضبط دلماً» بإدغام الطاء بالذال، مع ابقاء الإطباق لأن الذال ليس فيها إطباق، وهو الأقيس لأن صوت الإطباق أفشى في السمع، وبعض العرب يذهب الإطباق وهو الأقيس لأن صوت الإطباق أفشى في السمع، وبعض العرب يذهب الإطباق فيجعل الطاء كل الذال سواء إذ ارادوا ان لا تخالف الطاء الذال، فقلبوها دالا خالصة^(٤).

وتدغم الطاء في التاء، نحو: «انقتوأمًا»، الأصل: «انقط توأمًا» بإدغام والإطباق فتصير الطاء تاء، وفيه قرأ أبو عمرو قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا قَرَطْتُ فِي جَنَّبِ اللَّهِ﴾^(٥) وكما ذهب الإطباق مع الذال فإنه يجوز اذهابه مع التاء، إلا أن اذهابه مع الذال أمثل قليلا، لأن الذال كالطاء في الجهر والتاء مهموسة^(٦). ومما أخلصت فيه الطاء تاء سماعا من العرب قولهم: «حُتُّهم» يريدون: «حُطُّهم»^(٧).

وتدغم الذال في الطاء، والتاء في الطاء، نحو: انقد طالبا، وانعت طالبا، فتصيران الى الطاء، لأنه لا يجحف فيهما في الإطباق^(٨).

وتدغم التاء في الذال، والذال في التاء، والصوتان شديدان، إلا أن إدغام التاء في الذال أمثل، لأن الذال مجهورة والتاء مهموسة، مثل: «انعت دلامة» بالأدغام^(٩).

١- انظر الكتاب ٤/٤٦٥. المتمع ٦٩١. وشرح المفصل ١٠/١٤٠.

٢- انظر الكتاب ٤/٤٦٦.

٣- انظر الكتاب ٤/٤٦٥. المتمع ٦٩١. المبدع ٢٦٦.

٤- انظر الكتاب ٤/٤٦٠. وشرح المفصل ١٠/١٤٥، ١٤٦.

٥- سورة الزمر، آية ٥٦.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٦٠. وشرح المفصل ١٠/١٤٦.

٧- الكتاب ٤/٤٦٠.

٨- انظر الكتاب ٤/٤٦٠.

٩- انظر الكتاب ٤/٤٦١. وشرح المفصل ١٠/١٤٦.

د) أمّا الأصوات اللثوية أصوات طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا^(١): الطاء والذال والناء، وأصوات الطاء والذال والناء، فإنّ كلّ صوت من هذه الأصوات يدغم في الخمسة الباقية، وتدغم الخمسة الباقية فيه^(٢). فلا تمتنع هذه الأحرف عن بعضها البعض في الإدغام، لأنهن من حيز واحد، وليس بينهن إلا ما بين طرف الثنايا وأصولها، وذلك نحو: اهبّظالما، وأبعّدلك، وانعّابتا واحفظالبا، وخذّاود، وابعثلك، وخذّتهم^(٣). من قولك: اهبط ظالما، وابعد ذلك، وانعت ثابتا، واحفظ طالبا، وخذ داود، وابعث تلك، وخذّتهم. فيقرب الصوت الأوّل إلى الصوت الثاني ثم يدغم الصوتان في بعضهما.

أما أصوات طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا: الطاء والذال والناء، فإنّ كلّ صوت يدغم في صاحبه.

فالطاء تدغم في الذال، والذال تدغم في الطاء، لأنهما من مخرج واحد ومجهوران، ويفترقان في الإطباق، فتقول: «احفظ ذلك» و«خذ ظالما» بالإدغام، ويحسن اذهاب الإدغام لتكافئتهما في الجهر.

والثاء تدغم في الطاء، وكذا الطاء في الثاء، والصوتان مجهوران، ومن مخرج واحد، ويفترقان في الأطباق، فتقول: «ابعث ظالما» و«ايقظ ثابتا» بالإدغام. إلا أن إدغام الثاء في الطاء أحسن لبقاء الإطباق^(٤).

والذال تدغم في الثاء، والثاء تدغم في الذال، والإدغام بينهن كثير وجيد، فتقول: «خثابتا» و«وابعدلك» والأصل: «خذ ثابتا» و«ابعث ذلك»^(٥).

هـ) الأصوات الصفيرية - أصوات طرف اللسان وفوق الثنايا السفلى^(٦) - وهي: الزاي، والسين، والصاد.

كلّ صوت من الأصوات الصفيرية يدغم في الآخر، فهي من مخرج واحد وصفيرية، وتجتمع في صفة الرخاوة، والزاي: مجهورة. والسين والصاد: مهموستان، والصاد: مطبقة، لتتقارق صوت السين قليلا^(٧)، ويقلب الأول منهم إلى جنس الثاني إذا تجاوزا، ولا يكون في ذلك خلل. والإدغام فيهن أجود من الإظهار لأنهن من حروف طرف اللسان، وأصل الإدغام أن يكون في أصوات حروف

١- انظر الأصوات اللغوية ص ٤٧.

٢- انظر الكتاب ٤/٤٦٤. المتع ٧٠١. شرح المفصل ٤/١٤٦.

٣- انظر الكتاب ٤/٤٦٤.

٤- انظر الكتاب ٤/٤٦٢. شرح المفصل ١٠/١٤٦.

٥- انظر الكتاب ٤/٤٦٢.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٢٣. الأصوات اللغوية ص ٧٥.

٧- انظر الأصوات اللغوية ٧٦-٧٦. وقارن بين هذه الأصوات

الضم وطرف اللسان^(١).

وإدغام حروف صفير بعضها في بعض أكثر من إدغام «الطاء والثاء والذال» بعضها في بعض. لأن الإعتقاد بالإدغام على الحرف المنحصر بالأسنان، أسهل منه على الحرف الرخو الخارج من رؤوس الأسنان^(٢).

فإن أدغمت «الصاد» في أختيها فالأولى إبقاء الإطباق^(٣)، ويجوز ترك الإطباق، نحو: «افحص زّدا» و«أخلص سألما» فتقلب الصاد في المثال الأول زيا، وتدغم الزاي، وفي المثال الثاني تقلب الصاد سينا وتدغم السين في السين.

وإذهاب الإطباق من الصاد مع السين أحسن من إذهابه مع الزاي، لأن السين تشاركها في الهمس، ولا تخالفها إلا في الإطباق^(٤).

وإذا أدغمت السين والزاي في الصاد قلبتهما صادين، ولا يقع إخلال فيهما، نحو «احبس صابرا» و«أوجز صابرا»^(٥).

وتدغم كل من الزاي والسين في صاحبتهما، وإدغام السين في الزاي أجود، نحو: «احبس زردة» و«أوجز سلمة» لأنهما من الأصوات المتكافئة في المنزلة^(٦).

ويجوز إدغام الأحرف الستة: الطاء والذال والثاء والطاء والذال والثاء، في الأصوات الصفيرية - الصاد والزاي والسين - لأنهن من طرف اللسان، والأقيس في الأصوات المطبقة إذا أدغمت تبقىة الإدغام^(٧).

ولا يجوز إدغام الأصوات الصفيرية في الأصوات الستة، لأن في ذلك إخلالاً بها لقوتها من الصفير ولو أدغمت لقلبت الى جنس ما تدغم فيه فيذهب الصفير، وهو فضل صوت في الحرف^(٨).

ويدغم في الأصوات الصفيرية الثلاث صوت اللام، والإدغام هنا جيد، ويلي جودة إدغام اللام بالراء، لأن اللام أقرب الحروف إلى الأصوات الصفيرية بعد الراء، وإدغام اللام في: الطاء

١- انظر المتع ص ٧٠٧.

٢- انظر شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٨٢.

٣- فالأفصح اذا أدغمت حروف الإطباق فيما لا إطباق فيه إبقاء الإطباق، لئلا تذهب فضيلة الحرف. انظر شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٨١.

٤- انظر المتع ص ٧٠٨.

٥- انظر المبدع ص ٢٧٢. والمتع ٧٠٧.

٦- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٦.

٧- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٥، ١٤٦.

٨- انظر المتع ص ٧٠٨. وشرح المفصل ١٠/١٤٦.

والتاء والدال، نفس حكم إدغامها في الصفيريّات^(١).

و) أصوات طرف اللسان مع ما فوق أصول الثنايا العليا، وهي: اللام والنون والراء^(٢)، وسمى بعض العلماء القدامى هذه الأصوات الثلاثة بالأصوات الذلقيّة، وتتميز هذه الأصوات عن غيرها من الأصوات الساكنة بالوضوح السمعي.

فلوضوحها الصوتي شبهت بأصوات اللين وعدّها القدامى من الأصوات المتوسطة، أي: بين الشدّة والرخاوة، أمّا بقيّة الأصوات المتوسطة - العين والميم - فهي من مخرجين آخرين^(٣).

وتدغم اللام في أصوات اللسان لموافقته لها، وهي أحد عشر حرفاً وهي: التاء، الدال،، الطاء، الثاء، الظاء، الذال، الزاي، السين، الصاد، الراء، النون. وتدغم أيضاً في الضاد، لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام، وكذا في الشين، لوجود التفتشي الذي فيها خالطت مخرج اللام^(٤)، والمجموع ثلاثة عشر حرفاً، وهي الأصوات الشمسيّة^(٥).

فإذا كانت اللام للتعريف وجب إدغامها مع الأصوات الشمسيّة، ولا يجوز ترك الإدغام معها^(٦)، لاجتماع ثلاث أسباب تدعو إلى الإدغام، فلما كان فيها ثلاث موجبات للتخفيف - وهي: ١- ثقل اجتماع المتقاربات. ٢- وكثرة لام المعرفة في الكلام ٣- وأنها مع ما بعدها كالكلمة الواحدة، فتتصل بالاسم اتصال بعض حروفه لأنه لا يوقف عليها - التزم فيها الإدغام^(٧).

فإذا كانت لغير التعريف جاز إدغامها في هذه الأصوات الثلاثة عشر، بسبب المقاربة، وإدغامها وهي ساكنة أحسن من إدغامها وهي متحرّكة^(٨). وإدغام اللام في الأصوات الشمسيّة على ثلاث درجات من القوة:

١- أفضل درجات اللام في الإدغام يكون مع الأقرب لها في المخرج، والأشبه بها، وهو صوت الراء، وبعض الذين يصعب عليهم إخراج الراء يجعلها لاما، نحو: «هرأيت». فإن لم تدغم قلت «هل رأيت»، وهي لغة عربية فصيحة لأهل الحجاز^(٩).

٢- يلي حسن وجود إدغامها في الراء، إدغامها في أصوات طرف اللسان مع الثنايا، وهي: الطاء

١- انظر الممتع ص ٦٩٣، ٧٠٨.

٢- انظر الكتاب ٤/ ٤٣٣.

٣- انظر الأصوات اللغويّة ص ٦٣ - ٦٤

٤- انظر الكتاب ٤/ ٤٥٧، الممتع ص ٦٩١، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٢٧٩، شرح المفصل ١٠/ ١٤١.

٥- انظر شرح المفصل ١٠ / ١٤١.

٦- انظر الكتاب ٤/ ٤٥٧.

٧- انظر الممتع ص ٢٩٢، وشرح المفصل ١٠/ ١٤١، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٢٧٩.

٨- انظر الممتع ص ٦٩٣. والمبدع ص ٢٦٧

٩- انظر الكتاب ٤/ ٤٥٧، الممتع ص ٦٩٣، شرح المفصل ١٠/ ١٤١.

والدال والتاء والصاد والزاي والسين. لأنها أقرب الأصوات إليها بعد الراء، وليس ككثرته مع الراء، لأنهنّ تراخين عنها، وجاز الإدغام لأن آخر مخرج اللام قريب من مخرجها^(١). وقرأ بالإدغام حمزة والكسائي وهشام قوله تعالى: ﴿تَوَثَّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٢) فأدغم اللام في التاء^(٣).

٣- وتدغم اللام مع: الظاء والتاء والذال. وليس كحسن إدغامها في الأصوات السابقة، وجاز إدغامها في هذه الأصوات لأنها من أطراف الثنانيا، متصّدة الى أصول الثنانيا متى قاربت مخرج الفاء. ولأن اللام تدغم في الفاء جاز إدغامها فيما قرب من مخرج الفاء^(٤). وقرأ أبو عمرو بن العلاء: «هَتُّوبُ الْكِنْفَارِ»^(٥) يريد ﴿هَلْ تُؤَبُّ الْكِنْفَارُ﴾ فأدغم في التاء^(٦).

٤- وإدغام اللام في الشين والضاد أضعف لأنهما ليسا من طرف اللسان كاللام، فالضاد مخرجها من أول حافة اللسان، والشين من وسطه، وجاز إدغام اللام فيهما لاتصال مخرجهما بحروف طرف اللسان، بالإستطالة التي في الضاد، والتفشي الذي في الشين^(٧).

٥- وبيان اللام مع النون أحسن من الإدغام، ويرى سيبويه أن إدغام اللام في النون أقبح من جميع الحروف التي تدغم فيها اللام^(٨)، وإنّما قبح إدغام اللام في النون، وان كانت اقرب الى اللام من غيرها من الحروف المذكورة، فكما أنه لا يجوز إدغام شيء منها في النون فكذلك ضعف إدغام اللام فيها^(٩)، ولا يدغم في اللام إلا النون^(١٠).

أما النون فهي صوت يصاحبه غنة، والغنة صوت مصدره الخيشوم، ويتبع الصوت ويشارك النون في الخيشوم الميم، لما فيها من الغنة صوت يسمع كالميم^(١١).

والنون تدغم في مثلها وفي حروف خمسة، هي: الياء، الراء، والميم، واللام، والواو. لمقاربتها في المخرج للراء واللام، ومشابقتها ومقاربتها للميم في الغنة وأما مقاربتها للياء والواو فلأن في النون غنة تشبه اللين في الياء والواو^(١٢)، فلما قاربت النون هذه الحروف الخمسة أدغمت فيها.

١- انظر الكتاب ٤/٤٥٧، الممتع ص ٦٩٣، شرح المفصل ١٠/١٤١.

٢- سورة الاعلى، آية ١٦.

٣- انظر الكتاب ٤/٤٥٩، وشرح المفصل ١٠/١٤٢.

٤- انظر الكتاب ٤/٤٥٨، الممتع ص ٦٩٣، وشرح المفصل ١٠/١٤١.

٥- سورة المطففين، آية ٣٦.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٥٩.

٧- انظر الكتاب ٤/٤٥٨، الممتع ص ٦٩٤، شرح المفصل ١٠/١٤١.

٨- انظر الكتاب ٤/٤٥٩.

٩- انظر الممتع ص ٦٩٤.

١٠- انظر الممتع ص ٦٩٤.

١١- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٤.

١٢- انظر الممتع ص ٦٩٦.

فإذا كانت النون ساكنة فليس فيها إلا الإدغام، وإن كانت متحرّكة جاز فيها الوجهين: الإدغام والبيان، نحو: ختنُ موسى. وكأنَّ الحركة فاصل، إذ أن نيّة الحركة بعد الحرف، فأدى ذلك الى الفصل بين المتقاربين^(١).

وإذا أدغمت النون في الياء والراء والواو، فيجوز أن يكون الإدغام بغنة وبغير غنة، فإذا أدغمت بغنة فلأن الغنة فضل صوت فيكره إبطاله، وبقي أثر النون وهو الغنة، لفضله وزيادته، وقد جود ابن عصفور إبقاء هذا الأثر للمحافظة على فضل الغنة^(٢). أمّا إذا كان إدغامها بغير غنة فهو على أصل الإدغام، لأنها إذا أدغمت في هذه الحروف صارت من جنسها، فتصير مع الياء ياء، ومع الراء راء، ومع اللام لاما، ومع الواو واو، وهذه الأصوات بغير غنة^(٣).

أمّا إدغامها مع الميم فليس فيه إلا الغنة حيث تقلب ميما، وفي الميم غنة، فعند إدغام النون في الميم لا يوجد حاجة الى غنة النون، لوجودها في الميم، فإذا قلبت النون ميما محضة لم تبطل الميم^(٤). ولأن الميم تخرج من الشفة، وتصير إلى الخياشيم للغنة التي فيها، أدغمت فيها النون لتلك المجاورة^(٥).

ولا يدغم في النون إلا اللام، نحو: «هنرى» والأصل: «هل نرى» فأدغم اللام في النون. والبيان أحسن، لأنه امتنع إدغام ما أدغمت النون فيه في النون، فكأنهم استوحشوا إدغام اللام فيها، لمّا امتنع إدغام بقية أخواتها فيها^(٦).

وشاع في علم التجويد أحكام النون الساكنة والتنوين، وقد خُصص مطلب سابق في هذا الشأن^(٧). أما الراء فهو صوت مجهور مكرر^(٨)، ولأن فيها تكريرا فلا تدغم فيما يقاربها لثلا يسلبها الإدغام ما فيها من فضل التكرير^(٩). وتدغم في مثلها لأن معدنها وجرسهما واحد^(١٠).

فلو أدغمت فيما يقرب منها - وهو اللام والنون - فإنها تصير من جنس ما تدغم فيه، وما تدغم فيه ليس فيه تكرير، ولهذا امتنع إدغامها في اللام والنون حفاظاً على فضل التكرير^(١١).

١- انظر الممتع ص ٦٩٧.

٢- انظر الممتع ص ٦٩٧.

٣- انظر الممتع ص ٦٩٧، شرح المفصل ١٠/١٤٤.

٤- انظر الممتع ص ٦٩٧.

٥- انظر الممتع ص ٦٩٨.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٥٦.

٧- المطلب الثامن (أ): النون وانسجامها الصوتي.

٨- انظر سرّ صناعة الإعراب ص ١٩١.

٩- انظر سرّ صناعة الإعراب ص ١٩١. والممتع ص ٧٠١، وشرح المفصل ١٠/١٤٣.

١٠- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٣.

١١- انظر الممتع ص ٧٠١.

ومذهب البصريين واضح في منع إدغام الراء في اللام، ولم يخالف سيبويه من البصريين سوى يعقوب الحضرمي، وهي قراءة أبي عمرو، حيث روي أنه كان يدغم الراء في اللام: ساكنة الراء أو متحركة، فالساكنة نحو قوله تعالى: ﴿فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(٣)، وما كان مثله. أما المتحركة، نحو قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْقُورِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾^(٥). أما المذهب الكوفي فقد أجاز إدغام الراء في اللام، وأجاز الكسائي والفرّاء، وحجتهما: أنّ الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاما، ولفظ اللام أسهل وأخفّ من أن تأتي براء فيها تكرير وبعدها لام وهي مقاربة للفظ الراء، فيصير كالنطق بثلاثة أحرف من موضع واحد^(٦).

وقد شدّد ابن جني على أن قراءة أبي عمرو في إدغام الراء مدفوع عنده وغير معروف، وإنما هو شيء رواه القرّاء، ولا قوة في القياس^(٧). ويذكر أبو بكر بن مجاهد الذي روى قراءة أبي عمرو أنه لم يقرأ أحد سواه هذه القراءة^(٨).

أما إدغام اللام في الراء فحسن، نحو: «اشغل رّحبة» لقرب المخرجين، ولأن الراء فيها انحرافا نحو اللام قليلا، وقاربتها في طرف اللسان، وهما في الشدة وجري الصوت سواء، وليس بين مخرجيهما مخرج^(٩).

وتدغم النون في الراء، وهما شديدتان، ولقرب المخرجين على طرف اللسان حسن الإدغام، نحو: «مِنْ رَّاشِدٍ» و«مَنْ رَّأَيْتَ» و«مَنْ لَّكَ» ويجوز الإدغام بغنة وبغير غنة. وإذا كان الإدغام بلا غنة فتكون بمنزلة حروف اللسان، وإذا كان الإدغام بغنة فإنه يترك صوت غنة النون الخارج من الخياشيم على حاله، لأن الصوت الذي بعده ليس له نصيب من الخياشيم فيغلب عليه^(١٠).

ثالثا: الصوت الشفوي الأساني^(١١)، وهو: صوت الفاء فقط، ومخرج الفاء من باطن الشفة السفلى

١- سورة ال عمران، آية ١٦.

٢- سورة ال عمران آية ١٥٩.

٣- سورة ال عمران، آية ٢١.

٤- سورة ابراهيم، آية ٢٣.

٥- سورة هود آية ٧٨.

٦- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٣، والمبدع ص ٢٦٩.

٧- انظر سرّ صناعة الإعراب ص ١٩٣.

٨- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٣.

٩- انظر الكتاب ٤/٤٥٢.

١٠- انظر الكتاب ٤/٤٥٢.

١١- انظر الأصوات اللغوية ص ٤٦.

وأطراف الثنايا العليا^(١)، وهو صوت رخو مهموس وليس في العربية نظير الصوت مجهور للفاء المهموسة، وفي اللغة الفرنسية والإنجليزية يرمز لنظير الصوت العربي بالمصطلح (v)^(٢).

وأقرب الأصوات الى الفاء صوت الياء، لتقاربهما في المخرج لأنهما من الشفة^(٣)، ولا تدغم الفاء إلا في مثلها، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أُخْتَلَفَ فِيهِ﴾^(٤)، ولا تدغم في مقاربتها لأن فيها تفشياً، فلو أدغمت فيما يقاربها لأزيل التفشي^(٥).

والصوت الذي يصاحب الفاء يسمّى عند المحدثين بالحفيف، وهو نفس الصوت الذي يقول عنه القدامى بالتفشي. فعندما يضيّق المجرى عند مخرج صوت الفاء نسمع صوتاً عالياً من الحفيف هو الذي يميّز الفاء بالرخاوة^(٦).

وما روى عن الكسائي من إدغامه الفاء بالياء في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾^(٧) فشاذ ولا يقاس عليه للإخلال الواقع بصوت الفاء^(٨).

رابعاً: الأصوات الشفوية، وهي: الباء والميم، أمّا «الواو» فلها علاقة وثيقة بالأصوات الشفوية.

فالباء: صوت شفويّ شديد مجهور مقلقل، ومخرجه ما بين الشفتين، إذ تنطبقان انطباقاً كاملاً، فإذا انفرجت الشفتان فجأة سمعنا صوت الباء الانفجاري^(٩).

وتدغم الباء فيما يقاربها من الأصوات، وهي: الفاء والميم. وإدغامها في الفاء يقوّيها لقبها حرفاً متفشياً، وليس في ذلك إخلال في الباء، نحو قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(١٠)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ﴾^(١١)، وجاز إدغامها في الفاء لأنّها من الشفة ولقربها من المخرج^(١٢)، أمّا إدغامها في الميم، نحو قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١٣)، فجاز الإدغام لاتحاد المخرج^(١٤).

١- انظر الكتاب ٤/٤٣٣.

٢- انظر الأصوات اللغوية ص ٤٦.

٣- انظر الممتع ص ٧٠٩، وشرح المفصل ١٠/١٤٧.

٤- سورة البقرة، آية ٢١٣.

٥- انظر الممتع ص ٧٠٩، وشرح المفصل ١٠/١٤٦.

٦- انظر الأصوات اللغوية ص ٢٤، ٤٦.

٧- سورة سبأ، آية ٩.

٨- انظر شرح المفصل ١٠/١٤٦.

٩- انظر الأصوات اللغوية ص ٤٥.

١٠- سورة البقرة، آية ٢.

١١- سورة الإسراء، آية ٦٣.

١٢- انظر الممتع ص ٧٠٩، وشرح المفصل ١٠/١٤٧.

١٣- سورة البقرة آية ٢٨٤.

١٤- انظر الممتع ص ٧٠٩، وشرح المفصل ١٠/١٤٧.

وكذا قوله تعالى: ﴿بَبْتَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا﴾^(١).

ولا يدغم في الباء مقارب لها، والذي يقاربها في المخرج هو: الفاء والميم، فأما (الفاء) فلم تدغم فيها لئلا فضل الحفيف أو التنشيط الموجود فيها فإذا أدغمت في الباء أزيل فضل الحفيف^(٢).

أما النون المتحركة فلا تدغم في الباء، فالنون الساكنة تقلب قبل الباء ميما، فإذا كانوا يفرّون من النون الساكنة الى الميم قبل الباء، فالأولى أن تظهر إذا كانت قبل الباء^(٣).

أما الميم فلا تدغم إلا في مثلها، نحو قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٥). ولا تدغم فيما يقاربها في المخرج وهي: الفاء والباء^(٦).

وسبب منع إدغام الميم في مقاربها، لأن فيها غنة، والغنة: فصل صوت في الحرف، فلو أدغمت في مقاربها لقلبت إلى ما يجاورها: فاء أو باء أو واو، ولذهبت الغنة فيكون ذلك إخلالا بها^(٧).

وروي عن ابن عمرو: إدغام الميم في الباء، عندما يتحرك ما قبل الميم، نحو قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾^(٨) وقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بِهَتْنًا عَظِيمًا﴾^(٩)، وقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾^(١٠)، ولكن أصحاب أبي عمرو عندما يقرؤون كانوا لا يأتون بباء مشددة، لأن الحرف إذا أدغم في مقاربه قلب الى لفظه ثم أدغم، ولو كان فيه إدغام لصار في اللفظ باء مشددة، ويذكر ابن مجاهد: أن القرءاء كانوا يترجمون عن أبي عمرو بإدغام الميم في الباء، ولكنه ليس بإدغام، إنما هو إخفاء، والإخفاء اختلاس الحركة وتضعيف الصوت^(١١).

أما الواو فإن علماء اللغة القدامى أمثال سيبويه^(١٢) وابن جني^(١٣) وابن عصفور^(١٤) وغيرهم، يرون أن مخرجها ما بين الشفتين، مثل: الباء والميم. والظاهر أن علماء العصر الحديث كان لهم حجة

١- سورة هود آية ٤٢

٢- انظر الممتع ص ٧٠٩، وشرح المفصل ١٠ / ١٤٦

٣- انظر الممتع ص ٧١٠

٤- سورة الفاتحة، آية ٣، ٤

٥- سورة البقرة، آية ٣٧

٦- انظر الممتع، ص ٧١٠.

٧- انظر الممتع، ص ٧٠٩.

٨- سورة الحج، آية ٥

٩- سورة النساء، آية ١٥٦.

١٠- سورة الانعام، آية ٥٢.

١١- انظر شرح المفصل ١٠ / ١٤٧.

١٢- انظر الكتاب ٤ / ٤٣٣.

١٣- انظر سر صناعة الإعراب ص ٤٨.

١٤- انظر الممتع ص ٦٧٠.

في أن مخرج صوت الواو ليس خالصاً من الشفة، وإنما من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك، ويصاحب نطق صوت الواو استدارة الشفتين معها، ولعلّ وضوح استدارة الشفتين مع الواو هو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج الواو إلى الشفتين^(١).

فقد أجرى الأستاذ «دانييل جونز» تجارب على أصوات اللين، وتبين معه أن صوت الضمة يتكوّن عندما يرتفع مؤخر اللسان إلى الحنك إلى درجة يسمح للهواء بالمرور دون إحداث حفيف^(٢)، ولو تجاوز مؤخر اللسان هذه الدرجة لضاق مجرى الهواء ونتج عن ذلك حفيف مسموع، وهذا الصوت هو الذي نسميه: واوا^(٣).

وقد ذكر الدكتور رمضان عبد التواب (الواو) من ضمن الأصوات الشفوية، ويذكر أنه بين صوت الواو والضمة الخالصة فرق بسيط جداً^(٤)، وعندما يتحدّث عن أصوات اللين والضمة الخالصة يبيّن أن (الواو) من أقصى اللسان عندما يقترب من سقف الحنك، فيقول: أما إذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، بحيث لا يحدث للهواء المارّ بهذه المنطقة، أي نوع من الحفيف، مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، فإنّ الصوت الذي ينتج عن ذلك هو صوت الضمة الخالصة (u) الألماني، فإذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، أكثر من هذا، بحيث يسمح للهواء الخارج بالإحتكاك وإحداث نوع من الحفيف، نتج عن ذلك صوت (الواو)، ولذلك يعدّ علماء الأصوات صوت (الواو) من الأصوات الشبيهة بالحركات كذلك، لأن الفرق بينه وبين الضمة الخالصة، في قرب أقصى اللسان من سقف الحنك مع الواو، أكثر منه مع الضمة^(٥).

فصوت الواو مخرجه من أقصى اللسان عندما يرتفع نحو الحنك، مع ملاحظة استدارة الشفتين لحظة النطق بالصوت، فصوت (الواو) ليس مقارباً للأصوات الشفوية إلا من جهة مصاحبة الشفتين في الإستدارة معه، وهذا يفسّر لنا السبب في امتناع إدغام الواو في الأصوات الشفوية: «الباء والفاء والميم» أيضاً منع إدغام الأصوات الشفوية فيها.

وعلماء اللغة القدامى كانوا يظنون أن سبب امتناع إدغام الواو في الأصوات الشفوية - وهي في نظرهم مقاربة لها - والواو فيها لين، واللين فضل صوت في الحرف فلو أدغمت في أحد الأصوات الشفوية المقاربة لها لذهب اللين، فيكون ذلك إخلالاً بها^(٦)، ولأنها حرف علّة والمقارب لها حروف صحيحه - وهي الميم والباء والفاء - وفي نظرهم أن حروف العلّة لا تدغم في الحروف

١- انظر الأصوات اللغوية ص ٤٢، المدخل إلى علم اللغة ص ٩٣، ودراسات في علم الأصوات اللغوية، ص ١٤٩.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات اللغوية ص ١٢٢. والأصوات اللغوية ص ٢٣، ٣٦.

٣- انظر الأصوات اللغوية ص ٣٢، ٤٢ ودراسات في علم الأصوات اللغوية ١١٧.

٤- انظر مدخل إلى علم اللغة ص ٤٢، ٤٣.

٥- انظر المدخل إلى علم اللغة ص ٩٣.

٦- انظر الممتع ص ٧٠٩.

الصحيحة^(١)، كما لا يجوز إدغام أحد الأصوات الشفوية فيها.

بينما يخفّ إدغام: «النون والياء» في: الواو، وتدغم الواو في الياء.

فالياء: صوت مخرجه وسط اللسان^(٢)، وتدغم في (الواو) والواو: تدغم في الياء إلا أن (الواو) هي التي تقلب لجنس الياء تقدّمت أو تأخرت، لأنّ القصد بالإدغام التخفيف، والياء أخف من الواو فقلبت الواو على كل حال^(٣).

ويفسر القدامى مسوغ إدغام الياء في الواو، والواو في الياء، أن الواو والياء وإن تباعد مخرجهما فقد اجتمعا في المدّ فصارا كالمثلين، فتدغم الواو في الياء بعد قلبها ياء، مع أنّ الواو تخرج من الشفة ثم تهوي إلى الفم حتى تنقطع عند مخرج الألف والياء، فهما على هذا متجاورتان، فإذا التقتا في كلمة والأولى منهما ساكنة أدغمت إحدهما في الأخرى، وذلك نحو: «ليّه» من «لويت يده» و«شي» من «شويته» وأصله «لويّه وشوي» وكذلك لو كانت الثانية واو قلبت ياء ثم أدغمت الياء فيها، لأنّ الواو تقلب إلى الياء، ولا تقلب الياء إليها، لأنّ الياء أخفّ، والإدغام هو نقل الأثقل إلى الأخفّ^(٤).

فالقدامى فهموا أن الواو والياء متجاورتان، والظاهر أنّ استدارة الشفتين في الواو جعلهم ينسبونهما إلى الشفتين دون غيرها، ولكن الدراسات في المختبرات الصوتية التي أجراها «دانيل جونز» تبين أن الواو من أقصى اللسان. وهذا يفسر مفهوم القدامى لمسألة تجاور مخرج «الواو» و«الياء» إذ الواو من أقصى اللسان، والياء من وسطه، وهذا تجاور واضح، زد على ذلك أن الواو والياء من أحرف العلة وتشابها في اللين^(٥).

وأما جواز إدغام النون الساكنة في الواو، فإنّ مخرج الواو جاور مخرج الغنة - الخيشوم^(٦) - فأدغمت النون الساكنة في الواو، وهو قياس على جواز إدغام النون في الياء، وإن لم يكن فيها لين إلا أن فيها غنة ولها مخرج من الخيشوم^(٧).

وبعد، فإنّ الإدغام يجوز بين المتقاربين إذا كانا في كلمتين، لأنه لا يؤدي إلى لبس أصول الأصوات بإدغام المثليين، فالإدغام في كلمتين لا يلزم، ويجوز الإظهار في المتقاربين على الأصل، بينما عندما يجتمع المتقاربان في كلمة واحدة فالواجب البيان، لأنّ إدغام المتقاربين يؤدي إلى اللبس بإدغام المثليين، لأنّ إدغام المثليين في الكلمة لازم، فإذا أدغمت المتقاربين في الكلمة الواحدة لم

١- انظر المتع ص ٧١٠.

٢- انظر الكتاب ٤/٤٣٣.

٣- انظر المتع ٦٨٨، وشرح المفصل ١٠/١٣٩.

٤- انظر شرح المفصل ١٠ / ١٣٩.

٥- انظر المتع ص ٦٨٨.

٦- انظر الكتاب ٤/٤٣٤.

٧- انظر شرح المفصل ٤/١٣٩.

يبقى ما يشير إلى أصل الكلمة، فإدغام النون في «أنملة» في الميم، تصير «أملة» يؤدي إلى فقدان الأصل، هل هو «أنملة» أو «أملة»^(١).

الفصل الخامس

مطلب: الانسجام الصوتي في الكلام

في هذا الموضوع نحتاج أن نتعرف إلى بعض الظواهر الصوتية لمعرفة المقصود منها، فالانسجام الصوتي في الكلام يستعمل العديد من الظواهر الصوتية في آن واحد، مثل التنغيم، والنبر، واللحن، والموسيقى، والمماثلة، والمخالفة الصوتية، والإدغام، والتخلص من الساكنين، وطول الصوت، وحذف أو زيادة صوت، وإبدال الأصوات وغير ذلك.

والتنغيم، هو: عبارة عن تنويع الأداء للعبارة حسب المقام فيه^(٢).

فالنَّغْمَةُ: جَرَسُ الكلمة، وحسن الصوت في القراءة وغيرها^(٣)، وتقول: تَنَغَّمَ الإنسان بالكلام^(٤). ويقال: رجل نُفُومٌ: حسن النغمة. والنغّام: الكثير النغمة^(٥).

والنبر، هو: وضوح نسبي لصوت أو مقطع، إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع من الكلام^(٦).

والنبر: يدل على الرفع والعُلُوُّ، ورجل نَبَّارٍ: فصيح جهير^(٧). وفي اللسان: فصيح الكلام، ونَبَّارٌ بالكلام: فصيح بليغ، ورجل نبار: صيَّاح، والنبر عند العرب: ارتفاع الصوت. يقال: نبر الرجل نبرة، إذا تكلم بكلمة فيها عُلُوٌّ، ونبر المُعَنِّي: رفع صوته عن خفض. وكل شيء ارتفع من شيء: نبرة لانتباره^(٨).

واللحن، هو: الغناء وترجيع الصوت والتطريب.

يقال: فلان لا يعرف لحن هذا الشعر، أي: لا يعرف كيف يغنيه، وقد لحن في قراءته إذا طرَّب بها^(٩).

و«لحن» في قراءته: طرَّب فيها وغرَّد بألحان، والأغنية: وضع لها صوتاً موسيقياً مناسباً تغنى به (مولد)^(١٠).

١- انظر الممتع ص ٧١١.

٢- التجويد والأصوات ص ٨٢.

٣- مقاييس اللغة «نغم» ٤٥٢/٥، لسان العرب «نغم» ٥٩٠/١٢.

٤- مقاييس اللغة «نغم» ٤٥٢/٥.

٥- الوسيط، «نغم» ٩٢٧/٢.

٦- دراسات في علم الأصوات اللغوية ص ١٨٢.

٧- مقاييس اللغة «نبر» ٣٨٠/٥.

٨- لسان العرب «نبر» ١٨٩/٥.

٩- لسان العرب «لحن» ٣٨١/١٢.

١٠- الوسيط «لحن» ٨٢٠/٢.

والموسيقى: لفظ يونانيّ معرب، يطلق على فنون العزف على آلات الطرب. و(علم الموسيقى): علم يبحث فيه عن أصول النغم، حيث تأتلف أو تتنافر^(١).

والمماثلة، هي: تأثر الأصوات اللغويّة بعضها ببعض في المتصل من الكلام، أو هي: تحوّل الأصوات المتخالفة إلى متماثلة، إمّا تماثلاً جزئياً أو كلياً^(٢).

و(المثل): كلمة تسوية، يقال: هذا مثله ومثله، كما يقال شَبَّهه وشَبَّهه بمعنى، والفرق بين المماثلة والمساواة: أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين فيه، لأنّ التساوي - وهو التكافؤ في المقدار - لا يزيد ولا ينقص. وأمّا المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين (فيه) أو (في الجنس)، فاذا قيل: هو مثله - على الإطلاق - فمعناه: أنه يسدّ مسدّه، والمثل: الشبه^(٣). و(ماثل الشيء): شابهه، ويقال: ماثل فلانا بفلان: شَبَّهه^(٤).

والمخالفة: تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسيّ يؤدّي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين^(٥).

والخلاف: المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافاً^(٦). وتخالفاً: تضادا.. ويقال: خالف بين الشيئين^(٧).

وطول الصوت اللغوي، هو: الزمن الذي يستغرقه النطق بحرف من الحروف.

ويقدر نطق الحرف بمقدار من مائة في الثانية فصوت (d) الإنجليزي إذا وقع متطرفاً فإنّه يستغرق زمناً يقدر بحوالي (٠،٠٥) من الثانية. ويستغرق صوت اللين المفتوح (A) حوالي (٠،٤٨) من الثانية^(٨).

فالظواهر الصوتية في اللغة العربية متنوّعة، وعندما يؤدّي المتكلم حديثاً فإنّه يتكلم بسهولة وانسجام مع لغة أو لهجته، فلا يعوقه التفكير في كيفية نطق الكلمة، وإنّما يجري ذلك على لسانه بطريقة عفوية، والمثل الأجل في الكلام هو: التجويد. وبين ابن الجزري: أنّ التجويد هو حلية التلاوة وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه، وتلطيف النطق به، على حال صيغته، وكما هيئته، من

١- الوسيط «موسيقى» ٨٩١/٢

٢- دراسات في علم الأصوات اللغويّة ص ١٩٢.

٣- لسان العرب (مثل) ٦١٠/١١.

٤- الوسيط (مثل) ٨٥٣/٢.

٥- دراسات في علم الأصوات اللغويّة ص ٢٠٢.

٦- لسان العرب (خلف) ٩٠/٩.

٧- الوسيط (خلف) ٢٥١/١.

٨- انظر التجويد والأصوات ص ٨٥.

غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف^(١).

والصوت العادي لا يمنع الأداء الجيد، فصاحب الأداء السليم تتلذذ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، ولقد أدرك ابن الجزري بعض شيوخه ممن لم يكن لهم حسن صوت ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء، قيماً باللفظ، فكان إذا قرأ أطرب السامع، وأخذ من القلوب المجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه^(٢).

والأداء، قادر على إكساب اللفظ معاني متنوعة تبعاً للإعراب، ففى قوله تعالى: ﴿الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٣). يوجد أكثر من إعراب وسببه اختلاف الأداء في القراءة، فتعرب ﴿ذَلِكَ﴾: خبراً لمبتدأ محذوف، و ﴿الْكِتَابُ﴾: نعتاً أو بدلاً أو عطف بيان. كما تعرب ﴿ذَلِكَ﴾: مبتدأ، و«الكتاب»: خبراً. وايضاً تعرب «ذلك»: مبتدأ، و«الكتاب»: نعتاً، وجملة ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: خبراً. فالأداء المنعم يعبر عن علاقة الألفاظ ببعضها، فيختلف الإعراب بحسب الأداء، فمن أعرب «ذلك»: خبراً، فهو يتصور أداء غير أداء من يعربها مبتدأ، وأداء الأول أداء من ينطق بالخبر في نغمه هادئة مطمئنة. أمّا من يعربها مبتدأ فإنه يؤديها في نغمه عالية ويؤدي كلمة «الكتاب» في أداء هادئ إذا أعربها خبراً. فأمّا إذا كانت تابعا لـ «ذلك» فلا يزال يمضي أداءه صاعداً مصحوباً بنبرة عالية على كلمة الكتاب، ثم يهبط هذا الأداء عند الخبر وهو: «لا ريب فيه»^(٤).

والأصوات تتأثر ببعضها البعض عند الدرج في الكلام، إلا أن التأثر أو المماثلة لا يكون في جميع الأصوات، مع بعضها البعض، وإذا حدث تأثر ما فليس من الضروري أن يحدث في كل أنواع المماثلة أو التأثر بنفس المستوى، ففى الإدغام بدون غنة تغنى النون في: (الراء واللام) فناء كاملاً إذا وليها. أمّا إذا جاورت النون أصوات الحلق فإنها لا تتأثر بها، بل يكون الحكم أن القارىء يظهر نطق النون.

وقد حذر ابن الجزري القراء والمتكلمين من الوقوع في الأخطاء الصوتية للألفاظ المتداولة، فيقول: «وأما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقق ولا تفخم، بل بحسب ما يتقدمها فإنها تتبعه ترقيقاً وتفخيماً، وما وقع في كلام بعض أئمتنا من إطلاق ترقيقها فإنما يريدون التحذير مما يفعله بعض العجم من المبالغة في لفظها إلى أن يصيروها كالواو أو يريدون التنبه على ما هي مرققة فيه، وأما نص بعض المتأخرين على ترقيقها بعد الحروف المفخمة، فهو شيء وهم فيه ولم يسبقه إليه أحد»^(٥).

١- انظر النشر ١/٢١٢.

٢- انظر النشر ١/٢١٢.

٣- سورة البقرة آية ٢٠١.

٤- انظر الإعراب، ص ٦٤.

٥- انظر النشر ١/٢١٥.

فغند الكلام تظهر على لسان المتكلم العديد من التأثيرات بالأصوات المتجاورة وإن لم تقرأها القاعدة، إلا أن القارئ يجدر به إن يلتزم بأسس القواعد الصوتية.

ولتحقيق الانسجام الصوتي في الألفاظ والعبارات يتجه المتكلم أو القارئ الى تيسير النطق بالاقترصاد في المجهود العضلي عندما تتحرك عضلات جهاز النطق. وخير مثال «تاء» الافتعال، فالتاء صوت مهموس، فإذا صغنا على «افتعل» من ظلم، فإن الصيغة هي «اظلم»، والطاء هنا صوت مطبق مجهور مستعل، والتاء لا يوجد فيها هذه الصفات، فالخروج من الصوت المجهور المطبق المستعل إلى صوت مستفل مهموس غير مطبق يؤدي إلى الثقل في نطق الكلمة العامة والصوت المهموس، مما يدفع القارئ الى اللجوء إلى أقرب صوت يناسب «التاء» من مخرجها وهو «الطاء» ويناسب «الطاء» في أنه مجهور ومطبق ومستعل، فيقتصد المتكلم بالمجهود العضلي وينسجم الصوت الأول مع الصوت الثاني وتطلق الكلمة «اظلم» بالطاء، وهذا ما يسمّى بالمماثلة التقديمية، وهي أن يتأثر الصوت الثاني بالأول، ويمكن أن تكون المماثلة بتأثر الصوت الأول بالثاني وهذا ما يسمّى بالمماثلة الرجعية. مثل قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾^(١). والأصل «مدكر» فاجتمع صوتان متجاوران، الأول منهما مجهور والثاني مهموس، فتأثر الثاني بالأول وانقلب إلى صوت مجهور، فاجتمع صوتان مجهوران، فأصبحت «اذكر» حين جهر بالتاء. وهذا تأثر تقدمي لأن الثاني تأثر بالأول، ويمكن أن تقلب «الذال» «دالا» سعيا للإنسجام الصوتي والمماثلة والفناء الكامل، فتصبح «مذكر».

وفي الكلام العديد من هذه الأمثلة، فتقول: اذكر، ادعى. ازداد: أزداد. اضطرب: اضرب. ازدجر: أزر، وغير ذلك.

ولتحقيق الانسجام الصوتي في الكلام يحرص المتكلم على نبر مقاطع الألفاظ صحيحة، وإلا عدّ المتكلم لا يعرف اللغة الصحيحة، بل أن من أسباب اختلاف اللهجات نبر مقطع لا ينبر في لهجة أخرى، بل ينبر غيره، والعامي لا يعرف المقاطع أو النبر، ولكنه ينطق الألفاظ بسهولة وانسجام واتقان دقيق للهجته دون أن يخطئ أو يتلعثم، وهو الذي يسمّى بالسليقة اللغوية.

ولمعرفة النبر يستدعي دراسة الوحدات الصوتية البسيطة التي ركبت منها الكلمة وهذه الوحدات الصوتية البسيطة لا يمكن تجزئتها، وهي المعروفة بالمقطع الصوتي، وهو الدفعة الهوائية التي تضم وحدة صوتية بسيطة لا يمكن تجزئتها الى أقل منها لبساطتها^(٢).

وبالنظر الى المقاطع العربية تبين أن نسج الكلمة العربية تتكون من ستة مقاطع، هي:

١- صوت ساكن + صوت لين قصير.

١- سورة القمر آية ١٥ و١٧.

٢- انظر التجويد والأصوات ص ٢٧.

٢- صوت ساكن + صوت لين طويل.

٣- صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن.

٤- صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن.

٥- صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان^(١).

٦- صوت ساكن + صوت لين طويل + ساكنان^(٢).

فالفاعل الماضي «ذَهَبَ» مقاطعه «ذَ» «هَ» «بَ» حيث تتوالى فيه ثلاثة مقاطع من نوع واحد، والمقاطع الثلاثة «صوت ساكن + صوت لين قصير» أما مضارعه «يَكْتُبُ» فمقاطعته «يَكُّ» و «تُّ» و «بُّ» فيتكوّن من مقطع «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن» أي: النوع الثالث من المقاطع، ومقطع «تُّ» و «بُّ» من النوع الأوّل: «صوت ساكن + صوت لين قصير».

أما كلمة «نَسْتَعِينُ» فإن مقاطعها «نَسُّ» و «تُّ» و «عِينُ» والمقطع الأوّل «نَسُّ» من النوع الثالث «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن» والمقطع الثاني «تُّ» من النوع الأوّل «صوت ساكن + صوت لين قصير» أمّا المقطع الثالث «عِينُ» من النوع الرابع «صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن».

أمّا النوع الخامس من المقاطع «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان» يمثّله المقطع «قَرَّ» من «مُسْتَقَرٌّ» عندما تقف عليه، وهذا المقطع يتألف من: صوت ساكن ثم فتح صوت لين قصير ويليه صوت الراء المشدد - ويتكون من صوتين ساكنين - ملاحظا الوقوف على الراء وتكرّرها.

اما النوع السادس من المقاطع فإنه نادر في النثر ولا يوجد في الشعر ويكون عند الوقف عليه، مثل كلمة: «ضالٌّ» فإنّ مجموع أصوات الكلمة مؤتلفة بمقطع واحد «صوت ساكن + صوت لين طويل + ساكنان».

وعند الكلام لا تكون جميع المقاطع على درجة واحدة من الوضوح، وتختلف درجة الوضوح من مقطع الى آخر، وهو الذي نسمّيه بالنبر، وهو: «وضوح نسبيّ لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع من الكلام»^(٣).

وإذا كان النبر في مقطع ما، فهو أوضح في السمع من مقطع مجاور له، مما يؤدي الى نغمة خاصة

١- انظر الأصوات اللغويّة، ص ١٦٣.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات، ص ١٧٦.

٣- مناهج البحث في اللغة، ص ١٦٠.

بارزة له فيتشكّل في الكلمة الواحدة أكثر من نوع في مستوى الأداء العضلي، من أعضاء النطق^(١)، فيحدث بما يشبه الموسيقى لتنوُّع شدة الصوت من مقطع الى آخر.

ونطق اللغة لا يكون صحيحا إلا إذا روعي فيه موضع النبر، وتختلف اللغات في موضع النبر، فالفرنسيون يُخضعون النبر لنظام صوتي، ووفق نظام وعادات يلحظونها بالضغط على المقطع الأخير من الكلمة، بينما اللغة الإنجليزية لا تتبّع نظاما معينا في النبر.

أمّا في اللغة العربية فإنّ النبر يقع على المقطع ضمن نظام افضليّة النبر على المقاطع، ولهذا نجد الارتكاز مرة على المقطع الأول، وثانية على المقطع الثاني، وأخرى على المقطع الأخير.

فالنبر في الكلمة العربية يقع على المقطع الأخير في حالة الوقف إذا كان: «صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن» وهو المقطع الرابع، مثل: «نستعين» فإنّ الارتكاز يكون على: «عين» أو إذا كان المقطع: «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان» وهو المقطع الخامس، مثل: «المستقر» فنجد الضغط على «قر».

ويكون النبر على المقطع الأول، إذا توالى ثلاثة مقاطع من النوع الأول: «صوت ساكن + لين قصير» مثل: كَتَبَ، ذَهَبَ. فإنّ نبر المقطع الأول من الفعل «ك» و«ذ»، كما ينبر المقطع الأول أيضا إذا لحق مقطع مغاير لهذه المقاطع الثلاث. ففي: «حَرَكَه، عَرَبَهُ، عِنَبَهُ»، ثلاث مقاطع من النوع الأول «صوت ساكن + لين قصير» ثم مقطع من النوع الثالث: «صوت ساكن + لين قصير + صوت ساكن» أو تقدّم هذا المقطع على المقاطع الثلاث، مثل: «اجْتَمَعَ، انْكَسَرَ» فإنّ يقع الارتكاز على المقطع الأول لأنّه يواليه ثلاث مقاطع متماثلة

ويقع النبر على المقطع الأول في المصادر والأسماء، إذا تكوّنت من ثلاثة مقاطع، الأول والثاني من النوع الأول «صوت ساكن + صوت لين قصير» والثالث من النوع الثالث «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن» مثل «لَعِبٌ، فَرِحٌ، عِنَبٌ، بَلَحٌ»^(٢).

وغير هذا النسيج من التركيب للمقاطع فإنّه يكون على المقطع الذي قبل الأخير، مثل: «اسْتَفْهَمَ» عند الوقوف عليها فيتبع الارتكاز على مقطع «تَفَّ» وهو «صوت ساكن + صوت لين قصير + صوت ساكن»^(٣)، ومثله «يُذْهِبُكُمْ» على المقطع «هَبَّ» وأيضا «تَقْرَضُهُمْ» على المقطع «رَضُ» وأيضا «ينادي» فإنّ الضغط يكون على المقطع «نا».

كما يكون النبر على المقطع الذي قبل الأخير فيما هو مثل «قاتلٌ» و«يكتُبُ» لأنّ المقطع الذي سبقه

١- حيث تنشط أعضاء النطق في حركتها وأداء وظائفها نشاطا فوق العادة مع المقطع لمنبر. انظر دراسات في علم الأصوات، ص ١٧٢ وما بعدها.

٢- انظر التجويد والأصوات ص ٧٥ وما بعدها. وقارن مع الأصوات اللغوية ص ١٦٢ وما بعدها.

٣- انظر الأصوات اللغوية ص ١٧٢ ودراسات في علم الأصوات اللغوية ص ١٨٩.

ليس من نوعه - فهو من النوع الأول-^(١).

وإذا تعددت المقاطع، فكانت خمسا أو ستا، فإنَّ المقاطع التي بين الأول والأخير إذا كانت من النوع الأول «صوت ساكن + صوت لين قصير» فإنَّ النبر يقع على الأول، مثل: حاضنته، ذاكرتُه، ناصيته، حاضنتهما، ناصيتهما، قابلتَهُما، ذاكرتُهُما^(٢).

وتغيير نبر مقطع الكلمة إلى مقطع آخر في اللغة العربية لا يؤدي إلى اختلاف دلالة الألفاظ^(٣).

ولكن في اللغة الإنكليزية فالنبر له أهمية في تعيين معنى الكلمة، فكثير من الكلمات تتشابه به صوتيا، ولا تختلف الا في موقع النبر، ولذا يقوم النبر بالتمييز بين معاني الكلمات مثل: «ncrease» وتطلق بنبر المقطع الثاني «crea» ومعناها الفعل «ينمو». وإذا نبر المقطع الأول «in» فيكون معناها المصدر «النمو»^(٤).

والظاهر أن تغيير الارتكاز في اللغة العربية من مقطع إلى آخر، من الممكن أن يؤدي الى تغيير مدلول الكلمات، ومعرفة مصدرها، مثل «أجد» مضارع «وجد» ويقع النبر على المقطع الأول «أ». وكلمة «أجد» مضارع «جد» المضعف، ويقع النبر على المقطع الأخير «د».

فالمقطع هو عنصر أساس في مفهوم الكلمة، والنحو التحليلي يهتم كثيرا بالمقطع الأخير للكلمة، فإذا كان مقطعا مغلقا، مثل: «تُب» - وهو: صوت ساكن + لين قصير + صوت ساكن - من قولك: لم يكتُب، والصوت الساكن الأخير في الكلمة أصلي، بينما نجد أن المقطع «ب» - ويلفظ بُن - في كلمة «كتاب» - وهو أيضا: صوت ساكن + لين قصير + صوت ساكن - فيه صوت النون ليس أصليا في الكلمة، وإنما من اللواحق الصوتية ويؤدي الى التمييز في نوع الكلمة.

أما زيادة نبر مقطع كلمة معينة من الجملة، فإن له أهمية دقيقة في معرفة دلالة الغرض التي أقيت من اجله الجملة، فإذا قال إنسان: «هل حضر أخوك أمس» فإن كان الاستفهام يدور حول الفعل، زيد في نبر مقطعة البارز، فيزيد على المقطع «ح» الضغط فيظهر انه يطلب معرفة الحضور

١- انظر الأصوات اللغوية ص ١٧٢.

٢- انظر دراسات في علم الأصوات ص ١٩١.

٣- هذا ما يراه الدكتور ابراهيم أنيس. انظر الأصوات اللغوية ص ١٧٤.

٤- انظر دراسات في علم الأصوات، ص ١٨٧. وهذه بعض الكلمات الانجليزية، مرة تكون اسما وأخرى فعلا، والفصل بينهما الارتكاز فقط:

موضع النبر	اسم	المعنى	موضع النبر	فعل	المعنى
المقطع الأول	contract	عقد	المقطع الثاني	contract	يتقاعد
المقطع الأول	interest	هتمام	المقطع الثاني	interest	يثير اهتمام
المقطع الأول	contrast	التناقض	المقطع الثاني	contrast	يتناقض
المقطع الأول	import	استيراد	المقطع الثاني	import	ستورد

من عدمه، فإذا كان المستفهم طالبا معرفة مجيء الشخص، زاد في الارتكاز على مقطع «خو» من كلمة «أخوك» فتبين المسؤول أنّ السائل يطلب معرفة مجيء الشخص المعين أو غيره، فإذا كان الشك في زمن الحضور، زاد الارتكاز على مقطع أمس المنبور، ليتبين السامع أنّ السؤال يدور حول الزمن.

والمقطع العربي غير مستقر النبر في الأفعال، ويتأثر بالعوامل الداخلة عليه، فيتغير موطن الارتكاز في الفعل العربي تبعا للتطور الذي يحدث له.

فكلمة «فَهَمَّ» يقع الضغط على المقطع «فَ» إذ أنّ جميع مقاطع الكلمة من نوع واحد «صوت ساكن + صوت لين قصير». وإذا نطق العربي الفعل المضارع من «فهم» فيقول: «يَفْهَمُ» فينبر المقطع «هَ» وسبب هذا التغيير في الارتكاز الاشتقاق الذي أدخل على الكلمة صوتا جديدا فتأثرت المقاطع، فضمّ المقطع «فَ» إلى الصوت الجديد «ي» كَوْنًا مقطعا موحدا وانتقل النبر إلى مقطع آخر.

ويتأثر الفعل المضارع بأدوات الجزم، فيتغير إعرابه والارتكاز على مقاطعه، فدخل حرف الجزم على الفعل المضارع في مثل «لم يفهم» يحوّل الإرتكاز من المقطع «هَ» - لأن الكلمة كانت في السابق «يفهم» بالرفع - إلى المقطع «يَفْ» بعد أن تغير نطق المقطع «مُ» إلى ساكن فقط، فضمّ إلى المقطع الذي كان ينبر «هَ» فكوّنا مقطعا واحدا، هو: «هَمَّ» وبذلك ينتقل النبر من المقطع السابق «هَ» إلى المقطع الأول «يَفْ» إذ أصبح الفعل «يَفْهَمُ» ينسج من مقطعين بعد أن كان ثلاثة مقاطع.

واتصال الأفعال باللواحق قد يؤدي إلى تغيير النبر من مقطع إلى آخر، فإذا أسند إلى ضمير رفع متحرك فإنه يتأثر في نسج مقاطعه، فيتغير معه الإرتكاز على المقطع قبل الإسناد، ففي «فَهَمَّ» عند اتصالها بضمير رفع متحرك، نحو: «فَهَمْنَا، فَهَمْتُ» يتغير الإرتكاز من المقطع «فَ» إلى المقطع الثاني «هَمَّ» حيث أثر المقطع «نا» و «تُ» في تغير نسج المقاطع فأسكنت الميم، وأصبحت تابعة للمقطع السابق لها، بعد أن كانت مقطعا كاملا، فنسج المقطع «هَ» و «مَ» مقطعا جديدا. وتغير النبر من المقطع الأول «فَ» إلى المقطع الثاني «هَمَّ».

ونلاحظ أنّ الفعل إذا اتصل بألف الإثنين أو واو الجماعة، نحو: «فَهَمَا، فَهَمُوا» فلا يتأثر المقطع الأوّل بالتخلي عن الإرتكاز، لأنّ ألف الإثنين وواو الجماعة لم تُؤثّر على المقطع الأخير، بل نسجت كل واحدة معه مقطعا، فبدل أن كان المقطع الأخير «صوت ساكن + صوت لين قصير» تغير إلى «صوت ساكن + صوت لين طويل» وهذا لا يغيّر الإرتكاز الصوتي. والفرق فقط في كمية نطق زمن صوت اللين، حيث مدّ بعد أن كان مكسورا أو مفتوحا أو مضموما.

والكلمة العربية لا تتحمل تغييرا في نسج المقطع دون أن يتأثر المعنى، فإنّ تكرير الصوت الساكن، أو مدّ صوت اللين أو العكس في المقطع يؤدي إلى دلالة جديدة للكلمة، نحو: «فَهَمَّ» فإذا مثلنا صوت اللين القصير في المقطع الأوّل أصبحت «فاهم» وكذا إذا كررنا صوتا ساكنا، نحو: «فَهَمَّ» «فَهَمَّ» وبالتالي يتغير الإرتكاز الصوتي في المقاطع.

والإرتكاز الصوتي أو الضغط على مقاطع دون مقاطع من العوامل المساعدة على ظهور اللهجات العربية. وقد لاحظ الدكتور إبراهيم أنيس^(١): أن القاهريين ومعظم سكان الوجه البحري في مصر ينبرون ما قبل المقطع الأخير في كلمة «رَبْنَا» - أي: مقطع «ب» - وفي كلمة «عَمَلَهُمْ» يضغطون على «ع». أمّا أهل الصعيد فيضغطون على «رَب» فينطقون الكلمة «رَبْنَا» وعلى المقطع «م» في «عَمَلَهُمْ». وهذا مما يُوَدِّي إلى اختلاف اللهجات.

وتحدّث المحدثون عن نوع معيّن من أنواع تغيّر دلالة الالفاظ والمعروف بالحن، فبعضهم سماه بـ «الفونيمات»^(٢) أو التنغيم. وآخرون بـ «موسيقى الكلام»^(٣). فالكلمة تنطق بلحن معيّن فيكون لها دلالة، وتنطق ثانية بلحن آخر، فيكون لها دلالة مختلفة عن الأولى، وعرفت اللغة الصينية وبعض لغات وسط أفريقيا بهذا النوع، ففي اللغة الصينية كلمة «فان» تُؤدّي ستة معانٍ لا علاقة بينها، هي: «النوم، والشجاعة، والواجب والمسحوق، ويحرق، ويقسم: وليس هناك من فرق سوى النغمة الموسيقية في كل حالة»^(٤).

واللغة الإستوائية «Estonian» تتخذ مدة استمرار طول الصوت وسيلة مميّزة بين المعاني، فالصوت الصائت - اللين - يأتي «قصيراً» و«طويلاً» و«بالغ الطول» ففي كلمة «sada» إذا كان صوت اللين الأوّل «a» قصيراً فيكون معناها: «مائة» وإذا كان طويلاً «saada» فهي فعل أمر بمعنى أرسل، وإذا كان بالغ الطول «saada» فتكون مصدراً بمعنى: الحصول على، أو السماح^(٥).

والإشتقاق في اللغة يقوم على عدّة عوامل، منها: توظيف طول الصوت اللغوي في دلالة المعاني. إذ تختلف فيها معاني الالفاظ تبعاً لطول صوت اللين، فكلنة «طَرَدَ» تتألّف من ثلاثة مقاطع، كلّ مقطع عبارة عن: «صوت ساكن + صوت لين قصير» - وهو هنا فتح -^(٦). أمّا إذا زدنا في نطق صوت اللين القصير «الفرنسي» في الكميّة الزمنية، تولّد عنه تولّد عنه صوت لين طويل «A» وهونفس الصوت الأوّل، إلا أنّ الفرق في مدّة الزمن التي يستغرقها الصوت، فإذا قلنا «طارِد» بعد مدّ الفتح اختلف المعنى الثاني عن الأوّل، ولو جاز لنا أن نكتب الأحرف العربيّة باللاتينية^(٧) لكتبنا «طرد» و«طارِد»: (tarada) وكذلك «رام» و«رمى» فتكتبان «rama».

١- انظر الأصوات اللغوية، ص ١٧٢.

٢- انظر علم اللغة د. السمران، ص ١٩٨.

٣- انظر الأصوات اللغوية ص ١٧٥. علم اللغة العام - الأصوات - ص ١٦٢.

٤- انظر الأصوات اللغوية ص ١٧٥. التجويد والأصوات، ص ٧٥. علم اللغة ص ١٩٨.

٥- انظر علم اللغة، ص ١٩٨.

٦- ومن الممكن أن يكون صوت اللين ضمّ أو كسر.

٧- اعتبر كتابة العربية بالأحرف اللاتينية خروجاً عن الأصول العربيّة والقواعد والإملاء، ويجب المحافظة على الحرف العربي لأسباب عديدة. ليس هذا مكان بيانها.

وهذا قياس مطرد في اللغة العربية، فزيادة صوت ساكن او مدّ صوت اللين أو زيادة صوت اللين فإنّه يحدث اختلافا في المعنى، فزيادة التركيز على صوت اللين ومدّه يؤدّي بلحن يختلف عن الأوّل، وإنّ كُنّا في اللغة العربية نرسم اللين الطويل مع بناء الكلمة ولا نرسم اللين القصير معها، إلا أنّ اللغات الأوروبية لا تميّز بين اللين الطويل والقصير، وترسمها مع بناء الكلمة.

فالفرق بين أداء الأصوات في اللغة العربية يختلف اختلافا كبيرا في التنغيم أو اللحن، فالاشتقاق هنا لون من اللحن يتغير معه المعنى.

ومن مميّزات اللغة العربية قرب أصوات العلة من أصوات اللين، فأصوات العلة تنقلب إلى أصوات لين طويلة فكلمة «سام» غير «سما»، الأولى صوت العلة وسط الكلمة، والثانية في نهاية الكلمة، وفي الكتابة الأوروبية تكتبان «sama» وبفعل تنغيم الألفاظ ولحنها تؤدّي كل واحدة مختلفة عن الأخرى، فنمدّ في الأولى المقطع الأوّل «سا» ونمدّ في الثانية المقطع الثاني «ما» مما يؤدّي إلى اختلاف المعاني للألفاظ والأمثلة على ذلك كثيرة.

وصوت التنغيم يميز بين المفرد والمثني، فقول القائل: «قال» يعنى إنسان واحد، فإذا قال: «قالا» يعنى اثنين، والفرق -في الفتح- في المدة الزمنية لصوت اللين مما أدّى إلى المفرد أو إلى الإثنين. ويميّز التنغيم بين المفرد والجمع، فنقول: «يضرّب» و«يضرّبون» فتنغيم علامة الإعراب تختلف عن نغمة واو الجماعة في كمّيّة الزمن الذي يستغرقه صوت اللين في كل من الكلمتين، فطول الصوت له تأثير كبير في دلالة الألفاظ.

هذا نوع من التنغيم في مقطع الكلمة، أمّا تنغيم الكلمة بالنسبة للجملة فإن لها تأثيرا في مفهوم الجملة، فجملة: «هل حضر الأستاذ أمس؟» استفهامية، ولكن المستفهم عن ماذا يريد أن يثبت، عن الفعل أو الفاعل أو الزمن. فعمل السائل يريد أن يتأكّد أنّ الحضور فعلا حصل، لأنّه كان يعلم سابقا أنّ الحضور إلى المدرسة قد لا يحدث، ومن الممكن أن يكون هناك فعل آخر، فإذا كان السائل طالبا تأكيد الفعل زاد من نبر المقطع المهمّ في «حضر» ونغمة، وإذا كان السائل يريد أن يتأكّد أن الأستاذ بنفسه حضر لا غيره وأنّه كان يشكّ في حضور الأستاذ زاد في نبر المقطع الهامّ في كلمة الأستاذ أما اذا كان السائل متأكّدا أنّ الحضور حصل من الأستاذ، لكنّه يريد أن يعرف زمن الحضور زاد في نبر المقطع الهامّ في كلمة «أمس».

فتمييز كلمة معينة في الجملة بزيادة نبر مقطعها المهمّ يبرز في الجملة المعنى الخاص المطلوب، فالإيقاع الذي سار عليه المتكلم أوحى للسامع بالمطلوب، فيربط السامع بين موسيقى الكلام والمعنى الخاص المطلوب، ويدرك أهمّيّة الكلمة في الجملة.

والجملة العربيّة جميلة النغمة لطيفة الإيقاع، يستطيع المتكلم أن يخبر وأن يأمر وأن يستفهم وأن يسخر أو يستهزئ وأن يستغرب وغير ذلك، في جملة واحدة، والمعيار في معرفة الغرض التي

قيلت لأجله الجملة هو التنغيم أو اللحن.

ففي جملة «حضر الأستاذ» يتحدّد معنى الجملة الخاص بحسب النغمة التي تصدر عن المتكلم، تكون إخبارا عن حضور الأستاذ، أو استفهاما عن حضوره، أو دهشة واستغرابا لحضوره، أو سخرية واستهزاء، وهذه الدلالات المعنوية تظهر في الإيقاع أو النغمة التي تؤدي فيها الجملة، وقد تساعد قسّمات الوجه، وارتجاف عضلاته بشكل معين، وحركات اليدين والجبين على نوع الجملة ودلالة الجملة، ويكون اعتماد السامع على التنغيم لفهم النص، يساعده على ذلك المقام وسياق الكلام وما عنده من معلومات معروفة سابقا عن النص.

والجملة تتطوّر بتنغيم معين ويستطيع السامع أن يعرف أنّ ما سمعه سؤال أو إخبار أو تعجب حتى لو لم يفهم بالضبط محتوى ما سمع، فمن التنغيم يعرف أن الجملة التي سمعها كانت سؤالاً أو إخباراً أو تعجباً^(١).

وللنغمة أربعة مستويات يستعملها المتكلم عند الحديث، وهي على الوجه التالي:

١- النغمة المنخفضة: وهي ما تختم به الجملة الإخباريّة والجملة الإستفهاميّة وهي أدنى النغمات، وتصحح عادة فاصلا - وهو الذي يفصل بين مجموعة صوتيّة وأخرى - هابطا، وهو يأتي في نهاية القول دالاً على انتهاء الجملة أو الوقف على الكلمة، فيشعر السامع بانتهاء المجموعة الصوتية.

٢- النغمة العادية: وهي التي تبدأ بها الكلام، والتي يستمرّ على مستواها الكلام العادي غير الانفعالي، والنغمة العادية أعلى من النغمة المضمّنة وأدنى من النغمة العالية.

٣- النغمة العالية: وهي التي تأتي قبل نهاية الكلام متبوعة بالنغمة المنخفضة أو نغمة عالية مثلها، وتصحح النبرة الرئيسيّة في الجملة.

٤- النغمة فوق العالية: وهي التي تأتي مع الإنفعال أو التعجب أو الأمر وغير ذلك^(٢).

وهذا التقسيم يبيّن مستويات سياق النغمات في الجملة، ولهذا عندما يلقي المذيع الأخبار وهو مسترسل ويقطع المخرج الحديث يشعر المستمع أنّ الجملة انقطعت فجأة دون رعاية من المذيع بإنهاء كلامه، ويفهم من سياق النغمات أنّ الخبر أو الكلام لم ينته وإنما تدخل عنصر جديد وقطع الكلام. فالمذيع والمحاضر والخطيب وغيرهم يستعملون عند نهاية الفواصل أو السكوت نغمة منخفضة تشعر بنهاية الجملة أو بنهاية الحديث.

١- الأصوات اللغويّة د. الخولي، ص ١٧٠.

٢- انظر الاصوات اللغوية د. الخولي ص ١٦٩-١٧٠.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع اسرار الانسجام الصوتي في اللغة العربية، يحقّ للباحث اللغوي أن يفتخر بلغته العربية، لقدرتها الفائقة على الوفاء بالمطالب اللغوية الحيّة دون إخلال بقواعدها وأصولها. ولدراسة اللغة العربية بطريقة تحليليّة وظيفيّة أثر بالغ في إحياء اللغة والتعرّف على أسرارها، ونشر دقائقها.

ودراسة اللغة العربية بهذا الإتجاه نحو المبني لا يقصد به المعنى، وإنّما دراسة المعاني تأتي تبعاً لدراسة المبني، فتستفيد بحوث المعاني من دراسة المباني.

ومن خلال دراسة أسس علم المباني ظهر العديد من الظواهر اللغوية والصوتية مما يستدعي دراسة بعض الظواهر، مثل: ادغام التماثلين والمتقاربين والإبدال وغير ذلك. ويدفع الباحث بدراسة الأصوات الفصيحة والرديئة والمردودة، فيستطيع معرفة هذه الأصوات وتحديد موقف الكلمة من الفصاحة.

ويستفيد الدارس اللغوي والمحلل لأصوات اللغة من الدراسات القديمة العربية، وتفصيل ما توقف عنده العلماء القدامى، وشرح غامضه.

ومما يجب الإهتمام به مخارج الحروف، فأبناء اللغة العربيّة مدعوون إلى تعلّم مخرج كل حرف، ومعرفة صفة الأصوات الصحيحة والتفرقة بين صفات الأصوات، كي لا يلتبس عليهم النطق الصحيح، وبذلك يتكلمون بلغة عربيّة سليمة، فمن أسباب نشأة اللهجات: تكريس نطق الصوت بصفات غير موصوف بها، وهذا يؤثر على وحدة اللغة وظهور اللهجات المتباينة، وقد شدّد العلماء القدامى على نطق الأصوات العربيّة سليمة، مزيّنة بصفاتها الموصوفة بها، وبخاصة حين يتلون القرآن الكريم، ولهذا قال ابن الجزري:

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجود القرآن أثم

ومن المسائل التي يجب أن لا نغفلها، أنّ مجامع اللغة العربية في الوطن العربي منوط بها دراسة اللغة العربية دراسة دقيقة وهذه مسؤولية مهمة وخطيرة، فالمجامع اللغوية بدراستها أصوات اللغة تحمي لغة الأمة من الضياع والإنقسام وتحافظ على الصوت العربي وترقى به، ولهذا يجب الإستفادة من المختبرات الصوتية ودراسة الصوت العربي بطريقة علمية مدعمة بالحقائق والشواهد الواضحة، وما قام به أساتذة الأصوات من عمل يشكرون عليه، فإنه يظل عملاً فريداً فالمجامع اللغوية لها القول الفصل في مضمار اللغة وما يتعلق بها.

ويشتغل القارئ العربي كثيراً بالحركات، والخليل بن أحمد وضع ثلاث حركات فقط، وأحسن كثيراً بهذا العمل، ولكن اللغة العربية تتحمل أكثر من ثلاث حركات، وما أصوات اللين الكثيرة عند الغرب والمعروفة بـ«vovels» إلا حركات، سواء كانت طويلة أو قصيرة.

والمجامع اللغوية العربية مدعوة لأخذ المبادرة في وضع حركات جديدة وتضاف إلى رصيد حركات اللغة العربيّة، فالفتحة في اللغة العربية ليست واحدة، فقد سمعنا قديماً عن الفتحة المفخّمة، ورمز لها عند علماء الأصوات المحدثون بالصوت الفرنسي «a»، والفتحة المرفّقة واصطُح عليها المحدثون بالصوت الفرنسي «a»، والفتحة الممالّة إمالة خفيفة نحو الكسر، واصطُح عليها علماء الأصوات بالصوت الفرنسي «ê» كما اصطُح علماء الأصوات على الفتحة الممالّة إمالة شديدة على رمز الصوت الفرنسي «é».

كما أنّ صوت الضمّة في اللغة العربية ليس موّحداً، فصوت الضمّ في: «قُل» ليس هو صوت الضمّ في: «مَجْهول» ففى الأولى يناسبه الصوت الفرنسي «o» وفي الثانية الصوت الألماني «u» أو الفرنسي «ou» وهذا مما يدعوا إلى التفكير بوضع رموز جديدة للصوت العربي.

فالمجامع اللغوية العربيّة مدعوة إلى وضع حدود وضوابط جديدة لأصوات اللين القصيرة والطويلة الفرعية.

ومن النتائج التي تذكر هنا، أن ما بحثه المحدثون في ضوء المختبرات، والإمكانات العلميّة الحديثة ومساعدة العلوم الحديثة ونتائجها الآلي، ومشاركة الآلة المتقدّمة، لم يعد ما كتبه علماء اللغة القدامى، وبدون مشاركة المختبرات والآلة، علماً بأنهم عاشوا في عصور متقدّمة، مثل: الخليل وسيبويه وابن عصفور وغيرهم، فكان عملهم اللغوي ونتائجهم في توصيف الأصوات اللغويّة ومخارجها، يعتمد على ذوقهم العربي، وصفاء قريحتهم اللغوية وحسّهم الوجداني، وهذا النتاج الجيّد، وصل إلينا مسطّراً في كتبهم الضخمة، وسعدنا بها حيث يسّرت لنا طريق البحث، فكان مثل: (الكتاب) و(المقتضب) و(سرّ صناعة الإعراب) و(الخصائص) و(شروح المفصل) وغيرها أن حملت إلينا علماً جماً، فما بحث المحدثون بمسألة إلا وتكلم القدامى فيها، وحفلت دراستي هذه بمثل هذه النصوص.

وواجبنا لإتقان خروج الصوت من مخرجه الصحيح، وإعطاء الصوت حقّه من الصفات: التدرّب أمام أساتذة الأصوات والتجويد ليحسن الناطق أداء الصوت سليماً.

والفقرة السابقة تركز على تلقي العلوم والأخذ مباشرة من العلماء وهو ما يسمّى بالمشافهة، ومعرفة تطبيق التجويد والأصوات يستفاد بالأخذ من أفواه القراء المتقنين لمخارج الحروف وصفاتها، فلا يسلم المرء من الخطأ حينما يفقد هذا الجانب المهمّ، ويبرز قصوره في كثير من المسائل ولا يعتدّ بعلمه عند العلماء، وفي هذا المعنى قال الشاعر:

من يأخذ العلمَ عن شيخٍ مشافهةً يكنُ عن الزيفِ والتصحيّفِ في حَرَمِ
ومن يكنُ أخذاً للعلمِ عن صُحُفٍ فعِلْمُهُ عند أهل العلمِ كالْعَدَمِ^(١)

١- من مقدّمة مدقّق تصحيّفات المحدثين للعسكري. ص ٢٤.

وبعد:

فإني أترك القارئ الكريم بعد أن فرغ من قراءة هذا المجهود وأنا أقول له: لقد استحوزت دراسة الأصوات على اهتمامي وأخذت لبي وقتي، وهذا العمل ثمرة طيبة - إن شاء الله تعالى - بعد طول دراسة وتدقيق.

والله ولي التوفيق،،،

د. عائشة يكن

نائب الرئيس للشؤون الإدارية في جامعة الجنان

دور الجامعات في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة التحديات والإمكانيات في ضوء معايير الجودة

مقدمة : حق التعلم في الشريعة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَنِّي﴾ (٢) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعَى﴾ (٣) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَنِّي﴾ (٤) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿وَهُوَ يَحْشَى﴾ (٥) فَأَنْتَ عَنْهُ تُلَهَّى ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ (٦) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ... ﴿...﴾ (٧) ﴿صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ .

إنه المشهد الأكثر تعبيراً عن أسس التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة التي نصّت عليها الشريعة الإسلامية وهو الموقف الأكثر وضوحاً وقوة في تثبيت إنسانية الإنسان، أي إنسان مهما كان شأنه، وتأكيد حقه في التعلم. حيث تحكي هذه الآيات معاتبه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، عندما عبس في وجه عبد الله بن أم مكتوم، وهو ضرير أتاها طالباً العلم وأعرض عنه ليتوجه إلى عليه القوم. فجاءت هذه الآيات الكريمات، لتؤكد على حق ذوي الاحتياجات الخاصة في التعلم، وعدم جواز تفضيل تعليم الأصحاء عليهم في أي حال من الأحوال، أو توسم الخير العظيم فيهم. إن هذا الموقف وحده يشكل نموذجاً إنسانياً تربوياً يحتذى به، إذ أنه يقر مبدأ تكافؤ الفرص لا بل يأمر بذلك، ويجعل من هذه القصة أمثلة وعبرة.

من هم ذوو الاحتياجات الخاصة؟

هم فئة موجودة في كل مجتمع، يختلفون، نتيجة لعوامل وراثية أو بيئية أو غيرها، من حيث

القدرات الحركية أو العقلية أو الحسية، أو من حيث الخصائص السلوكية أو اللغوية أو التعليمية، مما يحتم تقديم خدمات خاصة لهم لمساعدتهم على تطوير قدراتهم الى أقصى درجة تسمح بها إمكاناتهم. ويمثل ذوو الاحتياجات الخاصة ١٠٪ من سكان العالم، وترتفع هذه النسبة في العالم العربي إلى ١٢٪، بناء للإحصاءات الصادرة عن الأمم المتحدة والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

ويعني مفهوم ذوي الاحتياجات الخاصة أن في المجتمع أفراداً لهم احتياجات خاصة تختلف عن احتياجات باقي أفراد المجتمع، وتتمثل هذه الاحتياجات في برامج أو خدمات أو أجهزة أو تعديلات. وتحدّد طبيعة هذه الاحتياجات الخصائص التي يتسم بها كل فرد منهم. وذلك يعني أنها تضمّ المعوقين، الموهوبين، المرضى، الحوامل، المسنين وغيرهم. وما يهمننا في هذا السياق هو فئة المعوقين التي تشمل كل من لديه قصور وظيفي أو حسي أو ذهني.

تصنيف الاعاقات

تختلف الآراء حول تصنيف الإعاقات وأنواعها، حيث يعتمد بعضها تصنيفاً عاماً لا يميّز بين درجات الإعاقة أو تعددها لدى الفرد الواحد، بينما يعتمد بعضها الآخر تصنيفاً أكثر تفصيلاً وتحديداً. ونكتفي هنا بالتصنيف العام الذي يعتمد سبعة أنواع من الإعاقة، وهي^(١):

١. الإعاقة العقلية.
٢. الإعاقة البصرية.
٢. الإعاقة السمعية.
٤. صعوبات التعلّم.
٥. الإضطرابات السلوكية والإنفعالية.
٦. اضطرابات التواصل.
٧. الإعاقة الحركية.

تصنيف الاحتياجات الخاصة

إن تصنيف الإعاقات ليس هدفاً بحدّ ذاته، بل يقصد به معرفة الاحتياجات المناسبة، والمطلوبة لسدّ الفجوات، وإزالة العوائق التي تمنع الفرد من الحصول على فرص متكافئة. إن تصنيف الاحتياجات الخاصة قد يختلف تماماً عن تصنيف الإعاقات؛ حيث نجد عدة أصناف من الإعاقات تشترك في نفس الاحتياجات، كما نرى أحياناً احتياجات متعدّدة لأحد أصناف الإعاقة. ويمكن

١- مقدمة في التربية الخاصة. د. تيسير مفلح كوافحة وأ. عمر فواز عبد العزيز، دار المسيرة، ٢٠١٠

تحديد خمس فئات من الاحتياجات الأساسية التي تتوزع عليها ، وتشارك فيها أنواع الإعاقات المختلفة^(١) :

الفئة	أنواع الاحتياجات
أ	احتياجات التعلم والمعرفة
ب	احتياجات سلوكية وعاطفية واجتماعية
ج	احتياجات التواصل والتفاعل
د	احتياجات حسية و/أو جسدية
فئات أخرى	احتياجات أخرى

أهم الاتفاقيات والإعلانات الدولية

شهد القرن العشرون تطوراً كبيراً في الاهتمام بالمعوقين على المستوى العالمي، تمثل في العديد من المواثيق التي صدرت عن هيئة الأمم المتحدة، كان من أبرزها إعلان عام ١٩٨١ عاماً دولياً للمعوقين. وقد نشطت الدول إبان ذلك العام في تطوير برامجها في هذا المجال. لذا أعلنت الأمم المتحدة عقد الثمانينيات عقداً دولياً للمعوقين. «كما تزايد الاهتمام في السنوات الأخيرة بالتعليم الجامع من حيث مفهومه وممارساته، وثمة اتجاه متزايد على الصعيد الدولي لفهم العبارة في إطار أوسع، واعتبار التعليم الجامع إصلاحاً يدعم التنوع ويحتفي به بين جميع الدارسين»^(٢).

وقد ورد الحق بالتعليم بعدد من المواثيق الحقوقية، نذكر منها:

١. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (١٩٤٨): المادة ٢٦: حق الإنسان في التعليم.
 ٢. العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (١٩٦٦): مادة ١٣.
 ٣. إتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل (١٩٨٩) المادة ٢٣: حقوق الأطفال المعوقين.
 ٤. إعلان سالامانكا وإطار العمل (١٩٩٤): التعليم للجميع .
 ٥. إطار عمل دكا، التعليم للجميع: الوفاء بالتزاماتنا الجماعية (٢٠٠٠).
 ٦. العقد العربي للمعوقين ٢٠٠٣-٢٠١٢.
 ٧. إتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة والبروتوكول الاختياري (٢٠٠٦) المادة ٢٤ : التعليم.
 ٨. إعلان لشبونة: آراء الشباب بشأن التعليم الجامع (٢٠٠٧).
- وفي دراسة متأنية لتلك المواثيق والاتفاقيات ، نجد أن المصطلحات التي تستخدم للتعبير عن

١- إدارة العملية التعليمية لذوي الاحتياجات الخاصة. سواني جيبسون، سونيا بلانديفورد. ص ٤١

2- What is a Culture of Inclusion? School of Education and Human Development. Kugelmass. Binghamton University, USA, 2004

حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة تتبدل وتتطور من اتفاقية لأخرى ومن إعلان لآخر في محاولة مستمرة للحد من أي مدلول سلبي ينتقص من كرامة الإنسان كإنسان، أو يقلل من إمكانياته. فمن المعاقين إلى ذوي الاحتياجات الخاصة، ومن المعوقين إلى أصحاب الفروق الفردية. ومن الحق في التعليم والحق في الرعاية الخاصة، إلى التعليم الإدماجي، ثم التعليم للجميع، وتكافؤ الفرص، وصولاً إلى التمكين فالتعليم الجامع.

مفهوم التعليم الجامع - نظرية الدمج في التعليم

يرتكز تطوير تعليم ذوي الإعاقة خلال العقدين الأخيرين على نظرية الدمج في التعليم، وهي النظرية التي بدأ تطبيقها بالولايات المتحدة الأمريكية بعهد «جون كنيدي» ١٩٧٥. وبسرعة كبيرة تبني المدافعون عن حقوق ذوي الإعاقة تلك النظرية بشكل كامل حتى أصبح الحديث عن تعليم ذوي الإعاقة يعني دمجهم بالنظام التعليمي، وبمعنى أكثر دقة هو التعليم للجميع. والهدف العام للتعليم الجامع هو دعم التعليم للجميع مع التركيز الخاص على إزالة الحواجز التي تعوق المشاركة والتعليم^(١).

ويهمنا أن نسلط الضوء على آراء الشباب المعوقين أنفسهم، الذين شاركوا في إعلان لشبونة، ولخصوا الاحتياجات والتحديات التي يواجهونها بما يلي:

«تختلف الاحتياجات الخاصة باختلاف الأشخاص. هناك حواجز مختلفة في التعليم وفي المجتمع تواجه ذوي الاحتياجات الخاصة المتنوعة، فمثلاً^(١) :

- بعضنا بحاجة إلى مزيد من الوقت أثناء الامتحانات والدروس.
- أحياناً نكون بحاجة إلى مساعدين شخصيين داخل قاعات التدريس.
- كما أننا بحاجة لأن نحصل على المواد الدراسية بشكل معدّل في نفس الوقت مع زملائنا.
- حرية اختيار مواضيع الدراسة محدودة في بعض الأحيان بسبب عدم إمكانية الوصول إلى المباني، أو عدم توفر التكنولوجيا اللازمة، أو عدم إمكانية الحصول على المواد المطلوبة (معدات، كتب).
- إننا بحاجة إلى مواضيع ومهارات ذات معنى بالنسبة لنا، ومن أجل حياتنا المستقبلية.
- إننا بحاجة إلى مشورة جيدة خلال جميع مراحل التعليم فيما يتعلق بما هو ممكن لنا فعله في المستقبل بناءً لاحتياجاتنا الفردية.

١- حقّ ذوي الإعاقة في التعليم. غريب سليمان غريب، أمل جرجس شحاتة، هند نظير، مصر ٢٠١٠

2- Lisbon Declaration-Young people's Views on Inclusive Education, 2007

• لا يزال هناك نقص في المعرفة في ما يخصّ الإعاقة. فالمدرسون والطلاب الآخرون وبعض الآباء والأمهات أحياناً يكون موقفهم سلبياً تجاهنا. وينبغي أن يعرف غير المعوقين أنهم يستطيعون الطلب من الشخص المعوق نفسه عن حاجته للمساعدة أم لا».

وبالرغم من توقيع العديد من الدول العربية على معظم هذه المواثيق، فإننا نجد أن المؤتمرات والندوات وورش العمل التي تجري في العالم العربي، لا تزال حتى هذه اللحظة تتحدث عن الحقوق، وتطالب بسن التشريعات التي تكفل تلك الحقوق، وتوصي باعتماد معايير ومواصفات محدّدة وواضحة لإجراءات التعليم الجامع، كما تدعو لإيجاد سياسات وإعداد خطط في مجال التعليم الدامج، ووضع دليل توجيهي يتضمن كافة الشروط والمواصفات والاجراءات. مما يعني أن الطريق ما زال طويلاً وأن المعايير والمواصفات والإجراءات⁽¹⁾ ما زالت قيد التطوير وأن الحقوق ما زالت مغبونة أو غير معترف بها وأن الثقافة المتعلقة بالفروق الفردية والاحتياجات الخاصة ما زالت ضعيفة أو غائبة.

دور الجامعة إزاء التعليم الجامع

للجامعة دور أساسي في خدمة المجتمع وإصلاحه، والنهوض به، ورفع مستوى أبنائه الثقافي والعلمي والمهني، ليكونوا فاعلين ومنتجين في شتى الميادين. فالجامعة تعلم وتربي وتثقف وتؤهل وترعى وتصلح وتعالج. فهي مؤسسة ذات رسالة تربوية متكاملة تسعى بما لديها من امكانيات وطاقات، إلى إعداد الأجيال وتهيئتهم ليتحملوا مسؤولياتهم، ويؤدوا دورهم المنوط بهم بحسب قدراتهم، والفرص المتاحة لهم.

من هنا ينبع دورها في تأمين فرص التعليم لأكبر شريحة ممكنة، بما في ذلك ذوي الاحتياجات الخاصة، وفق المعايير المطلوبة والممكنة، واستيعاب تلك الشريحة وإعطائها الفرصة لتكون فاعلة في المجتمع لا عالة عليه.

معايير الجودة : ISO 26000 Social Responsibility

تتضمن رسالة كل جامعة ما مضاه تحمّل مسؤوليتها تجاه المجتمع، والتزامها بخدمته وخدمة أبنائه، وهذا ما يتطابق ويتوافق مع معايير الجودة الحديثة ISO 26000 Social Responsibility التي تعنى بتوجيه المؤسسات نحو مسؤولياتها الاجتماعية، من خلال الالتزام بمجموعة من المبادئ التي تشكّل الخطوط التوجيهية لتلك المؤسسات.

وتعتبر تلك المعايير أن المؤسسات في جميع أنحاء العالم، وأصحاب المصلحة، أصبحوا أكثر وعياً حول ضرورة وفائدة تبني سلوك مسؤول إزاء المجتمع، حيث يهدف هذا السلوك إلى الإسهام في

١- البيان الختامي لورشة العمل الاقليمية حول تطوير السياسات التربوية من اجل إدماج الأطفال ذوي الإعاقة: التوعية بمنهجيات التربية المدمجة، بيروت، حزيران ٢٠١٠

التمتية المستدامة للمجتمع. وتشكل حقوق الإنسان أحد المبادئ الأساسية للمسؤولية الاجتماعية بحسب معايير الجودة ٢٦٠٠٠، حيث ورد في الفقرات التالية:

٢,٣,١,٢ حقوق الإنسان والمسؤولية الاجتماعية

إن من واجب الدول ومسؤوليتها، احترام وحماية حقوق الإنسان والوفاء بها وتحقيقتها. والمؤسسات لديها أيضاً مسؤولية احترام حقوق الإنسان، ضمن مجال نفوذها وتأثيرها. فالاعتراف بحقوق الإنسان واحترامه يعتبر على نطاق واسع شرطاً أساسياً لسيادة القانون ولمفاهيم العدالة الاجتماعية والإنصاف والدعامة الأساسية للمؤسسات الأساسية في المجتمع كالنظام القضائي.

٢,٣,١,٧ قضية حقوق الإنسان ٥: التمييز والفئات الضعيفة

كثيراً ما يكون الأشخاص ذوي الإعاقة عرضة للتمييز، جزئياً بسبب التصورات الخاطئة حول مهاراتهم وقدراتهم. لذا ينبغي أن تسهم المؤسسات في ضمان منح ذوي الإعاقة، ذكوراً وإناثاً، الكرامة والاعتماد على الذات والمشاركة الكاملة في المجتمع. كما ينبغي عليها احترام مبدأ عدم التمييز. ويتعين على المؤسسات أن تأخذ بعين الاعتبار توفير إمكانية الوصول إلى مرافقها المختلفة^(١).

إن السعي لتحقيق ما ورد في هذه المعايير من خطوط توجيهية عريضة، بشأن تمكين ذوي الإعاقة من المشاركة الكاملة في المجتمع، يتطلب جهداً كبيراً من قبل الجامعة، والتزاماً جدياً يتمثل بتوفير طاقات متخصصة للتأكد من سلامة التطبيق، وتحقيق الغاية المنشودة. «إن التعليم الجامع يحتاج إلى مرونة في نظام التعليم بما يلبي الحاجات المتنوعة والمعقدة في أغلب الأحيان لكل طالب»^(٢). وتشكل هذه الحاجات، بلا شك، تحديات كبيرة أمام الجامعة، لا يمكن تجاوزها، إلا من خلال خطة متكاملة تجعل من الجامعة بيئة ملائمة لذوي الاحتياجات الخاصة.

نحو بيئة جامعية ملائمة لذوي الاحتياجات الخاصة

عندما تدرك الجامعة وتعي كافة مسؤولياتها تجاه المجتمع بكل شرائحه وأطيافه، وحين تتشكل لديها القناعة الكاملة والذاتية بحق كل إنسان بفرصة تعليم متكافئة، وعندما تتبنى تأمين تلك الفرصة لكل طالب مهما تعددت احتياجاته، عندئذ يمكننا أن نتوقع نجاحاً وتميزاً في برامج التعليم الجامع. لأن توفر المعدات والمختبرات المتخصصة والترتيبات اللوجستية لا تكفي لضمان جودة التعليم ولا جودة الخدمات لذوي الاحتياجات الخاصة. فهذه مجرد أدوات ووسائل لا تؤدي مرادها إلا ضمن منظومة متكاملة، تشترك فيها كل الكوادر والوحدات وتتعاون من أجل تقديم أفضل خدمة ممكنة ضمن معايير تأخذ بعين الاعتبار احتياجات الطلاب ذوي الاحتياجات

1- ISO 26000: Social responsibility, International Organization for Standardization, Geneva, 2009

2- Key Principles for promoting Quality in Inclusive Education: Recommendations for Policy makers, European Agency for Development in Special Needs Education, 2009

الخاصة، ومتطلبات جودة التعليم العالي.

إن خلق بيئة جامعية ملائمة لذوي الاحتياجات الخاصة يتوفر فيها التعليم الجامع، يتطلب مجموعة من الخطوات نلخصها بما يلي:

١. إيماناً قوياً من قبل الإدارة العليا بحق ذوي الاحتياجات الخاصة في التعليم وقراراً حاسماً بتبني هذا التوجه.

٢. إدراج هذا القرار ضمن رسالة الجامعة ورؤيتها المستقبلية وأهدافها واستراتيجياتها.

٣. ترجمة الأهداف الى سياسة وأنظمة وإجراءات تحدّد الإطار العام للتعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، من قبل كل الفئات وتحدد مسؤوليات تلك الفئات وحقوقها وواجباتها كي تنتظم عملية الدمج بما يضمن جودة التعليم.

٤. وضع جميع الإمكانيات وتذليل كل الصعوبات، وتأمين الميزانيات التي تضمن تحقيق ذلك القرار.

٥. نشر ثقافة الاختلاف، وكل ما يرتبط بتلك الثقافة من تغيير للأحكام المسبقة، وعدم التمييز على أساس الإعاقة، واحترام الفروق الفردية، والاعتراف بالقدرات والإمكانيات. حيث يتم إدراج تلك الثقافة ضمن أنشطة الجامعة المختلفة، ومطبوعاتها واعلاناتها.

٦. ترجمة هذه الثقافة من خلال المواقف والممارسات كي تصبح مبدأ متأصلاً وليس دخيلاً، أو ملحقاتاً إضافياً يبقى غريباً عن جسم الجامعة. فعندما تتغلغل هذه الثقافة في كل شرايين المؤسسة وعروقها، تصبح منظومة الجودة أكثر تكاملاً وشمولية. كما تعتبر عملية الدمج بحدّ ذاتها مساعداً أساسياً على نشر الثقافة وتسريعها.

٧. تدريب العاملين وتأهيلهم كجزء أساسي وضمن لعملية الدمج؛ حيث يشمل التدريب كل الفئات العاملة بشكل عام، والمعنيين بتنفيذ الإجراءات المعتمدة بشكل خاص.

٨. الاستعانة بأخصائيين في مجال الاحتياجات الخاصة وعلم النفس وعلم الاجتماع والتربية والصحة وغيرها، بما يعزّز عملية الدمج. إضافة الى توفير الأخصائيين التقنيين لمساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة في استخدام الوسائل التقنية الحديثة التي تسهّل عملية التعلّم.

٩. توفير الأدوات والمعدات والترتيبات اللوجستية والتدابير اللازمة؛ ويشمل ذلك كل التقنيات التي يمكنها أن تساهم في دعم مسيرة الطالب الأكاديمية وتسهيل عملية التعلّم كاستخدام نظام برايل، ولغة الإشارة، وطرق الاتصال البديلة، وكل الأساليب والوسائل الحديثة التي ينصح الأخصائيون باستخدامها، ويمكن للجامعة أن توفرها.

١٠. اعتماد التقييم المستمر لعملية الدمج ونتائجها وانعكاساتها، كمحرك أساسي للتطوير

والتحسين. ويشارك في التقييم جميع الفئات المعنية وعلى رأسهم المستفيدون الأساسيون من عملية الدمج؛ أي ذوو الاحتياجات الخاصة وفق مبدأ «لا شيء يخصنا من دوننا» وكل من يشاركونهم في إنجاح تلك العملية.

١١. إعادة تصحيح الاجراءات، وصياغة السياسات الى أن ترقى جميع الخدمات للمستوى المطلوب وتحقق الرضى التام لدى المعنيين.

وضع ذوي الاحتياجات الخاصة في لبنان

لبنان، كسواه من البلدان العربية، يفتقر للإحصاءات الدقيقة في ما يتعلّق بذوي الاحتياجات الخاصة، ولكن تقارير الأمم المتحدة تؤكد على أن نسبة ذوي الاحتياجات الخاصة لا تقل عن ١٢٪. أما مصادر وزارة الشؤون الاجتماعية فأحصاءاتها تشمل فقط حاملي بطاقة المعوّق الشخصية، ضمن الإعاقات المدرجة في التصنيفات التي اعتمدها وزارة الشؤون الاجتماعية.

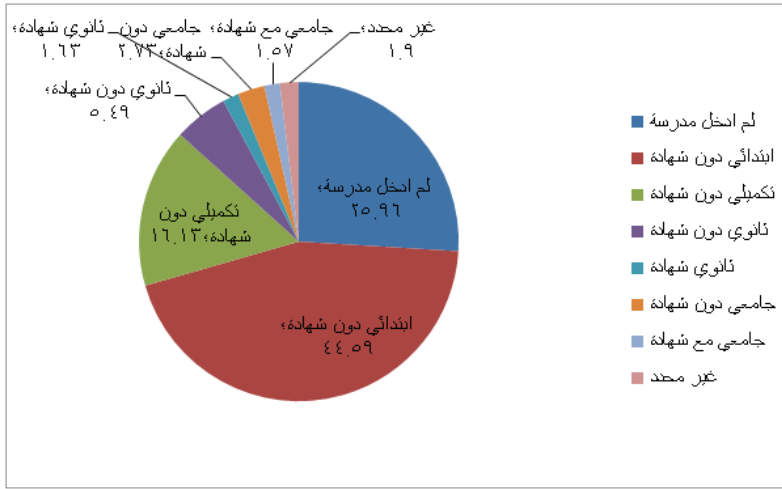
وتفيد الوزارة بأن عدد حاملي بطاقة المعوّق الشخصية حتى تاريخ ٢٠١١/٠٣/٠١ يبلغ ٧٤١١٥ شخصاً. أما الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٣٥ سنة حتى تاريخ ٢٠١١/٣/١ فيصل إلى ١٦٣١٥ شخصاً، وهم يمثلون ٢٢٪ من حاملي بطاقة المعوّق. ويتوزعون بحسب نوع إعاقاتهم كما يلي^(١):



وتجدر الإشارة هنا، أن هذه الإحصاءات لا تشمل الذين لديهم صعوبات تعلم ولا الذين يعانون من اضطرابات سلوكية وانفعالية أو اضطرابات تواصل. مما يعني أن النسبة الحقيقية لذوي الاحتياجات الخاصة تتجاوز بكثير هذه الأرقام. وإذا استثنينا ذوي الإعاقة العقلية، فإن ٢٦، ٦٣٪ بمقدورهم إذا توفرت لهم الاحتياجات الخاصة، الحصول على فرص متكافئة في التعليم والعمل. ولكن توزّعهم حسب المستوى التعليمي يعكس غير ذلك تماماً، حيث نجد أن ٦٣، ١٪ فقط اجتازوا المرحلة الثانوية و٥٧، ١٪ فقط تمكنوا من الحصول على شهادة جامعية كما هو مبين^(٢).

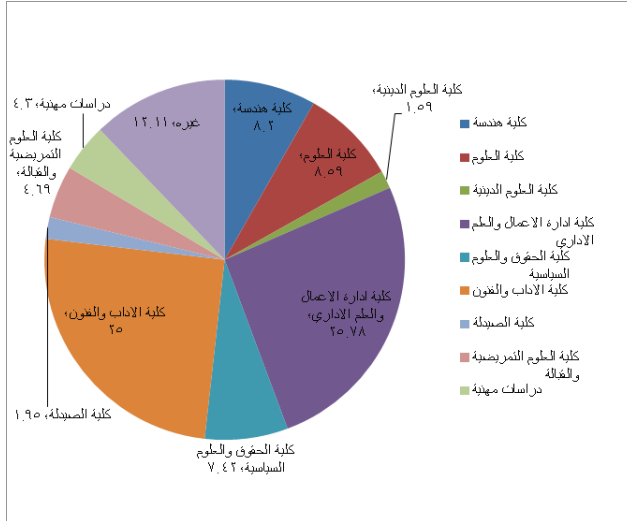
١- برنامج تأمين حقوق المعوقين، وزارة الشؤون الاجتماعية، الجمهورية اللبنانية، مارس ٢٠١١

٢- المرجع السابق



تدلّ هذه الإحصاءات أن ١٧, ٩٢٪ من ذوي الاحتياجات الخاصة، لم يتجاوزوا المرحلة الثانوية، وبالتالي فإنّ مستواهم التعليمي لا يسمح لهم بتأمين مستقبل واعد. ويتوزّع أصحاب الشهادات الجامعية من ذوي الاحتياجات الخاصة الذين تبلغ نسبتهم ١, ٥٧٪ على عدة كليات واختصاصات كما هو مبين في الرسم البياني أدناه.

توزّع المعوقين بحسب الشهادة الجامعية^(١):



ويظهر البيان أن أكثر من ٦٠٪ من ذوي الاحتياجات الخاصة يلتحقون بكليات نظرية أو غير

الجامعات التي تتوفر لديها وحدات لذوي الاحتياجات الخاصة ، حيث نجد أيضاً أن معظمها يحدّد الاختصاصات التي يسمح لذوي الاحتياجات الخاصة بالالتحاق بها.

جامعة الجنان: نموذج قيد الإنشاء

في إطار سعيها المتواصل والجاد نحو خدمة المجتمع اللبناني بكل شرائحه، وإيماناً منها بضرورة توفير فرص تعليم، وفرص عمل متكافئة لذوي الاحتياجات الخاصة، وإدراكاً منها بمدى حاجة تلك الشريحة للمزيد من الرعاية وتوفير الفرص في لبنان، أنشأت جامعة الجنان وحدة الاحتياجات الخاصة، للإشراف على تطبيق سياسة الجامعة في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة؛ وهي تضم أساتذة من الكليات والأقسام التالية: كلية التربية، قسم حقوق الانسان، كلية الصحة العامة، قسم شؤون الطلاب، وقسم الأنشطة.

الرسالة

أنشئت هذه الوحدة لضمان حصول ذوي الاحتياجات الخاصة، طلاباً وأساتذة وموظفين، على فرص متكافئة في التعلّم والتعليم والعمل.

الرؤية

تتطلّع الجامعة إلى أن تصبح نموذجاً في مجال التعليم والعمل الدامج ، وذلك من خلال توفير بيئة ملائمة جسدياً ونفسياً لذوي الاحتياجات الخاصة في كل مرافق الجامعة ، وأنشطتها الصفية واللاصفية.

الأهداف

تسعى الجامعة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في مجال التعليم والعمل.
 ٢. تقديم أفضل الخدمات المادية والدعم المعنوي لذوي الاحتياجات الخاصة.
 ٣. إشراك ذوي الاحتياجات الخاصة في الأنشطة المختلفة.
 ٤. ادخال الثقافة المرتبطة بالإعاقة في المناهج الدراسية في الجامعة.
 ٥. انشاء شبكة خاصة بالتعليم الدامج مع الجامعات في الدول العربية.
- سياسة الجامعة في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة
- انطلاقاً من رسالة الجامعة وسياستها العامة، تلتزم الجامعة في تعاملها مع ذوي الاحتياجات الخاصة بالمبادئ التالية:

- التعامل مع الجميع على أساس الاحترام المتبادل بغض النظر عن احتياجاته الخاصة.

- عدم استبعاد اي طالب أو أستاذ أو موظف من التعلّم أو التعليم أو العمل على أساس الإعاقة.
- الالتزام بمعايير الصحة والأمن والسلامة.
- الالتزام بالمعاهدات الدولية المتعلقة بذوي الاحتياجات الخاصة.
- عدم مخالفة الأنظمة والقوانين اللبنانية.
- الإلتزام بلوائح التعليم العالي اللبناني.
- السعي نحو تطبيق أنظمة الجودة العالمية بما يتناسب ورسالة الجامعة.
- السعي نحو التحسين المستمر والتطوير الدائم في الخدمات المتوفرة.
- احترام البيئة والمحافظة على الموارد في جميع الممارسات والاجراءات.
- الإلتزام بأخلاقيات العمل.

الخدمات التي يجب أن توفرها وحدة الاحتياجات الخاصة :

يجب على الجامعة أن توفر كل الخدمات التي من شأنها تمكين ذوي الاحتياجات الخاصة من ممارسة حقهم الطبيعي في التعلّم والتعليم والعمل وتضم هذه الخدمات التنسيق والمتابعة وتقديم الدعم المعنوي والمادي وتوفير التجهيزات التقنية، بالإضافة الى الخدمات الفردية المتنوعة. وتشمل خدمات التنسيق والمتابعة ما يلي:

- توثيق متطلبات الطالب الفردية وتحديد احتياجاته الخاصة.
- التنسيق مع المرشد الأكاديمي لوضع برنامج أكاديمي خاص لكل طالب (تخفيض عدد الوحدات، اختيار مواد أكثر ملاءمة لوضع الطالب، الخ).
- تعريف الطالب بكل الخدمات المتوفرة.
- التنسيق بين الطالب ودوائر القبول والتسجيل.
- التنسيق بين الطالب والكلية.
- متابعة مسار الطالب الأكاديمي (تعثر أكاديمي).
- التنسيق بين الطالب وأماكن التدريب الخارجية.

أما على صعيد الدعم المعنوي، فتسعى الجامعة، من خلال ورشات العمل والتدريب والجلسات الاستشارية وغيرها، الى:

- تعزيز ثقة ذوي الاحتياجات الخاصة بأنفسهم وبإمكانياتهم.

- تشجيعهم على الاعتماد على أنفسهم.
- تشجيعهم على الانخراط الكامل في الحياة الجامعية: المشاركة في الأنشطة الثقافية والرياضية وغيرها، المشاركة في الأندية والمجالس المختلفة.
- وعلى صعيد الدعم المادي والتجهيزات التقنية، يجب أن توفر الجامعة ما يلي:
- منح دراسية لذوي الاحتياجات الخاصة لتشجيعهم على متابعة الدراسة .
- استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لضمان حصول الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة على المعلومات والمعرفة.
- تأهيل المداخل والممرات والغرف الدراسية والقاعات المختلفة والمختبرات ، بما يتناسب مع الاحتياجات الخاصة.
- تأهيل ممرات المكتبة، ورفوف الكتب، والطاولات.
- توفير غرفة خاصة في المكتبة للأشخاص المصابين بضعف في البصر، أو في السمع ، أو الذين يحتاجون للمساعدة في القراءة.
- إنشاء مكتبة شاملة بلغة برايل.
- تزويد المباني بأجهزة إنذار، وتبنيه ضوئي وسمعي في حالات الخطر، وأشرطة دليلية نحو مخارج الطوارئ وأماكن الإخلاء.
- تزويد المرافق الصحية بمراحيض خاصة لذوي الاحتياجات الخاصة لكل من الجنسين ، مع المتكآت الضرورية وأجهزة طلب المساعدة.
- توفير مشرب واحد على الأقل في كل كلية لذوي الاحتياجات الخاصة، ويجب أن لا يحول أي عائق دون الوصول إلى هذه المشارب بشكل جانبي من قبل مستعملي الكراسي المتحركة.
- تخصيص مواقف لسيارات ذوي الاحتياجات الخاصة قريبة لكل مبنى بنسبة موقف واحد لكل خمسين طالباً.
- توفير سكن جامعي وفق معايير ومتطلبات ذوي الاحتياجات الخاصة.
- الالتزام بمعايير ومتطلبات البناء الخاص لذوي الاحتياجات الخاصة، عند إنشاء أي مبنى جديد، ودراسة إمكانية تعديل الأبنية القائمة لتتوافق مع هذه المتطلبات.
- كما توفر الجامعة عند الحاجة خدمات فردية مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:
- دروساً إضافية من قبل طلاب أو أساتذة.

- محاضرات مدونة أو مسجلة.
- مساعدين شخصيين داخل القاعات وأثناء الامتحانات.
- قراء وكتاب أثناء الامتحانات للمكفوفين أو لمن لديهم ضعف نظر.
- سيارات خاصة لنقل الطلاب من مبنى لآخر.

التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة في ظل معايير جودة التعليم

معايير ممارسة الحق في التعليم

هناك معايير عديدة لقياس التعليم منها التربوي، ومنها الخاص بجودة العملية التعليمية، وتوجد نظريات عديدة لمعايير التعليم الجيد، تتفق في الجوهر وتختلف في التفاصيل وأدوات القياس، ويمكن الاعتماد على المعايير الحقوقية الواردة بالتعليق العام رقم ١٣ (الحق في التعليم ١٩٩٩) الصادر عن اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لقياس مدى ممارسة حق التعليم وهي^(١) :

١. التوفر: والمقصود هو توفر البنية المادية اللازمة لممارسة التعليم (مباني - مرافق صحية - مياه شرب - مواد تدريس) كذلك توفر الكوادر البشرية من المعلمين المدربين.
٢. إمكانية الالتحاق «الإتاحة»: ويعني تيسير الالتحاق بالمدارس للجميع دون تمييز لأي سبب.
٣. إمكانية القبول «الملاءمة»: والمقصود أن يكون التعليم من حيث الشكل والمضمون مقبولاً ووثيق الصلة بالاحتياجات وملائماً من الناحية الثقافية وخاضعاً لمعايير الجودة.
٤. التكيف: والمقصود هنا تمتع النظام التعليمي والسياسات التعليمية بالمرونة اللازمة للاستجابة لاحتياجات الطلاب بمحيطهم الثقافي المتنوع.

معايير جودة التعليم في ما يخص ذوي الاحتياجات الخاصة

إن معايير جودة التعليم العالي المعتمدة في الجامعة، ولدى جهات الاعتماد يجب المحافظة عليها في جميع الحالات، بما في ذلك بالنسبة للطلبة ذوي الحاجات الخاصة. ولكن سبل تحقيق تلك المعايير قد تكون في بعض الحالات مختلفة ومتنوعة جداً. لذا ينبغي تضمين موضوع دعم وتمكين الطلبة من ذوي الحاجات الخاصة، ضمن قائمة إجراءات ضمان الجودة، مع تدوين جميع الممارسات والإرشادات لتكون أدوات مهمة يعتمد عليها في مرحلة التنفيذ. كما ينبغي رصد مدى تأثير نظام ضمان الجودة على عملية استيعاب تلك الشريحة ودمجها^(٢). ويأتي هذا التضمين وفق

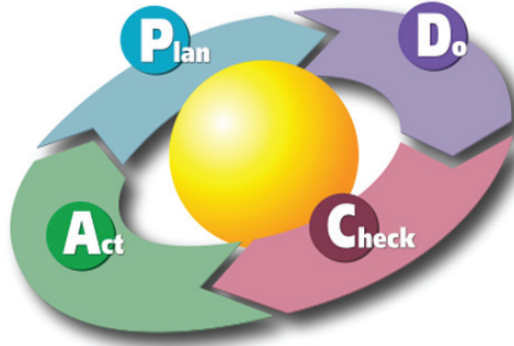
١- المعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التعليق العام رقم ١٣ بشأن الحق في التعليم، المادة ١٩٩٩، ١٣.
2- Memorandum, The Bruges Conference "From Bologna to Bruges and far beyond. Equal opportunities for people with disabilities", Bruges, Belgium, December 2008

الخطوات التالية:

١. تبني الإدارة العليا مبدأ التعليم الجامع الذي يشمل دمج وتمكين ذوي الاحتياجات الخاصة.
٢. دراسة اتجاهات الكوادر الإدارية والأكاديمية والطلابية إزاء ذوي الاحتياجات الخاصة.
٣. توعية تلك الكوادر حول الفروق الفردية والاحتياجات الخاصة ونشر مفهوم التعليم الجامع.
٤. تقييم وتشخيص الوضع الحالي من حيث توفر الإمكانيات وتحديد الفجوات.
٥. وضع خطة عمل وتكوين فرق العمل وتحديد منهجية عملها.
٦. الإعداد والتهيئة داخل المؤسسة من حيث المناهج والبرامج والتجهيزات الفنية المطلوبة.
٧. حصر جميع العمليات والإجراءات القائمة وتعديلها بما يتناسب مع ذوي الاحتياجات الخاصة.
٨. تخطيط وتوثيق شامل لنظام الجودة في ما يخص دعم وتمكين ذوي الاحتياجات الخاصة.
٩. تطبيق نظام الجودة ورصد مدى تأثيره على عملية استيعاب تلك الشريحة ودمجها.
١٠. التدقيق الداخلي وتقييم المخرجات (نسبة التسرب، رضى الطلاب من ذوي الاحتياجات الخاصة، رضى أصحاب المصالح، كفاءة الخريجين، الخ.).
١١. تحديد عدم المطابقات وأماكن التحسين.
١٢. اتخاذ الإجراءات المناسبة والعمل على التحسين المستمر.

وتتم كل هذه المراحل والخطوات ضمن منظومة التحسين المستمر التي تتطلبها معايير الجودة:

P-D-C-A^(١)



كيف نترجم هذه المعايير ضمن دائرة القبول والتسجيل؟

إن دائرة القبول والتسجيل تشكل الحلقة الأولى من التواصل مع الطالب، لذا لا بدّ من توفير البيئة الملائمة لذوي الاحتياجات الخاصة لدى تلك الدائرة، عندما تأخذ الجامعة على عاتقها عملية

1- <http://www.anythingresearch.com/Strategic-Planning/PDCA-Plan-Do-Check-Act.htm>

الاستقطاب والدمج لتلك الفئة. ويشمل توفير البيئة الملائمة ما يلي :

١. تأهيل مدخل الدائرة بما يسمح بالوصول إليها بشكل مريح .
٢. توفير مساحة ملائمة للحركة داخل الدائرة .
٣. تخصيص مكتب واحد على الأقل لاستقبال ذوي الفروقات الفردية .
٤. توفير موظف واحد على الاقل متخصص في هذا المجال مع ضرورة تدريب الجميع .
٥. معرفة جميع الخدمات المتوفرة .
٦. توفير استمارات ومطبوعات ملائمة .
٧. التنسيق مع وحدة الاحتياجات الخاصة والاستعانة بمتخصصين عند الضرورة.
٨. التعامل مع الطالب باحترام والمحافظة على سرية المعلومات المتعلقة بفروقاته الفردية.
٩. التأكد من الوثائق والتقارير الطبية المرفقة التي تحدّد احتياجات الطالب الخاصة بالتنسيق مع وحدة الاحتياجات الخاصة.
١٠. توفير المعلومات المتعلقة بالإجراءات المتبعة من خلال موقع الجامعة الالكتروني ومطبوعات الجامعة.
١١. مراعاة احتياجات الطالب الخاصة، بالنسبة لجولات التوجيه داخل الحرم الجامعي، واتخاذ الإجراءات والترتيبات اللازمة.

معايير قبول الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة

يخضع الطلاب ذوو الاحتياجات الخاصة عموماً لنفس معايير القبول المعتمدة في الجامعة مع مراعاة ما يلي:

- عدم استبعاد الطلاب بناء لفروقاتهم الفردية.
- توفير الترتيبات المناسبة في مباريات الدخول من حيث المكان والتجهيزات ونماذج الأسئلة.
- التأكد من ملاءمة المواد والمختبرات والأعمال التطبيقية، مع قدراتهم وامكانياتهم بما لا يعرّض سلامتهم أو سلامة الآخرين لأي خطر.

وترتبط معايير القبول بشكل كبير برسالة الجامعة ورؤيتها. فالجامعة التي تأخذ على عاتقها دمج وتمكين الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة يجب أن تتخذ عدة خطوات لتحقيق أهدافها. وفي ما يلي جملة من التوصيات الموجهة لمؤسسات التعليم العالي، والصادر بعضها عن مؤتمر «التعليم للجميع، ٢٠٠٧»^(١):

1- Conference: education for all 2007. The impact of the Bologna process on students with disabilities, Sven Drebes and Andrea Hellbusch. DP «Tandem in Science», Germany

القبول في الجامعة

- يجب أن تكون إجراءات القبول في الجامعات خالية من العوائق.
- يمكن مشاركة فريق وحدة الاحتياجات الخاصة أو غيرهم من الأخصائيين، في مرحلة القبول، عند طلب ذوي الاحتياجات الخاصة.
- اعتماد الحصة النسبية في كل اختصاص أو كلية حيث يمكن تخصيص 5% في المائة من مقاعد الدراسة لذوي الاحتياجات الخاصة.
- عدم التحديد المسبق للتخصصات أو الكليات التي يمكن لذوي الاحتياجات الخاصة الالتحاق بها.

أفضلية القبول

- يحظى ذوو الحاجات الخاصة بأفضلية القبول في الحالات التالية:
- عندما تكون المقاعد المخصصة لهم ما زالت متوفرة.
 - عندما يكون التأخير في الدراسة مضراً بسبب الإعاقة أو المرض الشديد.
 - عندما تكون هناك صلة ما بين الإعاقة ومحدودية الخيارات المهنية.

العبء الدراسي

- تكييف العبء الدراسي للطلاب وفقاً لاحتياجاته الخاصة، والسماح بتخفيضه الى ما دون الحد الأدنى المسموح به.
- عدم فرض أية عقوبات إذا تعذر تلبية العبء الدراسي بسبب الإعاقة.
- منح الطالب فرصة التعلم الذاتي.
- السماح باستبدال المواد العملية أو التطبيقية بغيرها من المواد (الموازية)، في حال تعذر القيام بها بسبب الإعاقة.
- السماح بتمديد فترة الدراسة.
- السماح بالإنقطاع المؤقت عن الدراسة عند الضرورة.

الامتحانات

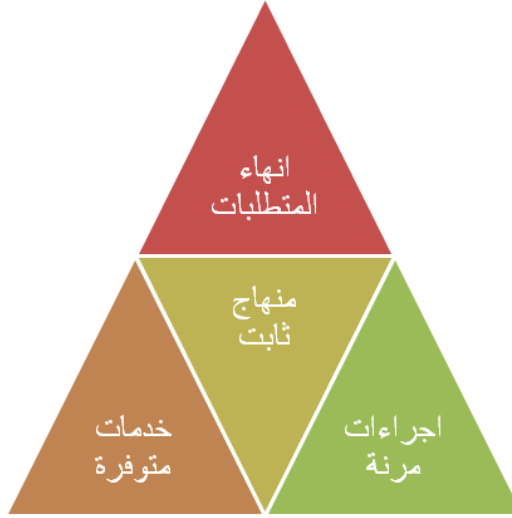
- السماح بإمكانية التعويض والتعديل في جميع أنواع الامتحانات (من حيث الآلية، والشكل، والمكان، والزمان والمدة الزمنية) وذلك بطريقة بسيطة وشفافة بعيداً عن الإجراءات البيروقراطية.

التعثّر الأكاديمي

- يجب عدم استخدام الإنذارات الأكاديمية، أو التوقيف عن الدراسة، أو الفصل من الاختصاص أو من الكلية في حال التعثر الأكاديمي، إلا بالتنسيق مع وحدة الاحتياجات الخاصة.
- يجب مراجعة الإجراءات المتبّعة ومدى كفاية الإمكانيات المتوفرة في حال التعثر الأكاديمي للطالب.

متطلبات التخرج

ان المرونة في التعاطي مع ذوي الاحتياجات الخاصة لا تشمل محتوى المادة ولا المنهاج الأكاديمي. حيث يعتبر كل طالب مهما تعددت احتياجاته، مسؤولاً، كأقرانه، عن متطلبات التخرج.



بدائل التعليم الجامع

صحيح أن التعليم الجامع هو الهدف الأساس الذي تصبو إليه المنظّمات الدولية، من أجل الوصول الى الدمج الكامل لذوي الاحتياجات الخاصة، في المؤسسات التعليمية وتأهيلهم بصورة أفضل للإنخراط بالمجتمع، والمشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ولكن لا بدّ من توفير بدائل، قد تكون في بعض الحالات السبيل الوحيد للتحصيل العلمي. من هذه البدائل نذكر: التعليم المستمر، التعليم الإلكتروني، والتعليم عن بعد.

التعليم المستمر

يساعد التعليم المستمر ذوي الاحتياجات الخاصة في متابعة تحصيلهم العلمي، بضغط أكاديمي أقل من التعليم العادي. ويفتح المجال أمام الطلاب الذين تعثروا في دراستهم الثانوية للتسجيل

في مواد أو اختصاصات أكثر جاذبية بالنسبة اليهم. وتبرز هنا الإشكالية التالية: التعليم المستمر قد لا يؤمن تكافؤ الفرص كالتعليم العادي، نظراً لاعتبارات مختلفة في سوق العمل. كما أنه لا يساعد الطالب على المشاركة الكاملة في الحياة الجامعية ، مما يبقي هدف الدمج والتعليم الجامع غير محقق. أضف الى أن التعليم المستمر يحتاج الى كل الترتيبات اللازمة من حيث الاحتياجات الخاصة كالتعليم العادي.

التعليم المستمر لذوي الاحتياجات الخاصة	
الإيجابيات	السلبيات
معايير قبول سهلة	الحصول على شهادة أقل اعتباراً في سوق العمل
دراسة أقل تطلباً على المستوى الأكاديمي	عدم المشاركة في الحياة الجامعية
تحكم ذاتي بعدد المواد	الحاجة لكل الترتيبات الخاصة
توفر اختصاصات ذات صفة مهنية وعدد وحدات أقل من التعليم العادي	عدم توفر كل الاختصاصات

التعليم الالكتروني أو التعليم عن بعد

إن التعليم الالكتروني أو التعليم عن بعد ، أصبح متوفراً بشكل كبير وفي متناول الجميع وقد يكون وسيلة أساسية وهامة لتمكين ذوي الاحتياجات الخاصة من التعليم الجامعي، ومن اكتساب العلم والمعرفة بما يؤهلهم للعمل. وقد تفتح هذه الوسائل مجالات وفرص لذوي الاحتياجات الخاصة، الذين يتعذر عليهم لسبب أو لآخر ارتياد الجامعة بشكل منتظم.

التعليم الالكتروني أو التعليم عن بعد لذوي الاحتياجات الخاصة	
الإيجابيات	السلبيات
معايير قبول قد تكون أكثر سهولة	الحصول على شهادة أقل اعتباراً في سوق العمل
دراسة أقل تطلباً على المستوى الأكاديمي	عدم المشاركة في الحياة الجامعية
تحكم ذاتي بعدد المواد	عدم الدمج في التعليم مما يشجع على انعزال الطالب عن مجتمعه وأقرانه وقد يساعد على تكريس الصورة النمطية لذوي الاحتياجات الخاصة.
توفر اختصاصات ذات صفة مهنية وعدد وحدات أقل من التعليم العادي	عدم توفر كل الاختصاصات.
بقاء الطالب في بيئته المريحة بوجود من يراعه	ضرورة توفر تجهيزات تقنية مناسبة لدى الطالب كي يتمكن من المتابعة.
الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كأداة هامة لتمكين الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة	

الخلاصة والتوصيات

إن تطبيق مبدأ التعليم الجامع من خلال إيجاد بيئة ملائمة لذوي الاحتياجات الخاصة، والعمل على رفع النسبة المخصصة لذوي الاحتياجات الخاصة في مؤسسات التعليم العالي، يواجه العديد من التحديات، الداخلية والخارجية.

على الصعيد الداخلي

١. عدم توفر العدد الكافي من الكوادر التعليمية المتخصصة.
٢. اختلاف نوع الإعاقه ودرجتها ضمن النوع الواحد، مما يستوجب رعاية فردية تتناسب واحتياجات كل شخص، وهذا يتطلب إمكانيات كبيرة.
٣. التكاليف العالية لتأهيل المباني والقاعات وتوفير التجهيزات المطلوبة كافة.
٤. الالتزام بمعايير الصحة والسلامة لذوي الاحتياجات الخاصة، وأيضاً ضمان عدم تعريض بقية الطلاب الى أي مخاطر قد تنجم عن عملية الدمج.
٥. المرونة في الإجراءات مع المحافظة على معايير الجودة في التعليم، و ضمان عدم استغلال تلك المرونة من قبل من لا يستحقها.
٦. نقص الثقافة المتعلقة بالاحتياجات الخاصة لدى الفئات المختلفة في الجامعة.

على الصعيد الخارجي

١. عدم إصرار الجهات الرسمية والجهات في المصادقة على الاتفاقيات الدولية، وبالتالي عدم ترجمة بنودها الى تشريعات وقوانين ملزمة.
٢. عدم تطبيق مبدأ الزامية ومجانبة التعليم للجميع في المراحل الأولى، مما يجعل نسبة ذوي الاحتياجات الخاصة الملتحقين بالمدارس ضئيلة جداً، ومما يفسر بالتالي عدم وصول أغلبيتهم الى مرحلة التعليم العالي.
٣. ندرة المدارس المؤهلة لاستيعاب ذوي الاحتياجات الخاصة.
٤. قلة الوعي والثقافة لدى الأهل وأولياء الأمور والنسيج المجتمعي، مما يؤثر سلباً على عملية التعليم الدامج في مراحل الأولى.
٥. ضعف التنسيق بين المؤسسات التربوية، والجمعيات الأهلية المتخصصة، والمنظمات الإنسانية والحقوقية.
٦. غياب شبه كلي للتقديمات الحكومية والعوامل المحفزة والمساعدة والبرامج الاعلامية التوعوية.

وفي الختام توجه التوصيات الى:

- أ- حكومات الدول العربية، ووزارات التعليم العالي، والشؤون الاجتماعية
- للمصادقة على المواثيق الدولية كافة المتعلقة بحقوق ذوي الاحتياجات الخاصة.
- لرسم الاستراتيجيات ووضع السياسات التي تحقق التعليم الجامع بكل أركانه ومحتوياته.
- لتقديم كل أنواع الدعم للمؤسسات التربوية، والإنسانية الناشطة في هذا المجال.

• لتكثيف الجهود نحو تأهيل المدارس والمعلمين. وترشيد الأهل نحو ضرورة متابعة أبنائهم لجميع مراحل التحصيل العلمي.

ب- إتحاد الجامعات العربية والمنظمات العربية

• لعقد المؤتمرات المتخصصة، وورشات العمل، التي من شأنها تعزيز التعليم الجامع وحضوره في المجتمع.
• لوضع معايير جودة التعليم الجامع، وأسس التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة.

ت- إدارات الجامعات العربية الرسمية والخاصة

• لتبني التعليم الجامع ضمن الرسالة والأهداف.
• للتنسيق في ما بينها وتبادل الأفكار والخبرات.
• لتطوير المناهج والمعايير والإجراءات بما يسهّل عملية التعليم الجامع.
• لتوفير الاختصاصات المطلوبة لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة.
• لتأهيل كوادر تعليمية وإدارية متخصصة.
• للمشاركة في اعداد وتطوير الدراسات والأبحاث والإحصائيات الدقيقة.

ث- الجمعيات الأهلية

• لتأخذ دوراً فعالاً في عملية التوجيه والإرشاد على صعيد المجتمع، الأهل، والمدرسة.
• للضغط على صنّاع القرار لاستصدار قوانين تضمن حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة.

ج- الأهل

• للاهتمام بأبنائهم من ذوي الاحتياجات الخاصة واتباع كافة السبل لمتابعة تحصيلهم العلمي.
• للتنسيق مع المدرسة والأخصائيين والتعاون معهم من أجل انجاح عملية التعليم الدامج.

ح- المدارس الابتدائية والإعدادية

• لاستيعاب الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة وتعليمهم ودمجهم وتهيئتهم للدراسة الجامعية وتأمين البيئة التعليمية من خلال التفاعل والمشاركة.

خ- سوق العمل

• لعدم استبعاد ذوي الاحتياجات الخاصة من العمل بسبب إعاقاتهم .
• لتأهيل أماكن العمل بما يتناسب مع ذوي الاحتياجات الخاصة.

د- وسائل الإعلام

• لتحسين صورة الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة في الإعلام.
• للمساهمة في التأهيل والدمج الاجتماعي من خلال برامج التوعية المختلفة .
• لتحريك الرأي العام إزاء حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة .
• لتسليط الضوء على الخدمات المتوفرة لدى القطاعين العام والخاص ورصد الفجوات وانعكاساتها على واقع ذوي الاحتياجات الخاصة.

الفهرس

- الافتتاحية الدكتوراة منى حداد
رئيسة جامعة الجنان ٨
- مقدمة العدد الثاني أ. د. علي لاغا
نائب رئيس جامعة الجنان لشؤون البحث العلمي ١٠
- ◆ طول الأمل والغفلة عن الآخرة في ضوء القرآن الكريم
د. فوزية أحمد الحسن طه ١١
- ◆ الفرقة بالخلع وآثارها الشرعية
هيفاء الكردي ٢٩
- ◆ تقويم كتب التربية الإسلامية المطورة للمرحلة الأساسية في المملكة الأردنية الهاشمية في ضوء المعايير الأساسية لتأليف الكتب من وجهة نظر معلمها
د. وليد رفیق العياصرة ٥٢
- ◆ توصيف الطيب وأثره في الحكم الشرعي
د. اسماعيل غازي مرجبا ٨٢
- ◆ توظيف تكنولوجيا المعلومات في إدارة المخاطر البيئية: دراسة تقويمية في الشركة العامة لصناعة الزيوت النباتية (مصنع الرشيد)
م.م. د. سحر قدوري ١١٤
- ◆ نظرية الإتفاقيات والمحاسبة قراءة حالة الجزائر
د. كربالي بغداد ١٣٩

- ◆ استثمار أوقاف الجمعيات الخيرية الإسلامية أحكام وضوابط
محمد أحمد العثمان ١٥٨
- ◆ لسانيات الخطاب: من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص دراسة في بعض مؤلفات مشروع
أحمد المتوكل الوظيفي
د. عبد الوهاب صديقي ١٧٩
- ◆ دراسة أسس ومبادئ إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية
د. اسحق رحمانني ١٩١
- ◆ الانسجام الصوتي دراسة تحليلية في اللغة العربية (الحلقة الثانية)
الأستاذ الدكتور عبد المنعم طوعي بشناتي ٢٠٦
- ◆ دور الجامعات في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة التحديات والإمكانيات في ضوء
معايير الجودة
د. عائشة يكن ٢٤٢
- ◆ الفهرس ٢٦٣